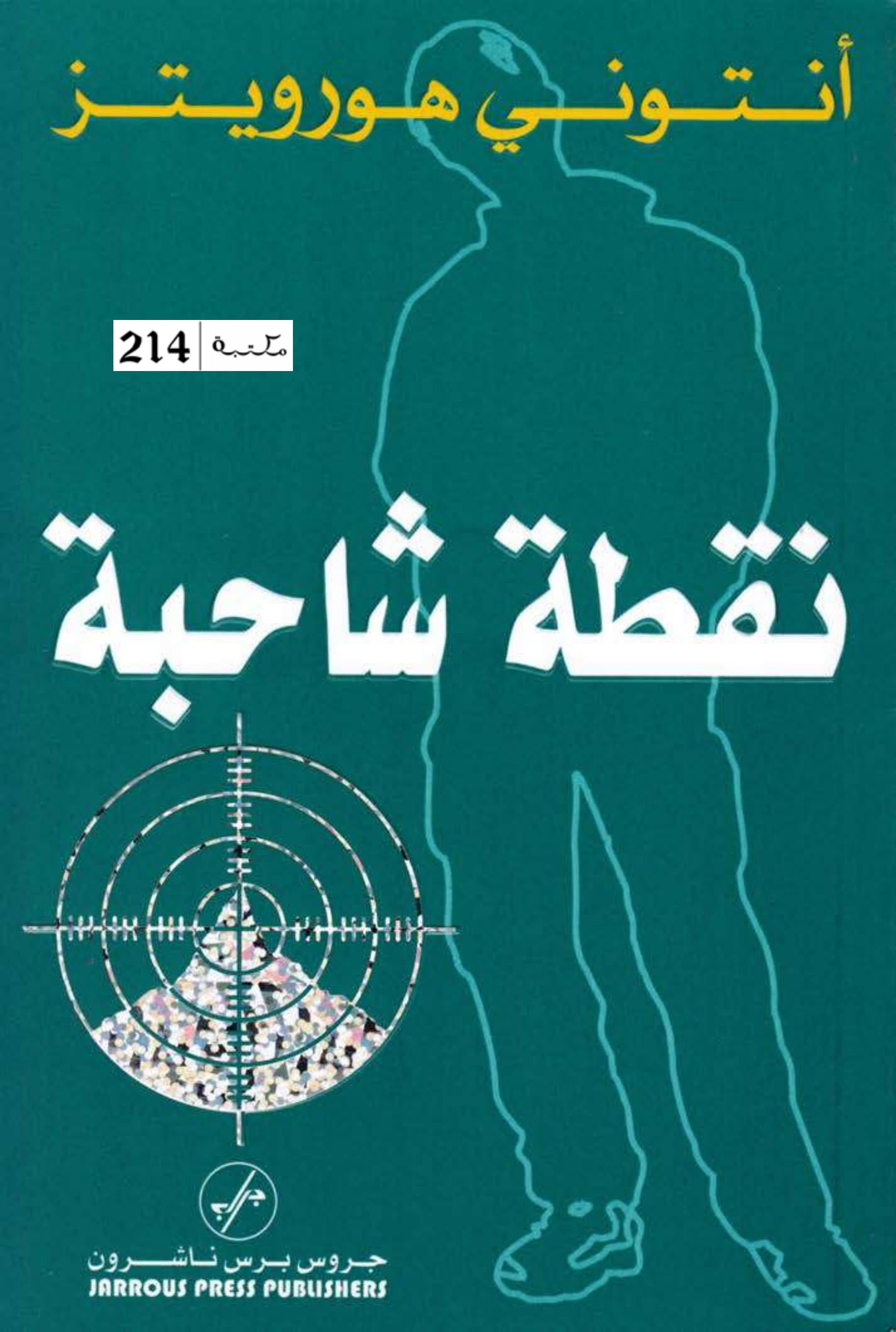


أنتوني هورويتز
مكتبة 214
نقطة شاحبة
جروس برس ناشرون
JARROUS PRESS PUBLISHERS

نقطة شاحبة

أنتوني هورويتز

ترجمة: هيثم الزبيدي




تليجرام
غواص في بحر الكتب

بالنسبة للمهمة الثانية لأليكس رايدر، كان 'أنتوني هورويتز' حريصا على ملء القصة بالإثارة والتشويق، حرصه على إبقائها واقعية. يقول المؤلف: "وهكذا فقد بحثت حول كل شيء من أساسيات التدريب في وحدة المهمات الخاصة SAS الى البقاء في سيارة حتى اللحظة الأخيرة قبل أن تُسحق في ساحة تحطيم السيارات. كما لديّ ابني نيكولاس الذي جرّب جميع الأشياء كالغطس والتزلج على الجليد!"



قالوا في الكتاب:
"إنه تكملة عاصفة لكتاب "ستورم بريكر.

جريدة التايمز

" انفجار، تشويق، إثارة ـ إقرأ أليكس رايدر

صحيفة الغارديان

" إنه أجمل بألف مرة من كل خيالات أولاد المدارس المملة، وأكثر إثارة ومهارة.....إنها عبقرية "

صحيفة الاندبندنت أون صنداي

هورويتز ذومنزلة خالصة وأنيق، ولكنه مشوق..... وهو جيمس بوند في صورته المصغرة، أسلوب أروع من أن يكون ساحرا "

ديلي ميرور

" إنه يخلق معنى جديدا لكلمة (مثير) "

صنداي تايمز

"سيشدك هورويتز بالتشويق والجرأة ـ وهذا فقط في الصفحة الأولى!.... استعد للمشاهد المثيرة والتي تعادل في سرعتها سرعة الفيلم

التايمز

" البطل الكامل..... الميزة الحقيقية للقرن الحادي والعشرين

الديلي تلغراف

" أنجز هذا العمل بأسلوب هائل وممتع ومشوق. والرغبة في أن تكون جيمس بوند مرتبطة تماما ومتلهفة للمزيد

الغارديان

سيتعلق المراهقون والأطفال بمغامرات أليكس رايدر..... إنها هاري بوتر ولكنها ذات موقف

دايلي اكسبريس

هـذا الـعـمـل أدبـي، لـذلك فـإن الأسـمـاء والشـخـصـيات والأمـاكـن والأحداث من نسـج خيال المؤلف، وإن كانـت حقيقية فقد استعملت بشـكـل خـيـالي. وكـل التـصـريـحـات والأنشـطـة والأعـمـال المختـلـقـة والأوصـاف والمعلومات وأي نوع آخر من المواد المذكورة هنا، هي من أجـل التـسـلـيـة فـقـط، ولا يـجـب الاعـتـمـاد عـلـيـهـا مـن حيث الـدقـة، أوتكرارها لأنها قد تؤدي إلى الضرر.

جرّوس برّس ناشرون
Jarrous Press Publishers
ص.ب.:189 طرابلس، لبنان
تلفاكس: 208205 6 961+
info@jarrouspress.com
www.jarrouspress.com

ISBN: 978-9953-468-73-0

المحتويات

النزول

كان مايكل جي. روزكو رجلاً حذراً للغاية. كانت السيارة التي تقلّه إلى العمل في الساعة السابعة والربع صباح كل يوم، مرسيدس مصنوعة حسب الطلب، بأبواب فولاذية محصّنة، وزجاج نوافذٍ مضاد للرصاص. وكان سائقه، وهو عميلٌ متقاعد من الأف بي آي، يحمل مسدسا صغيراً شبه آلي من نوع بيريتا، وكان يعرف كيف يستخدمه. لم تكن هناك سوى خمس خطوات من النقطة التي توقفت السيارة عندها، وحتى مدخل برج روزكو في الجادة الخامسة في نيويورك، ولكن حلقة مغلقةً من كاميرات المراقبة التلفزيونية كانت تتابعه في كل سنتمتر من الطريق. وما أن أغلقت البوابة الأوتوماتيكية من خلفه، انبرى موظف استقبال بزيه الرسمي، وكان مسلحّا هو الآخر، ليراقبه حتى عبر الباحة، وصعد مصعده الخاص.

كان للمصعد جدران من الرخام الأبيض، وسجادة زرقاء، ودرابزين فضيّ، ولكنه كان بلا أزرار لأرقام الطوابق. ضغط روزكو بيده على لوح زجاجي صغير، فقرأ جهاز التحسس بصمات أصابعه، وتحقق منها، ثم اشتغّل المصعد. ولما انزلق الباب وأغلق، وثب المصعد إلى الطابق الستين بلا توقف، حيث لم يكن

يستخدمه أحد، ولا كان يتوقف عند أي طابق من طوابق المبنى.
بينما كان المصعد يرتفع، كان موظف الاستقبال يتحدث على الهاتف، مبلّغاً موظفي السيد روزكو بأنه في الطريق.

كان الأشخاص الذين يعملون في مكتب روزكو الخاص قد أختيروا بعناية، وتم تدقيقهم بشكل تام. كان من المستحيل أن تراه بدون موعد، وقد يستغرق الحصول على موعد ثلاثة أشهر.

عندما تكون غنيّاً، لا بد أن تكون حذراً. إذ هناك المهووسون، والخاطفون، والإرهابيون والبائسون، والمحرومون. كان مايكل جي. روزكو مديرا لمؤسسة روزكو للالكترونيات، وهو تاسع أوعاشر أغنى رجل في العالم—وقد كان في الحقيقة حذرا للغاية. منذ أن ظهرت صورته على غلاف مجلة تايم بوصفه "ملك الالكترونيات"، أدرك أنه قد أصبح هدفاً واضحاً. لذا، كان يسير مسرعاً، مطأطأ رأسه، عندما يكون بين الناس. وكانت النظارات التي يرتديها قد اختيرت بحيث تغطي أكبر قدر ممكن من وجهه الوسيم المستدير. كانت بدلاته باهظة، غير أنها لم تكن معروفة. عندما كان يذهب على المسرح أوإلى عشاء معين، كان دائماً يصل في اللحظة الأخيرة، مفضلاً عدم الاختلاط وإضاعة الوقت. كانت هناك العديد من الأنظمة الأمنية المختلفة في حياته، وعلى الرغم من أنها قد أزعجته ذات مرّة، إلا أنه سمح لها أن تصبح جزءاً من روتين حياته.

ولك أن تسأل أي جاسوس أووكيل أمن. الروتين هو الشيء الذي يمكنه أن يقتلك. فهو يخبر الأعداء عن الأماكن التي تذهب

إليها، ومتى تذهب. كان الروتين ليقتل مايكل جي روزكو، وكان هذا هو اليوم الذي اختاره الموت لينادي عليه.

وبالطبع لم تكن لدى روزكو أدنى فكرة عن هذا الأمر عندما خرج من المصعد نحو مكتبه الخاص مباشرة– وهو عبارة عن غرفة ضخمة تحتل زاوية المبنى، نوافذها من الأرضية حتى السقف، تطل على اتجاهين؛ الجادة الخامسة من الشمال، والسنترال بارك من الغرب. أما الجدارين المتبقيين فقد تضمنا الباب، ورف كتب واطئ، ولوحة زيتية واحدة إلى جوار المصعد، هي لوحة 'زهرية الورد' لفينسينت فان كوخ.

كان لوح الزجاج الذي فوق مكتبه مرتّب أيضاً. جهاز كومبيوتر، دفتر ملاحظات من الجلد، جهاز هاتف، وصورة ذات إطار لصبي في الرابعة عشرة من العمر. وما أن خلع سترته وجلس، وجد روزكو نفسه محدّقاً في صورة الصبي. شعر أشقر، عينان زرقاوان، وبعض النمش. كان باول روزكو يبدو، وعلى نحو واضح، كوالده قبل أربعين عاماً. يبلغ روزكو الآن الخامسة والأربعين من العمر، كان عمره بادياً عليه، على الرغم من سُمرة بشرته على مدار العام. كان ابنه بنفس طوله تقريبا. التقطت هذه الصورة في الصيف الماضي، في لونغ آيلاند. لقد أمضيا ذلك اليوم في الإبحار، ثم قاما بالشواء على الساحل. وكان يوماً من أسعد الأيام القليلة التي أمضياها مع بعضهما على الإطلاق.

فُتح الباب ودخلت سكرتيرته. كانت هيلين بوسورث انجليزية. تركت بيتها وزوجها وجاءت لتعمل في نيويورك، وقد أحبت كل

تفاصيلها. لقد عملت في هذا المكتب أحد عشر عاماً، وخلال كل تلك الأعوام، لم تنس أية نقطة صغيرة، ولم ترتكب أية خطأ.

قالت: –"صباح الخير يا سيد روزكو."

–"صباح الخير، هيلين."

وضعت ملفّا على طاولته. "آخر الأرقام من سنغافورة. تكاليف منظّم الـ(أر ١٥). لديك غداء مع السيناتور أندروز في الثانية عشرة والنصف. وقد حجزت الآيفي ——"

–"هل تذكّرتِ الاتصال بلندن؟" سألها روزكو.

رمشت هيلين بوسورث. فهي لم تنس أي شيء أبداً، لِم يسألها إذن؟ قالت:– "تحدثت مع مكتب 'ألين بلنت' بعد ظهر يوم أمس." بعد الظهر في نيويورك يعني المساء في لندن. "لم يكن السيد 'بلنت' موجودا، ولكني رتبتُ اتصالاً شخصياً بينك وبينه بعد ظهر اليوم. ونستطيع أن نُتِم الأمر من خلال سيارتك."

–"شكرا لك هيلين."

–"هل أطلب لك القهوة؟"

–"كلا شكراً، هيلين. لن أتناول القهوة اليوم."

غادرت هيلين الغرفة، وهي متوجسة. لا قهوة؟ ثم ماذا؟ كان السيد روزكو يبدأ يومه بفنجان من الأسبرسو ذي الحجم الكبير منذ أن عرفته. أيمكن أن يعني ذلك أنه مريض؟ لا شك أنه مؤخراً لم يعد كما هو. ليس بعد أن رجع باول من تلك المدرسة التي في جنوب فرنسا. وهذا الاتصال الهاتفي مع 'ألين بلنت' من لندن! لم يخبرها أحد من كان ذلك

الرجل ولكنها رأت اسمه على ملفٍّ ذات مرّة. كانت له علاقة ما بجهاز المخابرات العسكرية البريطانية ١٦ ما الذي يجعل السيد روزكو يتحدث مع جاسوس؟

رجعت هيلين بوسورث إلى مكتبها وهدّأت من روعها، ليس بفنجان من القهوة–لم تكن تطيق أن تكون بلهاء– بل بكوب من شاي الإفطار الانجليزي المنعش. كان هناك شيء غريب جداً يدور من حولها، ولم تكن تحبه. لم تكن تحبه على الإطلاق.

* * *

في تلك الأثناء، تحتهم بستين طابقاً، دخل رجل بنظارتين سوادوتين إلى الاستقبال، كان يرتدي بذلة عمل رمادية اللون وشارة هوية معلقة على صدره. لقد عرّفت شارة الهوية اسمه: سام غرين، مهندس صيانة من مؤسسة إكسبريس للمصاعد. كان يحمل حقيبة بإحدى يديه، وصندوق أدوات فضي اللون بيده الأخرى. أنزلهما أمام طاولة الاستقبال.

لم يكن سام غرين هو اسمه الحقيقي. كان شعره - الأسود الدهني بعض الشيء–مستعاراً، مثلما كانت نظارتيه، وشاربيه وأسنانه غير المتساوية. كان يبدو في الخمسين من العمر، ولكنه في الواقع أقرب إلى الثلاثين. لم يكن أحد يعرف اسمه الحقيقي، ولكن في العمل الذي كان يزاوله، كان الاسم هو آخر شيء يمكن أن يتحمّله. كان يُدعى "الجنتلمان"، وكان واحداً من القتلة المأجورين

الأغلى ثمناً، والأكثر نجاحاً في العالم. لقد أعطي هذا الاسم لأنه اعتاد على إرسال باقات من الأزهار إلى عائلات ضحاياه.

رمقه موظف الاستقبال بنظرة.

قال:– "أنا هنا لأجل المصعد." تكلّم بلكنة برونكسية، رغم أنه لم يمضِ أكثر من أسبوع واحد هناك في حياته كلها.

– "ما خطب المصعد؟" سأله موظف الاستعلامات. "لقد كنتم هنا الأسبوع الماضي."

– "نعم. بالتأكيد. لقد وجدنا سلكاً معطوباً في المصعد الثاني عشر. كان لا بد من استبداله غير أننا لم نكن نمتلك الأجزاء البديلة. لذلك أرسلوني ثانية." مد الجنتلمان يده باحثاً في جيبه وسحب قطعة مجعّدة من الورق. "أتود الاتصال بمكتب المقر الرئيس؟ لدي أوامر هنا."

لو كان موظف الاستعلامات قد أتصل بمؤسسة إكسبريس للمصاعد لاكتشف أنهم فعلاً يستخدمون موظفا باسم سام غرين - رغم أنه لم يذهب للعمل منذ يومين. وكان السبب وراء ذلك هو أن سام غرين الحقيقي يرقد الآن في قاع نهر هيدسون، مع سكين في ظهره، وكتل من الكونكريت تبلغ من الوزن عشرين باونا مربوطة في قدميه. ولكن موظف الاستقبال لم يجري ذلك الاتصال. لقد توقع الجنتلمان أنه ما كان ليزعج نفسه. وعلى العموم، فإن المصاعد كثيراً ما تتعطّل. وكثيراً ما كان المهندسون يروحون ويجيئون على الدوام. فأي فرق ستشكّله هذه المرة الأخرى؟

هزّ موظف الاستقبال إبهامه، وقال: "تفضّل."

وضع الجنتلمان الرسالة جانباً، والتقط حقيبته وصندوق عدّته، ومضى نحو المصاعد. كان هناك اثنا عشر مصاعد عاماً مخصصاً لخدمة ناطحة السحاب، فضلاً عن ثلاثة عشر مصعداً لمايكل جي روزكو. كان المصعد رقم ١٢ في الأخير. وعندما دخل، حاول صبي خدمة توصيل يحمل رزمة أن يتبعه. "عفواً"، قال الجنتلمان. "إنه مغلق للصيانة." وأغلِق الباب. كان لوحده. ضغط زر الطابق الحادي والستين.

لقد أعطي هذه الوظيفة قبل أسبوع واحد فقط. كان عليه أن يعمل بسرعة - قتل مهندس الصيانة الحقيقي، والاستحواذ على هويته، ومعرفة تصميم برج روزكو، ووضع يديه على تلك القطعة المعقدة من الآلة التي كان يعرف أنه سيحتاج إليها. لقد أراد مستخدموه تصفية هذا الملياردير بأسرع وقت ممكن. والأهم من ذلك، لا بد أن يبدو الأمر على أنه حادث. ومن أجل هذا، طلب الجنتلمان مائتي ألف دولاراً أمريكياً، وقد دفعوا له هذا المبلغ، الذي كان يجب أن يُحوّل إلى حساب مصرفي في سويسرا، نصفه الآن، والنصف الآخر عند انجاز المهمة.

فُتِح باب المصعد. كان الطابق الحادي والستين يستخدم لأغراض الصيانة بشكل رئيس. حيث توجد خزانات الماء، وأجهزة الكومبيوتر التي تسيطر على الحرارة، والتبريد المركزي، وكاميرات المراقبة، والمصاعد في المبنى كله. قام الجنتلمان بإطفاء

المصعد، مستخدماً مفتاح الإلغاء اليدوي الذي كان يوماً ما يعود لسام غرين، ومن ثم دخل على أجهزة الكومبيوتر. كان يعرف مكانها بالضبط. وفي الواقع، كان بإمكانه أن يجدها حتى وهو معصوب العينين. فتح حقيبته اليدوية، وكان فيها جزءان: الجزء السفلي كان جهاز كومبيوتر محمول (لابتوب). وكان الغطاء مجهّزاً بعدد من المثاقب والمفكات والأدوات الأخرى، وكان كل واحد منها موضوعاً في مكانه.

استغرق الأمر خمسة عشرة دقيقة منه ليخترق جهاز الحاسوب الرئيس ويربط كومبيوتره المحمول بمجموعة الدوائر الداخلية. غير أن اختراق أنظمة حماية رزوكو استغرق وقتا أطول. نقر أمراً على لوحة المفاتيح. في الطابق الذي تحته، قام مصعد مايكل جي روزكو الخاص بشيء لم يفعله من قبل على الإطلاق. فقد ارتفع طابقاً إضافياً واحداً - إلى مستوى الطابق الحادي والستين. إلا أن الباب قد بقي مغلقا. لم يكن الجنتلمان بحاجة إلى الدخول.

وبدلاً من ذلك، التقط الحقيبة وصندوق العدّة الفضي وأعاد حملهما إلى ذات المصعد الذي استقله من الاستقبال. أدار مفتاح السيطرة وضغط على زر الطابق التاسع والخمسين. ومرة أخرى، قام بتعطيل المصعد. ومن ثم وصل إلى الأعلى وضغط. كانت في أعلى المصعد فتحة باب يُفتح للخارج. دفع حقيبته والصندوق الفضي قبله، ومن ثم تسلّق إلى سقف المصعد. أصبح الآن واقفاً داخل نفق المصعد في برج روزكو. كان محاطاً من الجهات الأربع

بالألواح والأنابيب التي أسودّ لونها نتيجة للزيت والأوساخ. وكانت الحبال الفولاذية السميكة متدلية نحو الأسفل، وكان بعضها يُصدِرُ صوت همهمة وهي تحمل حمولاتها نحو الأسفل والأعلى. وعندما نظر للأسفل، لم ير سوى نفقاً مربعاً لا تبدوله نهاية، لا تضيئه سوى بعض ومضات الضوء المتأتية من الأبواب التي تُفتَح وتُغلَق ثانيةً عندما تصل المصاعد الأخرى إلى الطوابق المختلفة. تمكّنت بعض نسمات الشارع بطريقة ما، من الدخول إلى هناك، مما أثار بعض التراب الذي لسع عينيه. كانت منظومة من أبواب المصاعد إلى جواره، ولو فتحها لأدت به إلى مكتب روزكو. وفوق هذه الأبواب، إلى الأعلى من رأسه، على مقربة أمتار قليلة نحو اليمين، كان موقع الجانب الداخلي للمصعد الخاص بـ'روزكو.'

كان صندوق العدّة إلى جواره، على سطح المصعد. وبحذر شديد، قام بفتح الصندوق. كانت حافات الحقيبة مبطّنة بالإسفنج السميك. وفي الداخل، في الفراغ المّصمم بشكل خاص، كان هناك ما بدا وكأنه عارضة أفلام معقدّة، فضية ومقعّرة ولها عدسات زجاجية سميكة. أخرجها، ثم نظر إلى ساعته. الثامنة وخمس وثلاثون دقيقة. يحتاج الأمر إلى ساعة ليربط الأداة في قعر المصعد الخاص بـ'روزكو'، والقليل من الوقت الإضافي ليتأكد من كونها تعمل. كان لديه الكثير من الوقت.

أخرج الجنتلمان مفكّاً كهربائياً وبدأ بالعمل، وهو يبتسم لنفسه.

وفي الساعة الثانية عشرة، اتصلت هيلين بوسورث عبر الهاتف. - " سيارتك هنا، يا سيد روزكو."

- " شكراً لك هيلين."

لم يقم روزكو بالكثير من العمل ذلك الصباح. لقد كان مدركاً من أن نصف عقله فقط كان حاضراً في العمل. ومرة أخرى، رمق الصورة التي على مكتبه بنظرة. باول. كيف ساءت الأمور إلى هذا الحد بين الأب وابنه؟ وما الذي قد حدث في الشهور القليلة الماضية ليجعل الأمور أكثر سوءاً؟

قام من كرسيه، وارتدى سترته ومشى عبر مكتبه - في الطريق إلى الغداء مع السيناتور أندروس. كثيراً ما كان يتناول الغداء مع السياسيين. وكانوا أما يحتاجون إلى أمواله، أوأفكاره. فكل امرؤ بمستوى غنى روزكو هو صديق قوي، والسياسيون بحاجة إلى كل الأصدقاء الذين بوسعهم أن يكسبونهم.

ضغط زر استدعاء المصعد، فانفتحت الأبواب. تقدّم خطوة إلى الأمام.

كان آخر شيء رآه مايكل جي. روزكو في حياته هو مصعد بجدران رخامية بيضاء، وسجادة زرقاء ودرابزين فضي. قدمه اليمنى، التي ترتدي واحداً زوج أحذية جلدية سوداء صنعت يدوياً له في دكان صغير في روما، سافرت نحو الأسفل إلى السجادة ومن ثم تحتها، وواصلت المضي. . من خلال السجادة تماماً. أما باقي جسمه فقد تبعها، منحدراً في المصعد ثم من خلاله. ثم سقط من ارتفاع ستين طابقا ليلقى حتفه.

كان متفاجئاً جداً لما جرى، وغير قادر بالمرة على فهم ما جرى، حتى أنه لم يصرخ. بل سقط ببساطة في عتمة ممر المصعد، ووثب مرتين بفعل ارتطامه بالجدران، ثم ارتطم بأرضية القبو الكونكريتية، على مسافة مائتي متر نحو الأسفل.

بقي المصعد حيث كان. لقد بدا صلباً ولكنه في الواقع لم يكن هناك على الإطلاق. أما ما دخل فيه روزكو فكان مجرد صورة هولوغرام ثلاثية الأبعاد، تم توجيهها وعرضها على فسحة الفراغ الموجودة في ممر المصعد حيث كان يفترض أن يكون المصعد موجوداً. لقد قام الجنتلمان ببرمجة الباب لكي يُفتح عندما يضغط رزوكو على الزر، وقد راقبه بهدوء وهو يدخل في عالم النسيان. لو أن الملياردير نظر فقط إلى الأعلى، لكان قد رأى العارض الفضي لصور الهولوغرام وهو يشع مرسلا تلك الصورة، على مقربة أمتار قليلة فوقه. ولكن الرجل الذي يدخل مصعدا في طريقه لتناول الغداء لا ينظر للأعلى. لقد كان الجنتلمان يعرف هذا جيدا. ولم يخطأ بذلك قط.

في الساعة الثانية عشرة وخمس وثلاثون دقيقة، إتصل السائق ليقول أن السيد روزكرولم يصل إلى السيارة حتى اللحظة. وبعد عشر دقائق، أبلغت هيلين بوسوورث رجال الأمن، الذين بدأوا بتفتيش مدخل البناية. وفي الساعة الواحدة اتصلوا بالمطعم. كان السيناتور هناك، منتظراً ضيفه على الغداء. لكن روزكرولم يظهر

في الحقيقة، إن جثمانه لم يُكتشف حتى اليوم التالي، بعد أن أصبحت قصة اختفاء الملياردير الخبر الرئيس في نشرات الأخبار

في القنوات التلفزيونية الأمريكية. حادثة غريبة - هذا ما بدت عليه الحكاية. ولم يتوقع أحد ما الذي حدث بالضبط. لأنه في ذلك الوقت، بالطبع، كان الجنتلمان قد أعاد برمجة الحاسوب الرئيس، وأزال العارضة، وترك كل شيء كما كان ينبغي أن تكون عليه الحال قبل العملية، وبكل هدوء، قبل أن يغادر المبنى.

وبعد يومين، كان هناك رجل لا يشبه مهندس الصيانة يتمشى في مطار جون كينيدي الدولي. ولكنه قبل أن يركب طائرته مغادراً إلى سويسرا، زار محلاً لبيع الأزهار، وقام بطلبية مكونة من اثنتي عشرة باقة من الزنبق الأسود وأمر بإرسالها إلى عنوان معيّن. غير أن الرجل دفع المال نقداً ولم يترك أسمه.

الظل الأزرق

أسوأ وقت يشعر فيه المرء بالوحدة هو عندما يكون وسط حشد من الناس. كان أليكس رايدر يتمشى عبر الساحة، محاطاً بمئات من أقرانه من الأولاد والبنات. كانوا جميعا متجهين إلى نفس الجهة، جميعهم يرتدون نفس الزي الموحّد ذي اللونين الأزرق والرصاصي، بل ربما جميعهم يفكرون بنفس الأفكار، إلى حد ما. لقد انتهى للتو الدرس الأخير لهذا اليوم. الواجب البيتي، الشاي والتلفزيون ستشغل ما تبقى من الوقت حتى يحين موعد النوم. ومن ثم يجيء يوم مدرسي آخر. إذن لماذا يشعر وكأنه خارج كل هذا، كما لو أنه كان يشاهد آخر أسابيع الفصل الدراسي من الجانب الآخر لشاشة زجاجية عملاقة؟

رمى أليكس حقيبة ظهره على أحد كتفيه وواصل سيره صوب سقيفة الدراجات الهوائية. كانت حقيبته ثقيلة، حيث كانت تتضمن، كالمعتاد، الواجب البيتي المضاعف للتاريخ واللغة الفرنسية. فقد فاته أسبوعان من المدرسة، وكان عليه أن يعمل جاداً لكي يعوّض ما فاته ويصل إلى حيث وصل أقرانه. لم يكن معلموه متعاطفين ابداً. إذ أن أحداً منهم لم يقل شيئاً كثيراً، ولكنه عندما عاد أخيرا مع رسالة من الطبيب (. نوبة سيئة من الإنفلونزا مع بعض التعقيدات) فقد هزّوا رؤوسهم، وابتسموا في سرّهم

واعتقدوا أنه مدلل نوعاً ما. من ناحية أخرى، كان عليهم أن يتهاونوا ويتسامحوا قليلاً معه. فالجميع يعرف أن أليكس كان عديم الأبوين، وأنه يعيش مع عمّ مات هو الآخر بنوع من حوادث السيارات. ولكن رغم ذاك. اسبوعان في الفراش! حتى أصحابه المقربون أقرّوا بأن ذلك مبالغ به نوعاً ما.

ولكنه لم يستطع إخبارهم الحقيقة. إذ لم يكن مسموحاً له بإن يخبر أي أحدٍ كان بحقيقة ما جرى واقعاً. كان ذلك هو أصعب شيء في الأمر.

نظر أليكس فيما حوله، نحو الأطفال الذين يتدفقون خارجين من بوابة المدرسة، بعضهم يطبطبون على الكرات، وبعضهم منشغل بهواتفهم الخلوية. نظر إلى المدرّسين، فوجدهم يحشرون أنفسهم بسياراتهم المستعملة. في البداية، إعتقد أن المدرسة برمّتها قد تغيرت بينما كان غائبا. ولكنه الآن عرف أن ما قد حدث أسوأ من ذلك بكثير. كان كل شيء على حاله. لكنه هو الذي تغيّر.

كان أليكس في الرابعة عشرة من العمر، تلميذ مدرسة عادي في مدرسة شاملة عادية في غرب لندن. أوهكذا كان عليه حاله. قبل أسابيع قليلة فقط، إكتشف أن عمه كان عميلٌ سرّي، يعمل لحساب المخابرات البريطانية (M 16). أما عمه - أيان رايدر - فقد قُتل، وقد أجبرت المخابرات أليكس ليحلّ محله. فاعطوه دورة تدريبية في تقنيات البقاء على قيد الحياة في مركز تدريب القوة الجوية الخاصة (SAS)، وأرسلوه في مهمة جنونية على الساحل الجنوبي. فتمت مطاردته ورميه بالرصاص، وكان على

وشك الموت. وبعد هذا كلّه، رزموا أمتعته وأعادوه للمدرسة، وكأن شيئا لم يكن. ولكن قبل ذلك، جعلوه يوقّع على قانون الأسرار الرسمية. ابتسم أليكس عندما تذكر هذا الأمر. لم يكن بحاجة للتوقيع على أي شيء. فمن الذي سيصدّقه على كل حال؟

ولكن السرّية والتكتم هما الأمران اللذان بدأ يعتاد عليهما. فكلما سأله أحدهم عما كان يفعله في الاسابيع التي كان غائباً فيها، كان مضطراً للقول بأنه كان طريح الفراش، يقرأ، أويتجول حول المنزل، أوأي شيء آخر. لم يكن أليكس يريد التباهي والتفاخر بما فعل، لكنه كان يكره أن يخدع أصحابه. هذا ما كان يضايقه ويجعله غاضباً. فالمخابرات البريطانية لم تعرّضه للخطر فحسب، بل أقفلوا على كل حياته في خزانة للأضابير، ورموا المفتاح بعيداً.

وصل إلى سقيفة الدراجات الهوائية. تمتم أحدهم بعبارة "إلى اللقاء" موجهاً كلامه له، فهزّ رأسه مجاوباً، ثم رفع يده ليعدّل خصلة الشعر الوحيدة التي نزلت على عينه. كان يتمنى في بعض الأحيان لو أن قصة المخابرات البريطانية هذه لم تحدث على الإطلاق. ولكن في نفس الوقت، كما أقر بذلك، كان جزءاً منه يتمنى لو يحدث ذلك الأمر معه مجدداً. ففي بعض الأحيان، كان يشعر أنه لم يعد ينتمي للجزء الآمن والمريح من عالم مدرسة بروكلاند. لقد تغيّر الشيء الكثير. وفي نهاية اليوم، كان كل شيء أفضل من القيام بواجبات بيتية مضاعفة.

رفع درّاجته خارج المشبك، وفتح قفلها، وسحب حقيبة ظهره ووضعها على كلا كتفيه واستعدّ للإنطلاق. حينها رأى السيارة البيضاء القديمة. عادت ثانية خارج بوابة المدرسة. للمرة الثانية خلال ذلك الأسبوع.

الكل يعرف عن الرجل في السيارة البيضاء.

كان في العشرينيات من عمره، وكان أصلعاً، ولديه فراغان في المكانين اللذين كان يجب أن تكون أسنانه الأمامية فيهما، وخمسة مسامير معدنية في أذنه. لم يعلن عن اسمه. وعندما كان الناس يتحدثون عنه، كانوا يسمونه 'سكودا'– حسب ماركة سيارته. ولكن كان البعض يقولون أن اسمه هو جيك، وإنه كان يوما ما في بروكلاند. إن كان الأمر هكذا، فقد جاء إلى هنا كما يأتي شبح غير مرحّب به؛ كان يقف هنا لحظة ثم يختفي باللحظة التالية قبل مرور سيارة من سيارات الشرطة، أومرور أحد المعلمين المتيقظين جداً.

كان سكودا يبيع المخدرات. كان يبيع المخدرات الخفيفة للشباب الصغار، والأشياء الأقوى لأي من طلبة الصف السادس الاغبياء بما يكفي للإقدام على شرائها. وبالنسبة لأليكس، بدا من غير المعقول بالنسبة لسكودا أن يفلت بجلده بسهولة، وهو يبيع لفائفه الصغيرة في وضح النهار. ولكن كان هناك بالطبع ميثاق شرف في المدرسة. لم يقدم أي شخص على تقديم أي فرد للشرطة، حتى لو كان ذلك الفرد جرذاً كسكودا. كما كانت هناك مخاوف أيضاً من أنه لو وقع سكودا، فإن بعضا من الأشخاص الذين يقوم

سكودا بتجهيزهم بالمخدرات - أصدقاء أوزملاء صف - سيقعون معه لا محالة.

ما كانت المخدرات مشكلة عويصة في بروكلاند على الإطلاق، ولكن هذا الأمر أخذ بالتغيير مؤخراً. إذ أن حفنة من المراهقين بعمر السبعة عشرة سنة بدأوا يشترون بضاعة سكودا، ومن ثم بدأت الظاهرة بالانتشار، تماماً كما يحدث عندما رمى حجرا في بركة ماء، وسرعان ما تنتشر المويجات الصغيرة. صار هناك سيل من السرقات، فضلاً عن حادثة أواثنتين من الحوادث المخيفة - حيث أجبر الأطفال الصغار على جلب المال للأولاد الأكبر سنّا. وثم بدا سعر البضاعة التي يبيعها سكودا يرتفع، كلما أشتريت منها المزيد كلما أرتفع السعر - رغم أنها تكون رخيصة في بادئ الأمر.

راقب أليكس ولداً بأكتاف ثقيلة، بشعر داكن ووجه مليء بحبّ الشباب، وهو يتثاقل بمشيته صوب السيارة، توقّف عند الشبّاك قليلا ثم واصل المسير. فشعر أليكس بنوبة من الغضب تهزّه بقوة. كان اسم الفتى كولن، وكان قبل اثنا عشر شهرا فقط واحداً من أفضل أصدقائه. في الحقيقة، كان كولن معروفاً لدى الجميع. ولكن كل شيء تغيّر فيما بعد. حيث أصبح مزاجياً منزوياً بمفرده. كما أصبح أداءه يتراجع ويتدهور. وسرعان ما أصبح منبوذاً ولم يعد أحد يرغب في معرفته– وكان السبب وراء ذلك هو هذا. لم تكن المخدرات قد خطرت ببال أليكس، غير أنه يعرف تماماً أنه شخصياً سوف لن يتناولها على الإطلاق. ولكن كان يرى أن

الرجل الذي في السيارة لم يكن يسمم مجموعة من الأولاد الأغبياء فحسب، بل يسمم المدرسة بكاملها.

ظهر شرطي في دورية راجلة، متوجها نحو بوابة المدرسة. وبعد دقيقة، اختفت السيارة، ولم يكن هناك سوى سخام أسود يتطاير من العادم المعطوب. كان أليكس راكباً على دراجته قبل أن يعرف ما الذي كان يفعل، أخذ يسرع في الضغط على دواسة دراجته خارجاً من ساحة اللعب، وانحرف بها حول سكرتيرة المدرسة التي كانت في طريقها للبيت هي الأخرى.

-"على مهلك يا أليكس!" صاحت، ثم تنهدت عندما تجاهلها. كانت الآنسة بيدفوردشاير بقعة ناعمة بالنسبة لأليكس دون أن يعرف السبب. وهي الوحيدة التي تساءلت فيما لو كان وراء غيابه ما هو أكبر مما ورد في تقرير الطبيب.

أسرعت السكودا البيضاء في طريقها، استدارت نحو اليسار، ثم نحو اليمين، واعتقد أليكس أنه سيفقد أثرها. ولكنها انحرفت هنا وهناك عبر متاهة من الشوارع الخلفية التي تؤدي إلى طريق 'ذي كنغ' فوقعت في زحام الساعة الرابعة الذي لا مفرّ منه، ثم وصلت إلى توقف على مسافة مئتي متر إلى الأمام.

إن متوسط السرعة المرورية في لندن، في مطلع القرن الحادي والعشرين، أقلّ مما كانت عليه أثناء العصر الفيكتوري. فخلال ساعات الدوام الرسمي، تستطيع أية دراجة هوائية أن تسبق أية سيارة في أي مشوار كان. كما أن أليكس لم يكن يركب مجرد دراجة. ما زلت لديه

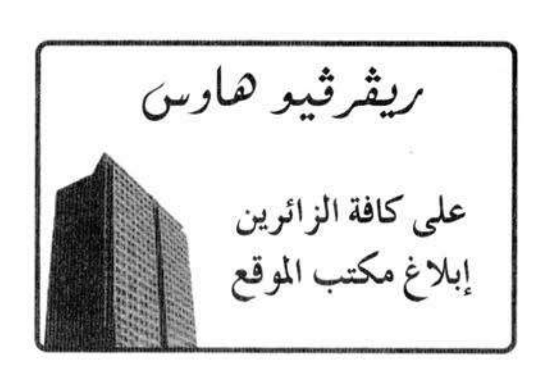
دراجته الـ'كوندور جونير رودريسر'، التي صنعت يدوياً وخصيصاً من أجله في ورشة عمل كانت تعمل في هذا المجال في شارع هولبورن لأكثر من خمسين عاماً. قام مؤخراً بتحديثها، وإضافة منظومة فرامل متكاملة، ونظام مغيّر السرعات المثبّت في ماسكة المقود، ما عليه سوى أن ينقر بإبهامه ليعطي دراجته سرعة أعلى، أما العجلة المسننة الخفيفة الوزن، والمصنوعة من التيتانيوم، فكانت تدور بسهولة وانسيابية تحته.

تمكن أليكس من اللحاق بالسيارة بمجرد أن استدارت حول الزاوية وانضمّت لباقي السيارات في الزحام في شارع 'كينغ.' كان يتمنى فقط أن تبقى السكودا في المدينة، لكن أليكس لم يكن يظنّ أن من المحتمل أنه سيسافر بعيداً في ملاحقته لها. لم يكن تاجر المخدرات قد اختار مدرسة بروكلاند هدفاً له لأنه كان هناك فحسب. لا بد أن تكون هذه المدرسة ضمن نطاق منطقته السكنية بشكل عام - ليست قريبة جداً من بيته، ولكن ليست بعيدة أيضاً.

تغيّرت الإشارة الضوئية وانطلقت السيارة البيضاء إلى الأمام، متجهة نحو الغرب. كان أليكس يدوس على دواسات دراجته ببطء، تاركاً بعض السيارات بينه وبين السكودا، لكي لا يستطيع سائقها أن يلمحه بالمرآة. وصلا إلى الزاوية التي تعرف بـ'نهاية العالم' وسرعان ما أصبح الشارع فارغاً، فكان على أليكس أن يغيّر عتلة السرعة ثانية، ويزيد من دوران دواستيه لكي يستطيع اللحاق. استمرت السيارة في مسيرها، عبر 'بارسون غرين' نزولاً صوب بوتني. تحوّل أليكس من مسار إلى آخر، قاطعاً الطريق على سيارة أجرة، فسمع زعيق زموّر

السيارة مكافأة له على صنيعه. كان يوماً دافئاً، وكان لا يزال يشعر أن واجبه البيتي في مادتي التاريخ واللغة الفرنسية لا يزال يثقل كاهله. إلى أي مسافة سيذهبان؟ وما الذي سيفعله عندما يصلا إلى المكان؟ بدأ أليكس يتسأل حول ما إذا كانت الفكرة فكرة حسنة، لكن السيارة توقفت وتم إطفاء المحرّك، فايقن أنهم وصلوا.

توقفت السكودا في منطقة مكسوة بالإسفلت، في موقف سيارات مؤقت بجانب نهر التايمز، ليس بعيداً عن جسر بوتني. بقي أليكس على الجسر، وسمح لزحام السيارات بأن يمضي، ثم بدأ يسير. كانت المنطقة في مرحلة إعادة تطوير، فكان هناك مبنى جديدا للشقق الفاخرة يرتفع ليبلغ سماء لندن. في الوقت الحاضر، لم تكن البناية اكثر قذارة من هيكل من العوارض الحديدية وألواح خرسانية من البناء الجاهز. كانت البناية محاطة بحشد من الرجال الذين يعتمرون قبّعات صلبة. كانت هناك بلدوزرات، وخلّاطات سمنتية، ورافعة صفراء فاقعة تشرف على هذا كله. كانت هناك لافتة مكتوب فيها:



تساءل أليكس فيما لو كان لسكودا أي نوع من الأعمال هنا في هذا الموقع. بدا وكأنه متجها نحو المدخل. لكنه استدار بعد ذلك. أما أليكس، الذي كان يراقبه، فقد إرتبك ارتباكاً شديداً.

كانت البناية منحشرة بين الجسر ومجموعة من الأبنية الحديثة. كانت هناك حانة، وبناية تبدووكأنها مركز مؤتمرات جديد جداً، وكان هناك أيضاً مركز شرطة فيه موقف سيارات نصفه مليء بسيارات الشرطة. ولكن إلى جانب موقع العمل مباشرة، وعلى التصاق مباشر بالنهر، كان هناك رصيف خشبي وزورقان بقمرتين خشبيتين وسفينة حديدية قديمة تصدأ بهدوء في المياه العكرة. لم يلاحظ أليكس الرصيف الخشبي في أول الأمر، لكن سكودا سار إليه مباشرة، ثم صعد إلى السفينة. فتح أحد الأبواب واختفى في الداخل. هل هذا هو المكان الذي يعيش فيه؟ كان الوقت متأخراً من النهار. وشكك أليكس في مدى استعداده للقيام بنزهة ترفيهية في نهر التايمز.

عاد أليكس إلى دراجته، وبدأ يقودها على مهل حتى نهاية الجسر، نزولاً باتجاه موقف السيارات. فخبأ الدراجة والحقيبة في مكان لا يراه أحد، وواصل سيراً على الأقدام، وعندما وصل إلى الرصيف، تباطأ بسيره أكثر. لم يكن خائفا من أن يمسكه أحد. فهذا مكان عام، وحتى لو ظهر سكودا ثانيةً، إذ ليس بوسعه أن يفعل شيئاً له. لكن أليكس كان يشعر بالفضول. فما الذي يفعله تاجر مخدرات على متن سفينة قديمة؟ بدا هذا المكان غريبا ومثيرا للتوقف فيه. لم يكن أليكس متأكدا حتى تلك اللحظة

حول الشيء الذي سيفعله، لكنه أراد أن يلقي نظرة في الداخل. حينها سيقرر ما سيفعل.

عندما سار على الرصيف الخشبي، كان الخشب يطلق صريراً تحت قدميه. كانت السفينة تسمى "الظل الأزرق" ولكن لم يبق سوى زرقة قليلة في الدهان الباهت، وفي الحديد الصدئ والمنصات القذرة المغطاة بالزيت. كان طول السفينة حوالي عشرة أمتار وكانت مربعة الشكل تماماً، مع وجود "كابين" واحدة فقط في مركزها. كانت مستلقية في المياه الضحلة، وتوقّع أليكس أن معظم الأجزاء الحية تقع في الأسفل. انحنى على الرصيف الخشبي وزعم أنه يربط خيوط حذائه، متمنياً أن ينظر خلال النوافذ الضيقة المائلة. لكن جميع الستائر كانت مغلقة. فماذا الآن؟

كانت السفينة مربوطة في أحد جوانب الرصيف. وكان الزورقان يقفان جنباً على جنب على الجانب الآخر. يبدو أن سكودا أراد شيئاً من الخصوصية - ولكنه لا بد أن يحتاج إلى الضوء أيضاً، ولن تكون هناك حاجة لغلق الستائر التي تطل على الجانب الآخر، حيث لا شيء هناك سوى النهر. ولكن المشكلة الوحيدة هي أن أليكس، من أجل أن يسترق النظر عبر تلك النوافذ التي في الجانب الآخر، يجب عليه أن يصعد السفينة نفسها. تأمل الأمر قليلاً. لا بد أن يكون الأمر يستحق المجازفة. كان قريباً بما فيه الكفاية من موقع العمل في البناية. لن يجرؤ أحد على المساس به إذا كان حوله كل هؤلاء الرجال.

وضع إحدى قدميه على ظهر السفينة، ثم نقل كل ثقله عليها ببطء شديد. كان خائفاً من أن السفينة إذا ما تحركت سيقع في الماء. لا شك أن السفينة ستغطس قليلا بسبب ثقله؛ لكن أليكس اختار اللحظة المناسبة بشكل جيد. حيث مر زورق شرطة عبر النهر، متوجها عكس التيار، عائداً للمدينة. فتمايلت السفينة بشكل طبيعي لدى مرور الزورق، وما أن استقرت ثانيةً، كان أليكس على متنها، يزحف بجوار باب "الكابين"

كان يسمع موسيقى صاخبة تأتي من الداخل. كان هناك صوت طبول قوي لفرقة 'روك.' لم يكن يريد أن يفعلها، ولكنه متأكد من أن هذه هي الطريقة الوحيدة للنظر إلى داخل السفينة. حاول أن يجد منطقة على ظهر السفينة ليست مغطاة بالزيت، ثم تمدد بشكل منبسط على بطنه. أنزل رأسه وكتفيه، وهو متشبثٌ بالدرابزين، فوق جانب السفينة، وحوّل نفسه نحو الأمام بحيث انه كان معلّقا رأساً على عقب فوق الماء.

كان على حق. إذ كانت الستائر التي على الجانب الآخر مفتوحة. وعندما نظر من خلال زجاج النافذة القذر، تمكّن أليكس من رؤية رجلين. كان سكودا جالساً على سرير، يدخن سيجارة. وكان هناك رجل ثان، أشقر الشعر قبيح المنظر، بشفاه معقوفة ولحية عمرها ثلاثة أيام، يرتدي بلوزة وبنطال جينز، كان يعدّ فنجان قهوة على مدفأة صغيرة. كانت الموسيقى تنبعث من جهاز تسجيل يجثم على رف. نظر أليكس في كل جوانب

المقصورة. كانت السفينة تفتقر إلى أي نوع من التسهيلات المعيشية اللائقة والأثاث، باستثناء المطبخ المصغّر والسريرين. بدلاً من ذلك، كانت المقصورة محوّرة لغرض آخر. فقد حوّلها سكودا وصديقه إلى معمل تجارب عائم.

كان فيها طاولتا عمل بأسطح معدنية، ومغسلة وميزان كهربائي. كانت هناك انابيب اختبار ومصابيح بنزن، ودوارق وانابيب زجاجية، وملاعق قياس في كل مكان. كان المكان بأسره قذراً – من الواضح أن أياً من الرجلين لم يهتم بالنظافة - لكن أليكس كان مدركاً أنه الآن ينظر في قلب عملياتهم. هذا هو المكان الذي يحضروّن فيه المخدرات التي يبيعونها، حيث يقومان بتقطيعها ووزنها وتعبئتها وتحضيرها للتوصيل للمدارس المحلية. كانت فكرة لا تصدّق - أن يضعوا معملاً للمخدرات على زورق، في وسط مدينة لندن تقريباً، وعلى مقربة مرمى حجر من مركز للشرطة. ولكنها في الوقت نفسه فكرة ذكية. فمن الذي يمكن أن يبحث عنه هنا؟ احمد

التفت الرجل الأشقر بشكل مفاجئ فما كان من أليكس إلا أن ارتدّ بجسده للوراء، وانزلق للخلف على ظهر السفينة. شعر بالدوار للحظة. فلأنه كان معلّقاً رأساً على عقب، تجمّع الدم في رأسه. التقط أنفاسه قليلاً، محاولاً أن يستجمع أفكاره. سيكون من السهولة بمكان أن يخبر الضابط المسؤول عمّا رأى على متن السفينة. ويمكن للشرطة أن تتولى الأمر منذ تلك اللحظة.

لكن شيئاً ما في داخل أليكس رفض الفكرة. ربما كان هذا ما كان سيفعله قبل أشهر قليلة من الآن. دع شخصا آخر يعتني بالأمر. لكنه لم يقد دراجته كل هذه المسافة لكي يترك الأمر ويتصل بالشرطة بهذه البساطة. تذكّر كيف رأى السيارة البيضاء للمرة الأولى خارج بوابة المدرسة. تذكّر كولن، صديقه، وهو يسير متثاقل الخطى نحو السيارة، فشعر مرّة أخرى بنوبة غضب قصيرة. هذا أمر أراد القيام به بنفسه.

ما الذي يمكنه أن يفعله؟ لو كانت السفينة مزوّدة بسدادة، لسحبها أليكس وأغرقها بما فيها. ولكن هذا الأمر ليس سهلاً بالتأكيد. فالسفينة مربوطة إلى الرصيف بحبلين سميكين. كان بوسعه أن يفكهما ولكن ذلك ليس بالشيء المجدي. إذ ستمضي السفينة حينها مع التيار، ولكن هذه منطقة 'بوتني' حيث لا وجود للدوامات المائية أو الشلالات التي يمكن أن تغرقها. وسيقوم سكودا بتشغيل المحرك والعودة مجدداً.

نظر أليكس حوله. كان يوم العمل يوشك شان ينتهي في موقع البناء المجاور. كان بعض الرجال يغادرون، وعندما أمعن النظر، رأى صندوقا حديديا مشبّكا يتدلى من على ارتفاع مئة متر فوقه، وكان فيه رجل سمين يبدأ بالهبوط من الرافعة الصفراء. أغلق أليكس عيناه، فبرقت له سلسلة كاملة من الصور بشكل مفاجئ، كمقاطع من صور بانورامية.

السفينة. موقع البناء. مركز الشرطة. الرافعة بخطّافها المتدلي أسفل الذراع.

وكرنفال 'بلاكبول' للمرح. لقد ذهب هناك مرة مع مدبرة

المنزل، جاك ستاربرايت، وراقب كيف ربحت دبدوباً صغيراً من خلال تعليقه بخطّاف وإصطياده من صندوق زجاجي، بمخلب ميكانيكي وإخراجه عبر المزلق.

هل يمكن فعل ذلك؟ نظر أليكس ثانية، ممعنا النظر في الزوايا. نعم. من المحتمل أن يكون ذلك ممكناً. نهض واقفا ثم زحف راجعاً عبر السطح، إلى المكان الذي دخل منه سكودا. كان هناك حبل بطول لا بأس به، متروك في إحدى الزوايا، فالتقطه، ولفّه عدة مرات حول مقبض الباب. ثم لفّ الحبل في حلقة حول خطّاف في الحائط، وسحبه بقوة. لقد أغلق الباب بإحكام شديد. كان هناك باب آخر في مؤخرة المركب: أمّن أليكس إغلاق الباب الآخر أيضاً بقفل درّاجته. وحسب ما شاهده، فإن النوافذ أصغر من أن يستطيعا الزحف من خلالها. لم يكن هناك أي طريق آخر للدخول أوللخروج.

زحف خارجاً من السفينة، راجعاً للرصيف الخشبي. ثم قام بفك رباط السفينة تاركا ذلك الحبل الغليظ ملفوفاً بارتخاء إلى جوار الأوتاد المعدنية - الدعامات - - التي كانت تؤمن المربط. كان النهر هادئاً. سيستغرق الأمر حيناً من الوقت حتى تتحرك السفينة قليلاً.

وقف منتصباً، وهو راض عن عمله الذي قام به لحد الآن، ثم بدأ يجري بسرعة.

عالقون

كان المدخل إلى موقع المبنى مكتظاً بعمال البناء الذين كانوا يستعدون للعودة إلى بيوتهم، تذكّر أليكس العودة من مدرسة بروكلاند قبل ساعة من ذلك، في الحقيقة، لا يتغير شيء حين تتقدم في العمر سوى أنك قد لا تعطى واجبات مدرسية. كان الرجال والنساء الذين يتدفقون خارج الموقع متعبين وفي عجلة من أمرهم للابتعاد عن هذا المكان. ولعل هذا كان السبب في أن أحداً منهم لم يحاول إيقافه حين انسلّ من بينهم ماشياً نحو هدف معين وكأنه كان يعرف إلى أين يذهب، أوأن لديه كل الحق في التواجد هناك.

لكن المناوبة لم تكن قد انتهت تماماً بعد، إذ كان بعض العمال لا يزالون يحملون المعدات ويخبئون الآلات ويستعدون للمساء. كان جميعهم يرتدون خوذات واقية. وحين رأى أليكس كومة من الخوذات البلاستيكية، سرق إحداها وارتداها. وتراءى أمامه الامتداد العظيم لمجمّع الشقق السكنية والذي كان لا يزال في طور البناء، ومن أجل المرور من خلاله، كان عليه الدخول إلى ممر ضيق بين برجي سقالة، فإذا برجل غليظ البنية مرتدياً لباساً أبيض يغلق عليه طريقه.

– "إلى أين أنت ذاهب؟" قال الرجل.

– "والدي..." رد أليكس مشيراً بيده بعض الشيء باتجاه عامل آخر ثم استمر بالمشي، فنجحت خدعته ولم يعترضه الرجل ثانية.

كان أليكس متوجهاً نحو الرافعة؛ الكاهن الأكبر للبناء، والتي كانت واقفة في الهواء الطلق. ولم يكن أليكس قد أدرك طول الرافعة حتى وصل إليها، إذ كان البرج الداعم مثبتاً في كتلة ضخمة من الخرسانة، وكان البرج رفيعاً جداً، وفي الوقت الذي حشر فيه أليكس نفسه من خلال العوارض الحديدية، تمكن من مد يده ولمس الجوانب الأربعة كلها. كان هناك سلم ممتد للأعلى في وسط البرج، فبدأ أليكس بالتسلق بدون أن يتوقف ليفكر في الأمر، فلو فكّر في الأمر لعله كان سيغير رأيه.

إنه مجرد سلم، قال أليكس في نفسه، لقد تسلقت سلماً من قبل وليس لديك شيء تخاف منه. ولكن لهذا السلم ثلاثمائة درجة، لو انزلق أليكس فلن يوقفه شيء حتى يسقط ويموت. ومع أنه كان هناك منصات للاستراحة من وقت لآخر، إلا أن أليكس لم يجرؤ على التوقف ليلتقط أنفاسه، فقد ينظر أحد ما إلى الأعلى ويراه. وكان هناك دائماً احتمال بأن يفلت القارب من مرساه ويبدأ بالانجراف.

وبعد مائتين وخمسين درجة، ضاق البرج أكثر، وتمكّن أليكس من رؤية مقصورة التحكم بالرافعة فوقه مباشرة، فنظر إلى الأسفل ثانية، فظهر الرجال في موقع البناء فجأة صغار وبعيدون جداً. تسلق أليكس الامتداد الأخير من السلم، وكان هناك باب فوق رأسه يؤدي إلى المقصورة، ولكن الباب كان مقفلاً.

ولحسن الحظ، كان أليكس مستعداً لذلك، فعندما أرسلته المخابرات البريطانية MI6 في مهمته الأولى، كانوا قد أعطوه عدداً من الأدوات —

والتي لم يستطع أن يسميها أسلحة – لتساعده في الخروج من المآزق الحرجة. وكانت إحدى هذه الأدوات أنبوباً مكتوباً عليه: (من أجل بشرة أنظف، زيت كلين ZIT-CLEAN، FOR HEALTHIER SKIN ولكن المرهم بداخله فعل ما هو أكثر من تنظيف البقع بكثير.

مع أن أليكس كان قد استعمل معظم المرهم، فقد تمكن من الاحتفاظ بما تبقى منه، وكان غالباً ما يحمل الأنبوب معه وكأنه تحفة تذكارية. في تلك اللحظة كانت لا تزال معه، فقام بإخراج الأنبوب بإحدى يديه، في حين كان ممسكا السلّم باليد الأخرى. ولم يكن قد تبقى سوى القليل جداً من المرهم، ولكن أليكس عرف بأن القليل هو كل ما سيحتاج إليه. فتح الأنبوب وعصر بعضاً من المرهم على القفل ثم انتظر. كانت هناك لحظة من السكون، ثم صدر صوت وتصاعد خيط رفيع من الدخان، إذ كان المرهم يخترق المعدن، ثم فتح القفل، فدفع أليكس الباب وتسلّق الدرجات القليلة الأخيرة فإذا هو داخل المقصورة.

كان عليه أن يغلق باب المقصورة مرة أخرى ليفسح المجال أمامه للوقوف، فوجد نفسه في صندوق معدني مربع الشكل بحجم لعبة الصندوق الأوتوماتيكي الذي نضع فيه القطع المعدنية، وكان هناك كرسي طيار ومقبضي تحكم واحد لكل ذراع، ونافذة ممتدة من الأرضية حتى السقف بدل الشاشة، ومشهد رائع لموقع البناء والنهر ومنطقة غرب لندن بأكملها. كما أن شاشة حاسوب صغير ثُبِتَت في إحدى الزوايا، وعند مستوى الركبة كان هناك جهاز إرسال راديو.

كانت المقابض التي عند الأذرع بسيطة إلى حد يثير الدهشة، إذ كان لكل واحد منها ست مفاتيح فقط، كما كان هناك رسم توضيحي يبيّن عمل هذه المفاتيح. أما اليد اليمنى فسترفع الخطاف وتنزله، واليد اليسرى ستحركه على طول ذراع الرافعة مقتربة أومبتعدة عن المقصورة. وكذلك تتحكم اليد اليسرى بقمة الرافعة كلها لتجعلها تدور ٣٦٠ درجة. وليس بالإمكان أن يكون الأمر أسهل من ذلك، حتى زر التشغيل كان واضحاً، فقد كان زراً كبيراً للعبة كبيرة، وكل شيء يتعلق بالرافعة ذكّر أليكس بالنموذج المصغر للعبة ميكانو.

ضغط أليكس الزر فشعر بالطاقة تندفع في مقصورة التحكم، وأضاء الحاسوب مع صورة لكلب ينبح حين اشتغل برنامج الإحماء. جلس أليكس في كرسي المشغّل، وكان لا يزال هناك عشرون أوثلاثون رجلاً في الموقع. ومن خلال النظر إلى الأسفل من بين ركبتيه، تمكّن أليكس من رؤيتهم يتحركون بصمت بعيداً في الأسفل، ولم يلاحظ أحد أي شيء، ولكنه كان يعرف بأنه ما زال عليه التحرك بسرعة.

قام أليكس بالضغط على الزر الأخضر على الجهة اليمنى والذي كان يعني التحرك، ثم لمس بأصابعه مقبض التحكم ودفعه. لم يحدث أي شيء! فتذمّر أليكس. ربما كان الأمر أكثر تعقيداً مما اعتقده. ما الذي فاته ؟ وضع يديه على المقابض وهو ينظر يميناً وشمالاً بحثاً عن لوحة تحكم أخرى، فتحركت يده اليمنى قليلاً،

فحلّق الخطاف فجأةً مرتفعاً عن الأرض. لقد كان يعمل !

من دون أن يعرف أليكس، فقد قامت أجهزة كشف الحرارة المخفية في الداخل بقراءة درجة حرارة جسده عندما أمسك بمقبضي التحكم، ثم قامت بتفعيل الرافعة بعد ذلك. كل الرافعات الحديثة لديها نفس نظام الأمان مثبت بداخلها في حال تعرض السائق لنوبة قلبية وبالتالي يقع على لوحة التحكم، إذ لا يمكن وقوع الحوادث، لذلك فإن حرارة الجسم ضرورية لعمل الرافعة.

ومن حسن حظه كانت هذه الرافعة من نوع ليبهير Liebherr (154 EC-H) وهي واحدة من أحدث الرافعات في العالم، فهي رافعة سهلة الاستعمال بصورة لا تصدق ودقيقة بشكل ملحوظ. وفي هذه اللحظة، قام أليكس بالدفع إلى الجانب وشهق حين دارت الرافعة. وفي الجهة المقابلة له، تمكن من رؤية ذراع الرافعة وهو يمتد خارجاً ويتأرجح عاليا فوق أسقف المنازل في لندن، وكلما ضغط أكثر، كلما تحركت الرافعة بشكل أسرع. ولم يكن من الممكن أن تكون الحركة أسهل من ذلك، فقد كان لدى رافعة ليبهير Liebherr 154 سائل يربط بين المحرك الكهربائي وناقل الحركة حتى لا ترجّ العوارض المعدنية. وجد أليكس زراً أبيض تحت إبهامه فضغط عليه، فتوقفت الحركة فجأة.

لقد كان أليكس مستعداً. وسيحتاج إلى القليل من الحظ الذي يحتاجه المبتدئين، وكان متأكداً بأنه يستطيع القيام بذلك شريطة ألا ينظر أحد إلى الاعلى ويشاهد الرافعة تتحرك. قام بالدفع بيده

اليسرى مرة أخرى وانتظر هذه المرة حين تأرجحت ذراع الرافعة على طول الطريق مارة من فوق بوتني بريدج وفوق نهر التايمز. وعندما كان ذراع الرافعة يتوجه مباشرة فوق القارب، توقف أليكس. الآن قام أليكس بالمناورة بين الخطاف وهيكل الرافعة، فقام أولاً بسحبها إلى اليمين حتى نهاية الذراع، ثم باستعمال يده الأخرى قام بإنزال الخطاف بسرعة ليبدأ بها، وبصورة أبطأ حين اقترب الخطاف من الأرض. كان الخطاف من المعدن الصلب، ولو أنه ضرب القارب فإن سكودا سيسمع الصوت وسيفضح أليكس نفسه. وبحذر الآن، سنتمتر واحد في كل مرة. لعق أليكس شفتيه، وباستخدام كل تركيزه صوّب نحو الهدف بحذر.

ارتطم الخطاف بسطح المركب فلعن أليكس، وبكل تأكيد سيكون سكودا قد سمع ذلك وهو الآن يمسك بالباب. وبعد ذلك تذكّر أليكس نظام الراديو آملا أن يطغى صوت الموسيقى على صوت الضجيج، فقام برفع الخطاف، وفي نفس الوقت قام بسحبه باتجاهه عبر سطح المركب. وكان قد رأى هدفه، إذ كانت هناك دعامة عمودية معدنية سميكة ملتحمة في سطح المركب عند الطرف القريب. إذا تمكن فقط من أن يلوي الخطاف حول الدعامة فإنه سيمسك سمكته، ثم سيتمكن بعد ذلك من لفها على البكرة.

كانت محاولته الأولى قد أخطأت الدعامة بأكثر من متر كامل، فأجبر أليكس نفسه على ألا يصاب بالذعر، إذ كان عليه أن يقوم بالأمر ببطء أوأنه لن ينجح في ذلك على الإطلاق. سحب أليكس

الخطاف من فوق سطح المركب ثم أعاده باتجاه الدعامة مستعملاً كلتا يديه، موازناً حركة مقابل الأخرى. وما كان عليه سوى أن يأمل أن الراديو كان لا يزال يعمل وأن المعدن المنزلق لم يكن يصدر ضجيجاً عالياً، ولكنه أخطأ الدعامة مرة ثانية، ولم يكن هذا لينجح!

كلا. كان بإمكانه عمل ذلك. كان الأمر شبيهاً بمعرض الألعاب... ولكن أكبر. استجمع أليكس شجاعته و ناور الخطاف للمرة الثالثة، وفي هذه المرة رأى الأمر يحدث، فقد تمسك الخطاف بالدعامة. لقد حصل عليها!

نظر أليكس للأسفل، إذ لم يلاحظ أحد أي شيء. والآن... كيف ستقوم بالرفع ؟ سحب أليكس بيد اليمنى فصار السلك مشدوداً، وشعر فعلاً بالرافعة ترفع القارب فمال البرج بأكمله إلى الأمام بصورة مقلقة فانزلق أليكس تقريباً من مقعده. وللمرة الأولى تساءل إن كانت خطته ممكنة حقاً، وهل بإمكان الرافعة رفع القارب من الماء؟ وما هو أقصى حمل ممكن؟ وكانت هناك يافطة بيضاء عند نهاية ذراع الرافعة مكتوب عليها: kg3900. وبالتأكيد لا يمكن للقارب أن يزن كل هذا، فنظر إلى شاشة الحاسوب، فكان هناك مجموعة واحدة من الأرقام تتغير بسرعة لدرجة أنه لم يكن قادراً على قراءتها. كانت الأرقام تظهر الوزن الذي تحمله الرافعة، وما الذي سيحدث لو كان القارب ثقيلاً جداً؟ وهل سيبدأ الحاسوب بالتوقف عن العمل أوتوماتيكياً؟ أم أن كل شيء سيهوي؟

ركّز أليكس نفسه في المقعد وسحب للوراء متسائلاً ما الذي سيحدث بعد ذلك.

في داخل القارب، كان سكودا يفتح زجاجة من الكحول، إذ كان يومه جيداً، فقد أمضى اليوم ببيع بضائع بأكثر من مئة جنيه إلى الأولاد في مدرسته القديمة، والأفضل من ذلك أنهم سيعودون من أجل المزيد. قريباً سيبيعهم البضاعة فقط إذا وعدوه بتقديمها إلى أصدقائهم. ثم سيصبح الأصدقاء بعد ذلك زبائن أيضاً. وكان هذا أسهل سوق في العالم، إذ أنه قام بسحرهم، وهم الآن ملك له، وسيفعلون أي شيء يريده.

وكان الرجل الأشقر الذي كان يعمل معه يدعى مايك بيكيت. وكانا قد التقيا بعضهما البعض في السجن وقررا أن يعملا معاً عندما يخرجان، وكان القارب فكرة بيكيت. ولم يكن هناك مطبخ مناسب، ولا مرحاض وكان شديد البرودة في الشتاء... ولكنه كان يعمل، بل إن الأمر أمتعهم أن يكونوا قريبين من أحد مراكز الشرطة، فقد استمتعوا بمشاهدة سيارات الشرطة أوالقوارب وهي تمر من أمامهم. وبالطبع، لم يكن هؤلاء الأشخاص ليفكروا أبداً بالنظر مباشرة إلى عتبات بيوتهم.

وفجأة قال بيكيت شاتماً:– " ماذا بحق...؟"

– " ما الأمر ؟" نظر سكودا.

–" الكوب..."

راقب سكودا الكوب الذي كان موضوعاً على الرف وقد بدأ بالتحرك، وكان ينزلق جانباً ثم سقط محدث صوتا وقد انسكبت منه القهوة الباردة على الخرقة الرمادية التي يسمونها بطانية. كان سكودا مشوشاً، إذ بدا أن الكوب قد تحرك من تلقاء نفسه ولم يلمسه أي شيء، فقهقه سكودا وسأل:- "كيف فعلت ذلك؟"

-" أنا لم أفعل"

-" إذاً..."

كان بيكيت أول من أدرك ما الذي كان يحصل، ولكنه لم يعرف الحقيقة حتى، فصاح قائلاً:- "إننا نغرق!"

توجه بيكيت نحو الباب، فقد شعر بالأمر الآن، إذ كانت الأرضية تميل وكانت أنابيب الاختبار والكؤوس الكبيرة تنزلق على بعضها ثم ترتطم بالأرضية وقد تحطم الزجاج. بدأ سكودا بالسب والشتم ثم تبع بيكيت صعوداً الآن. وكلما مرّت ثانية ازداد الميلان، ولكن الشيء الغريب أن القارب لم يبدو وكأنه يغرق على الإطلاق، وفي المقابل، بدت مقدمة القارب وكأنها ترتفع من المياه.

- " ما الذي يجري؟"صاح سكودا.

- "الباب عالق!" قال بيكيت وقد حاول تحطيم الباب ولكن القفل في الجانب الآخر كان يثبته بإحكام.

- " ذاك الباب الآخر!"

ولكن الباب الثاني كان عالياً فوقهم الآن، وتدحرجت القوارير عن الطاولة وتحطمت. وفي المطبخ، انزلقت الأطباق القذرة والأكواب على

بعضها متطايرة إلى أجزاء. ومع شيء من الزمجرة والنحيب، حاول سكودا التسلق إلى الجزء العلوي من القارب، ولكنه كان شديد الانحدار وكان الباب فوق رأسه تقريباً، ففقد توازنه ووقع إلى الوراء صارخاً، في حين وبعد ثانية واحدة، وقع الرجل الآخر فوقه. وتدحرج كلاهما إلى الزاوية، متشابكين مع بعضهما، في حين سقطت الأطباق والأكواب والسكاكين والشوكات وعشرات القطع من المعدات العلمية فوقهم. وكادت جدران القارب تنسحق بسبب الضغط فتحطمت إحدى النوافذ وتحولت إحدى الطاولات إلى كبش ينطح بقوة وقذفت بنفسها عليهم فأحس سكودا بعظمة تنكسر في ذراعه فصرخ عالياً.

كان القارب عمودياً تماما معلقاً فوق الماء بزاوية ٩٠ درجة. وللحظة استقر القارب حيث كان، ثم بدأ بالارتفاع....

حدق أليكس في القارب باندهاش، فقد كانت الرافعة ترفع القارب بنصف السرعة وقد حدث شيء من الجهل الذي أبطأ من سرعة العملية ولكنه لم يكن مقلقا أبدا، فقد تمكن أليكس من الشعور بالقوة في يديه. وبينما هو جالس في المقصورة، وكلتا يديه على مقابض التحكم، تباعدت قدماه وبرزت ذراع الرافعة أمامه، فشعر وكأنه قد اندمج مع الرافعة، وما كان عليه سوى أن يتحرك سنتمتر واحد وسيصل القارب إليه. كان بإمكانه رؤيته يتدلى من الخطاف ويدور ببطء، كانت المياه تتدفق من مؤخرة القارب، وكان خاليا من الماء يرتفع متراً واحداً كل خمس ثوان تقريباً، فتساءل أليكس ما الذي يدوعليه القارب من الداخل.

أما الراديو الذي بجانب ركبته فقد بدأ يعمل.

- "يا مشغل الرافعة! هنا القاعدة. ما الذي تعتقد أنك تفعله بحق الجحيم؟ حوّل!" ثم بعد ذلك ساد صمت وصدر صوت تشويش من الراديو ثم عاد الصوت الرنان ثانية. " من الذي في الرافعة؟ من هناك في الأعلى؟ عرّف نفسك!"

وكان يوجد "ميكروفونا" ملتوياً باتجاه ذقن أليكس فحاول أن يقول شيئاً ولكنه قرر ألا يفعل، فسماع صوت فتى مراهق سيجعلهم يصابون بالرعب أكثر.

نظر أليكس إلى الأسفل، وكان هناك حوالي عشرة عمال بناء يقتربون من قاعدة الرافعة، في حين كان آخرون يشيرون إلى القارب ويثرثرون فيما بينهم، إلا أن الأصوات لم تصل إلى المقصورة، وبدا أليكس وكأنه قد قطع عن العالم الحقيقي، فشعر بالأمان الشديد، ولم يكن لديه شك أن المزيد من العمال سيبدؤون تسلق السلم وأن الأمر سينتهي قريباً، ولكنه في هذه اللحظة كان محصّناً. ركز أليكس على ما كان يفعله، فقد كان إخراج القارب من الماء يشكل نصف خطته فقط، وكان لا يزال عليه إنهاء الأمر.

- " يا مشغل الرافعة! أنزل الخطاف! نعتقد بأنه يوجد أشخاص في القارب وأنت تخاطر بحياتهم. أكرر. أنزل الخطاف!"

كان القارب مرتفعاً فوق الماء يتدلى في نهاية الخطاف، فحرك أليكس يده اليسرى ليدير الرافعة لكي يتأرجح القارب في حركة قوسيه على طول النهر، ثم بعد ذلك فوق الأرض اليابسة. وكان هناك

صوت طنين مفاجئ، فقد توقف ذراع الرافعة، فسحب أليكس مقبض التحكم ولم يحدث شيء، فنظر إلى الحاسوب فكانت الشاشة قد انطفأت.

هناك شخص ما في الأسفل عاد إلى رشده وفعل الشيء الوحيد الممكن فقام بقطع الطاقة عن الرافعة فتوقفت عن العمل.

جلس أليكس حيث كان وهو يراقب القارب يتأرجح في النسيم، إذ لم ينجح تماماً فيما كان قد قرر فعله، فقد خطط لإنزال القارب بكل محتوياته بأمان في موقف السيارات في مركز الشرطة. وكان الأمر سيكون مفاجأة سارة بالنسبة للسلطات كما أعتقد. وبدلاً من ذلك، كان القارب الآن يتدلى فوق مركز المؤتمرات الذي رآه أليكس من بوتني بريدج. ولكن في نهاية اليوم، لم يفترض أليكس بأن الأمر شكل فارقاً كبيراً، فالنتيجة النهائية ستكون هي نفسها.

مد أليكس ذراعيه واسترخى منتظراً أن يفتح الباب، ولم يكن الأمر ليبدوسهل التفسير.

وبعد ذلك سمع أليكس صوت التمزّق.

لم تكن الدعامة المعدنية التي برزت من نهاية سطح المركبة قد صممت لحمل الوزن الكامل للقارب، وكانت معجزة أن الأمر استمر طول هذه المدة، وفي الوقت الذي راقب فيه أليكس الأمر من المقصورة وفمه مفتوح، انفصلت الدعامة. ولعدة ثوان تعلقت بحافة واحدة من سطح المركب، ثم انفلت آخر مسمار.

وكان القارب على إرتفاع ستين متراً فوق سطح الأرض وقد بدأ الآن بالسقوط.

وفي مركز "بوتني ريفر سايد" للمؤتمرات كان رئيس شرطة العاصمة يخاطب حشداً كبيراً من الصحافيين ومصوري المحطات التلفزيونية والموظفين المدنيين والمسؤولين الحكوميين. كان رجلاً طويلاً ونحيلاً وجاداً للغاية، وكان زيه الأزرق الداكن في غاية النظافة، وكانت كل قطعة من الفضة من الأزرار على النسيج المقصب الذي على كتفي سترته العسكرية، وحتى ميدالياته الخمسة، مصقولة لدرجة أنها كانت تشع لمعاناً. كان هذا أهم أيامه، وكان يتقاسم المنصة مع شخصية بارزة لا تقّل عن وزير الداخلية نفسه. وكان مساعد رئيس الشرطة موجوداً بالإضافة إلى سبعة ضباط آخرين من رتب أدنى، وكان الشعار بارزا على الجدار خلفه:

كسب الحرب
ضد المخدرات

أحرف فضية على خلفية زرقاء. كان رئيس الشرطة قد إختار الألوان بنفسه عارفاً بأنها تطابق سترته العسكرية، وكان معجباً بالشعار، وكان يعرف أيضاً أنه سيكون في كل الصحف الرئيسية في اليوم التالي، وبنفس الأهمية تماماً؛ صورة فوتوغرافية له.

– " لم نغفل عن أي شيء" كان رئيس الشرطة يقول وصدى صوته يتردد في الغرفة الحديثة. وكان يستطيع رؤية الصحافيين يكتبون بسرعة كل كلماته، وكانت كل كاميرات التلفاز مركزة عليه. "وبفضل تدخلّي الشخصي وجهودي، لم نكن أكثر نجاحاً من ذي قبل. وزير الداخلية...." إبتسم للسياسي ذي المنصب العالي والذي إبتسم بدوره. " ولكننا لا نعتمد على مجدنا. أوه لا! والآن نأمل في أية لحظة أن نعلن عن تطور هام آخر"

كان ذلك عندما ضرب القارب السطح الزجاجي لمركز المؤتمرات، وكان هناك صوت انفجار، وكان لدى رئيس الشرطة الوقت ليهوي بسرعة تحت غطاء، حين اندفع نحوه فجأة شيء هائل يقطر ماءاً، أما وزير الداخلية فقد ألقي إلى الخلف، وقد طارت نظارته عن وجهه بينما تجمّد رجال الأمن التابعين له غير قادرين على عمل شيء. تحطّم القارب أمامهم بين المسرح والجمهور، وقد تحطم جانب المقصورة وانكشف ما تبقى من المختبر في حين تمدد التاجران معاً في إحدى الزوايا محدقين بذهول في مئات رجال الشرطة والمسؤولين الذين أحاطوا بهما، وانتشرت غيمة من المسحوق الأبيض، وسقط على الزي الأزرق الداكن لرئيس الشرطة مغطياً إياه من رأسه وحتى قدميه. توقفت أجهزة إنذار الحريق وانطفأت الأضواء وبدأ الصراخ.

في غضون ذلك، توجه أول عمال البناء إلى مقصورة الرافعة وكان يحدق بذهول في الصبي ذي الأربعة عشر عاماً الذي وجده هناك.

-"هل ...؟" تلعثم الرجل ثم قال: " هل لديك أي فكرة عما فعلت؟"

نظر أليكس إلى الخطاف الفارغ وإلى الثقب المنفتح في سقف مركز المؤتمرات وإلى الدخان المتصاعد والغبار فهز كتفيه معتذراً.

– "لقد كنت أتحقق فقط من بعض المجرمين. وأعتقد بأنه كان هناك صوت سقوط"، رد أليكس.

بحث وتقرير

على الأقل، لم يكن عليهم أخذه بعيداً. إذ قام رجلان بإنزال أليكس من الرافعة، واحد من تحته على السلم والآخر من فوقه، وكانت الشرطة بانتظارهم في الأسفل. وبينما كان عمال البناء المتشككون يراقبون أليكس، كان مُجبرا على المشي ويداه مقيدتان خلف ظهره، خارجاً من موقع البناء إلى مركز الشرطة الذي يقع على بُعد عدة مبان فقط. وحين مرّ من أمام مركز المؤتمرات، رأى حشود الناس وهي تخرج، وكانت سيارات الإسعاف قد وصلت مسبقاً، كما نُقل وزير الداخلية بسرعة في سيارة ليموزين سوداء. في اللحظة الأولى، كان أليكس قلقاً فعلاً، متسائلاً فيما إذا كان أحد ما قد قتل، فهو لم يقصد أن ينتهي الأمر على هذا النحو.

وحين وصلوا إلى مركز الشرطة، حدثَ كل شيء في دوامة من ضجيج الأبواب وهي تُغلق بعنف، والوجوه الرسمية الفارغة، والجدران المطلية باللون الأبيض، والإستمارات، والمكالمات الهاتفية، وقد سُئلَ أليكس عن اسمه وعمره وعنوانه. رأى ضابط شرطة يطبع التفاصيل على الحاسوب: ولكن الذي حدث بعد ذلك فاجأ أليكس، فقد ضغط الضابط زر التنفيذ (ENTER) ثم تجمّد في مكانه، فاستدار ونظر إلى أليكس، ثم غادر كرسيه على عجل. عندما أدخل أليكس إلى مركز الشرطة كان محور الاهتمام،

لكن الجميع تجنبوا النظر في عينيه فجأة، ثم ظهر ضابط آخر أعلى رتبة، فدار بينهما حديث ثم اقتيد أليكس إلى أحد الممرات في الأسفل ووضع في زنزانة.

وبعد نصف ساعة، ظهرت ضابطة معها صينية طعام وقالت:- " العشاء".

-" ما الذي يحدث؟ " سأل أليكس، فابتسمت الضابطة وهي متوترة، ولكنها لم تقل شيئاً، ثم تابع أليكس قائلاً:- " لقد تركت دراجتي بجانب الجسر"

- " حسناً، لقد أحضرناها" قالت الضابطة، ولم تتمكن من مغادرة الغرفة بسرعة كافية. أكل أليكس الطعام: مقانق وخبز محمص وقطعة من الكعك. وكان في الغرفة سرير خلف شاشة، وكانت هناك مغسلة ودورة مياه. تساءل أليكس ما إذا كان أحد ما سيأتي ليتحدث إليه، ولكن أحدا لم يأت، فشعر بعد ذلك بالنعاس.

الشيء التالي الذي عرفه هو أن الساعة كانت السابعة صباحاً، وكان الباب مفتوحاً وكان هناك رجل يعرفه أليكس جيداً واقفٌ في الغرفة، ينظر إلى أليكس.

- " صباح الخير أليكس" قال الرجل.

- "سيد كرولي." رد أليكس.

بدا جون كرولي كما لو كان مدير بنك رفيع المستوى، عندما قابله أليكس للمرة الأولى كان يتظاهر فعلاً بأنه يعمل في بنك،

فالبذلة الرخيصة وربطة العنق المقلمة قد تكونان من نوعية مارك آند سبنسر- لرجل الأعمال الممل. في الحقيقة، لقد عمل كرولي لدى المخابرات البريطانية MI6، فتساءل أليكس فيما إذا كانت الملابس غطاءاً ما أواختياراً شخصياً.

- " بإمكانك المجيء معي. سنغادر" قال كرولي.

- " هل ستأخذونني إلى المنزل؟ سأله أليكس وقد تساءل فيما إذا كان أحد ما قد أخبر عن مكانه.

- " لا، ليس بعد"

تبع أليكس كرولي خارجين من المبنى، وفي هذا الوقت لم يكن هناك ضباط شرطة، بل وقفت سيارة مع سائقها بانتظاره في الخارج، فركب كرولي في الخلف ومعه أليكس.

- " إلى أين نحن ذاهبون؟" سأل أليكس.

- " سترى" رد عليه كرولي، بينما فتح نسخة من صحيفة الدايلي تلغراف وبدأ بالقراءة، ولم يتحدث ثانية.

توجهوا بالسيارة شرقاً عبر المدينة باتجاه ليفربول ستريت، فعرف أليكس في الحال إلى أين كان يؤخذ، وكما هو متوقع، فقد إستدارت السيارة داخل مدخل بناية مكونة من سبعة عشر طابقاً بالقرب من المحطة، واختفت في موقف سيارات تحت سطح الأرض. لقد كان أليكس هنا من قبل، يزعم هذا المبنى أن يكون إدارة لبنك رويال آند جنرال. وفي الحقيقة، كان هذا المكان هو قسم العمليات الخاصة التابعة للمخابرات البريطانية .MI6

توقفت السيارة ووضع كرولي صحيفته بعيدا وخرج من السيارة مرشداً أليكس أمامه، وكان هناك مصعد في طابق التسوية فصعد كلاهما إلى الطابق السادس عشر.

–" من هنا"، أشار كرولي بيده إلى باب عليه الرقم 1605 فظن أليكس أنها 'مؤامرة غانباودرThe Gun Powder Plot '، وكان ذلك شيئاً سخيفاً ليخطر على باله، جزء من واجبه البيتي في التاريخ الذي كان عليه أدائه في الليلة الماضية، وسنة 1605 هي السنة التي حاول فيها "جاي فوكس" أن يفجّر البرلمان الانجليزي. حسناً، يبدوأن على الواجب المدرسي أن ينتظر.

فتح أليكس الباب ودخل، ولم يتبعه كرولي، وحين نظر أليكس حوله كان كرولي قد مشى مبتعداً.

– "أغلق الباب أليكس وادخل"

ومرة أخرى، وجد أليكس نفسه واقفاً أمام الرجل المتجهم والمتزمت، الذي كان يترأس قسم العمليات الخاصة في المخابرات البريطانية MI6، ببذلته الرمادية ووجهه الرمادي وحياته الرمادية... بدا "ألين بلنت" وكأنه ينتمي لعالم عديم الألوان تماماً. كان ألين يجلس خلف طاولة خشبية في مكتب كبير مربع الشكل، يشبه أي مكان عمل في العالم. ولم يكن في الغرفة شيء خاص، ولا حتى صورة على الجدار أوصورة فوتوغرافية على الطاولة، حتى الحمائم التي كانت تنقر على حافة النافذة في الخارج كانت رمادية.

ولم يكن بلنت وحده، فقد كانت السيدة جونز معه جالسة على كرسي من الجلد مرتدية سترة بنية وفستاناً، وكالعادة كانت تمص قطعة حلوى بطعم النعناع. نظرت السيدة جونز إلى أليكس بعيون سوداء كالخرز، وقد بدت مسرورة لرؤيته أكثر من رئيسها، وكانت هي من بدأ الكلام، أما بلنت فقلّما انتبه إلى حقيقة أن أليكس قد دخل الغرفة.

ثم نظر بلنت وقال:- "لم أتوقع رؤيتك بهذه السرعة"

- "هذا ما كنت سأقوله" رد عليه أليكس، وكان هناك كرسي فارغ في المكتب فجلس فيه أليكس.

مرر بلنت ورقة عبر طاولته وتفحصها بسرعة وقال:- "ما الذي كنت تفعله في إعتقادك؟ هذا العمل في الرافعة؟ لقد أحدثت خراباً هائلاً. لقد دمّرت بالفعل مركزاً للمؤتمرات بقيمة مليوني جنيه. إنها معجزة أن أحداً لم يمت"

- "وسيبقى الرجلان في المستشفى لشهور"، أضافت السيدة جونز.

- "وكان يمكن أن تقتل وزير الداخلية. كان ذلك سيكون القشة الأخيرة. ما الذي كنت تفعله؟" تابع بلنت قائلاً:

- "لقد كانا تاجري مخدرات" قال أليكس.

- "وهذا ما اكتشفناه. ولكن الإجراء الاعتيادي هو الاتصال على الرقم 999"

- "لم أستطع العثور على هاتف" قال أليكس متنهدا ثم تابع

شارحا:– " لقد أطفأوا الرافعة. كنت سأضع القارب في موقف السيارات"

طرف بلنت بعينيه مرة واحدة، وأشار بيده وكأنه يُبعِد عن تفكيره كل شيء، وقال:

–" لحسن الحظ أن وضعك الخاص قد ظهر على حاسوب الشرطة، فقاموا باستدعائنا وقمنا نحن بالبقية"

– " لم أكن أعرف أن لي وضعاً خاصاً، قال أليكس.

– " أوه نعم أليكس، إذا لم يكن لك وضع خاص، فإنك ستكون نكرة"، قال بلنت وقد حدّق في أليكس للحظة ثم أضاف قائلاً:– "ولهذا السبب أنت هنا"

– " إذا ألن ترسلني إلى البيت؟" قال أليكس.

– " لا. في الحقيقة أليكس أننا كنا نفكر في التعاقد معك على أية حال. نحن بحاجة إليك مرة أخرى"

– "على الأرجح أنت الوحيد القادر على فعل ما نفكر فيه"، أضافت السيدة جونز.

– " انتظروا لحظة!" هزّ أليكس رأسه قائلا، ثم تابع:– " أنا متخلف عن المدرسة بما فيه الكفاية، وافترضوا أنني لست مهتماً؟"

تنهدت السيدة جونز وقالت: – " بإمكاننا بالطبع إعادتك إلى الشرطة. وكما فهمت الأمر، فقد كانوا متحمسين جداً لمقابلتك"

– "وكيف حال الآنسة ستاربرايت؟"، سأل بلنت.

كان اسم "جاك ستاربرايت" اختصاراً لجاكي أوجاكلين، ولم

يكن أليكس متأكداً من ذلك. كانت جاك مدبرة المنزل التي كانت تعتني بأليكس بعد موت عمه. لقد كانت فتاة أمريكية مرحة ولها شعر أحمر جاءت إلى لندن لدراسة القانون ولكنها لم تغادر أبداً. ولم يكن بلنت يسأل عنها لأنه مهتم بصحتها، لقد عرف أليكس ذلك، ففي المرة الأخيرة التي تقابلا فيها وضح رأيه تماماً، فطالما كان أليكس يفعل كما يؤمر، سيكون بإمكانه البقاء في منزل عمه مع جاك. وفيما عدا ذلك، سيتم إرسالها إلى أمريكا، وسيرسل أليكس إلى إحدى دور الرعاية، وبالطبع كان هذا ابتزازاً واضحاً.

– "إنها بخير" رد أليكس بينما بدا الغضب واضحاً في صوته.

تولت السيدة جونز الحديث وقالت:– " بربك أليكس. لماذا تتظاهر بأنك فتى مدرسة عادي؟"

كانت تحاول أن تبدو ودودة اكثر، أومثل أم رؤوم. ولكن أليكس فكّر أنه حتى الأفاعي لها أمهات.

–" لقد أثبت نفسك مرة. ونحن فقط نعطيك فرصة لفعل ذلك مرة أخرى"، تابعت السيدة جونز.

– "على الأرجح أن كل ذلك لن يفيد في شيء. إنه مجرد شيء بحاجة لأن نتحقق منه فقط. وبإمكاننا أن نسمي ذلك بحث وتقرير"، قال بلنت.

– "ولماذا لا يستطيع كرولي القيام بذلك؟" سأل أليكس.

– " إننا بحاجة إلى صبي"

أحس أليكس بالصمت، وأخذ ينظر إلى بلنت والسيدة جونز، وكان يعرف أن أياً منهما لن يتردد ثانية واحدة قبل إخراجه من مدرسة بروكلاند وإرساله إلى واحدة من أكثر دور الرعاية بشاعة من التي يمكنهم العثور عليها. وعلى أية حال، ألم يكن هذا الشيء الوحيد الذي كان يسأل عنه في اليوم السابق فقط؟ مغامرة أخرى. فرصة أخرى لإنقاذ العالم.

– "حسناً، ما الأمر هذه المرة؟" قال أليكس.

أومأ بلنت للسيدة جونز والتي كانت تفتح قطعة حلوى ثم بدأت بالحديث.

– " كنت أتساءل إذا كنت تعرف أي شيء عن رجل يدعى مايكل جي روزكو"، سألته السيدة جونز.

فكر أليكس للحظة ثم قال: – " إنه رجل الأعمال الذي تعرض لحادث في نيويورك"، وكان أليكس قد رأى نشرة الأخبار على شاشة التلفاز ثم تابع قوله: " ألم يسقط أسفل برج المصعد أوشيئاً من هذا القبيل؟"

– "روزكو للالكترونيات واحدة من أكبر الشركات في أميركا. وفي الحقيقة، إنها واحدة من أكبر الشركات في العالم؛ حواسيب، وأجهزة فيديو، ومشغلات DVD.... وكل شيء بدءاً من الهواتف النقالة وحتى الغسالات. لقد كان روزكو غنياً جداً وذونفوذ ــ " قالت السيدة جونز.

– "وقصير البصر للغاية أيضاً"، قال أليكس مقاطعاً السيدة جونز.

– "ومن المؤكد أنه يبدو حادثاً غريباً جداً، بل طائش"، قالت السيدة جونز ثم تابعت "وبشكل ما عجز المصعد عن العمل بطريقة سوية، ولم يكن روزكو ينظر إلى أين يذهب فسقط في برج المصعد ومات. هذا هو الرأي العام. ومع ذلك، لسنا متأكدون تماماً"

– "ولم لا ؟" رد أليكس.

– " أولاً: ثمة العديد من التفاصيل التي لم تظهر. وفي اليوم الذي مات فيه روزكو تم استدعاء مهندس صيانة يدعى "سام جرين" إلى روزكو تاور في الشارع الخامس. نحن نعلم بأنه كان جرين، أوشخصاً بدا شبيهاً جداً به لأننا رأيناه. لقد قاموا بإغلاق الدوائر الكهربائية لكاميرات المراقبة وتم تصويره وهو يدخل. لقد قال بأنه جاء ليلقي نظرة على إحدى الأسلاك المعطلة. ولكن حسب الشركة التي وظفته، لم يكن هناك أي سلك معطل وهو بالتأكيد لم يكن يعمل بناءا على أوامر من الشركة."

– " ولماذا لا تتحدثون إليه ؟" سأل أليكس.

– " نود ذلك. ولكن جرين اختفى من غير أثر، ونحن نعتقد بأنه قتل وأن شخصاً ما قد أخذ مكانه وبطريقة ما دبّر أمر الحادث الذي قتل روزكو"

هز أليكس كتفيه وقال: " أنا متأسف، أنا متأسف بشأن السيد روزكو. ولكن ما علاقة الأمر بي؟"

قالت السيدة جونز: – " سأتحدث عن ذلك"، ثم تابعت قائلة: أغرب شيء في ذلك هو أنه في اليوم السابق لموته اتصل روزكو

بهذا المكتب في مكالمة شخصية وطلب التحدث إلى السيد بلنت."

– " قابلتُ روزكو في جامعة كامبردج. كان ذلك منذ وقت طويل، وأصبحنا أصدقاء."

فوجىء أليكس بذلك، فهو لم يعتقد بأن بلنت من النوع الذي يكون له أصدقاء، ثم سأل: " وماذا قال؟"

– " لسوء الحظ لم أكن هنا لتلقي المكالمة، فحاولت التحدث إليه في اليوم التالي، وبحلول ذلك الوقت، كان الأوان قد فات"

– " وهل لديك أي فكرة عما أراد؟"

– " تحدثت إلى مساعدته" ردت السيدة جونز ثم تابعت قائلة:– " لم تكن قادرة على إخباري الكثير، ولكنها فهمت أن روزكو كان قلقاً بخصوص إبنه. لقد كان لديه ابن في الرابعة عشر من العمر، باول روزكو"

ابن في الرابعة عشر من العمر. كان أليكس قد بدأ برؤية مجرى الأحداث.

– "كان باول ابنه الوحيد"، بدأ بلنت بالشرح ثم أضاف قائلاً" أخشى أنه كان بينهما علاقة صعبة، فقد طلّق روزكو زوجته قبل عدة سنوات، ومع أن الصبي اختار العيش مع والده، إلا أنهما لم يتفقا فعلاً، فقد كانت هناك المشاكل المتعلقة بالمراهقين، وبالطبع عندما تكبر وأنت محاط بملايين الدولارات، فإن هذه المشاكل تصبح أكبر. لم يكن باول يبلي بلاءً حسناً في المدرسة، وكان يتغيب بدون إذن، ويقضي وقته مع أصدقاء غير مرغوبين، وكانت هناك حادثة مع شرطة نيويورك، لم يكن الأمر شيئاً

مهماً، فقد تمكّن روزكو من كتمان الأمر لكن الأمر لم يزل يزعجه. تحدثت إلى روزكو من وقت إلى آخر. كان قلقاً على باول وشعر بأن الصبي قد خرج عن السيطرة، ولكن لم يكن هناك شيء يستطيع عمله".

– " إذاً هذا ما أردتني لأجله ؟" قاطعه أليكس. " تريدني أن أقابل هذا الفتى وأتحدث إليه حول موت والده ؟"

– " لا" رد السيد بلنت وقد هزّ رأسه وأعطى ملفاً للسيدة جونز.

فتحت السيدة جونز الملف، فلمح أليكس صورة فوتوغرافية فيه لرجل أسمر البشرة بلباس عسكري، وقالت: " تذكّر ما قلناه لك عن روزكو لأنني سأخبرك الآن عن رجل آخر"، ثم أدارت الصورة لأليكس ليتمكن من رؤيتها وقالت:– " هذا الجنرال فيكتور إفانوف، عميل سابق في المخابرات الروسية. وحتى أيلول الماضي كان رئيساً للمخابرات الأجنبية، وعلى الأرجح كان ثاني أوثالث أقوى الرجال في روسيا بعد الرئيس. ولكن بعد ذلك حصل له شيء ما كذلك، فقد كان حادث لزورقه في البحر الأسود، إذ انفجر زورقه البحري... ولم يعرف أحد السبب"

– " وهل كان صديقا لروزكو ؟" سأله أليكس.

– " من المرجح أنهما لم يتقابلا أبداً، ولكن لدينا هنا قسم يراقب أخبار العالم باستمرار، وقد توقفت حواسيبهم عن العمل صدفة. وكان لدى إيفانوف أيضاً صبي في الرابعة عشر من عمره اسمه ديمتري. وهناك شيء واحد مؤكد، إذ كان إيفانوف الصغير يعرف روزكو الصغير لأنهما ارتادا المدرسة نفسها"

– " باول وديمتري...." قال أليكس ذلك وهو في حيرة من أمره: " ما الذي كان يفعله صبي روسي في مدرسة في نيويورك؟"

– " لم يكن في نيويورك" رد بلنت قائلاً " كما أخبرتك، كان روزكو يعاني من المتاعب مع ابنه، متاعب في المدرسة، ومتاعب في المنزل. لذلك في السنة الأخيرة قرر أن يتصرف فأرسل باول إلى أوروبا في مكان ما في فرنسا، إلى مدرسة 'اتكيت.' هل تعرف ما هي هذه المدرسة ؟"

– " أعتقد أنها مكان اعتاد الأغنياء إرسال بناتهم إليه ليتعلمن آداب المائدة"، رد أليكس.

– " تلك هي الفكرة العامة. ولكن هذه المدرسة للفتيان فقط، وليس للفتيان العاديين فقط، فالرسوم تبلغ عشرة آلاف جنيه لكل فصل دراسي. هذا حسبما تقول كرّاسة الدعاية. بإمكانك إلقاء نظرة " ثم قام بتمرير كتيب ثقيل مربع الشكل لأليكس وكان مكتوباً على غلافه الأسود بأحرف ذهبية الكلمتين التاليتين:

نقطة شاحبة

" إنها على الحدود الفرنسية السويسرية بالضبط" ، بدأ بلنت بالشرح ثم تابع قائلاً: –"جنوب جنيف وفوق غرينوبل مباشرة، في جبال الألب الفرنسية وتدعى نقطة شاحبة"، قال بلنت الكلمات بلجة فرنسية، "ومعناها الحرفي 'النقطة البيضاء.'

إنها مكان رائع بُنيَ ليكون منزلاً خاصاً لأحد الحمقى في القرن التاسع عشر، وفي حقيقة الأمر، هذا ما أصبح عليه بعد موته.... مستشفى للمجانين. امتلكها الألمان في الحرب العالمية الثانية، واستعملوها كمركز للتسلية لكبار مسؤوليهم، وبعد ذلك، تعرّضت للتدمير حتى تم شراؤها من قبل المالك الحالي، رجل يدعى جريف، الدكتور 'هوغو جريف.' إنه رئيس المدرسة، ما افترض بأنك تسميه مدير المدرسة"

فتح أليكس كراسة الدعاية فوجد نفسه ينظر إلى صورة فوتوغرافية ملونة لهذا المكان. نقطة شاحبة لقد كان بلنت محقاً، فقد كانت المدرسة لا تشبه شيئاً قد رآه أليكس من قبل أبداً؛ شيء ما بين القلعة الألمانية والقصر الفرنسي، وكأنه خارج من قصص 'جريم' عن الجنيات الساحرات. ولكن الذي أذهب أنفاس أليكس أكثر من المبنى نفسه كان الموقع، فقد كانت المدرسة جاثمة على حافة أحد الجبال ولا يحيطها سوى الجبال، كومة هائلة من الحجارة والطابوق محاطة بمنظر طبيعي مغطى بالثلج. بدت المدرسة وكأنها في خارج محلّها في ذلك المكان، كما لو أنها قد انتُزعّت من مدينة قديمة وسقطت هناك سهواً. ليست هناك طرق تؤدي إلى تلك المدرسة. كان الثلج يستمر حتى بوابة المدرسة الأمامية. ولكنه بعد أن نظر ثانية، لاحظ أليكس وجود منصة مروحيات حديثة فوق أبراج السور. فخمّن أن تلك هي الطريقة الوحيدة للذهاب إلى هناك والمغادرة من هناك.

قلب الصفحة:

أهلاً وسهلاً بكم في أكاديمية
نقطة شاحبة.

وبدأت المقدمة. كانت المقدمة مطبوعة بنوع من الطباعة التي يتوقع أليكس أن يجدها في قائمة المأكولات في مطعم من المطاعم الغالية جداً.

مدرسة فريدة، هي في الواقع أكثر بكثير من مجرد مدرسة، وجدت للصبيان الذين يحتاجون إلى أكثر مما يستطيع النظام التعليمي التقليدي أن يوفّر. في زماننا، كانوا يسمونا مدرسة 'لصبيان المشاكل'، ولكننا لا نعتقد أن التسمية صحيحة.

هنالك مشاكل، وهناك صبيان. وهدفنا هو الفصل بينهما.

-" ليست هناك ضرورة لقراءة كل هذه الأمور،" قال بلنت. "كل ما تحتاج أن تعرفه هو أن هذه الأكاديمية تستقبل الأولاد الذين يُفصلون من جميع المدارس الأخرى. وليس هناك العديد من الأولاد الذين تنطبق عليهم هذه الصفة فيها، بل هناك ست أو سبع منهم في المرة الواحدة. كما أنها متفرّدة في جوانب أخرى أيضا. وأول شيء هو أنها لا تستقبل إلا ابناء الأغنياء للغاية ———"

-"عشرة آلاف جنيهاً في الفصل الواحد، لا غرابة"، قال أليكس.

قال بلنت:-"ولكنك سوف تستغرب لو عرفت كم هو عدد الآباء الذين تقدّموا بطلبات ليقبلوا أبناءهم هناك، لكنني أفترض أنك تحتاج فقط أن تنظر في الصحف لتعرف ما مدى سهولة انحراف المرء، عندما يولد وفي فمه ملعقة من فضة. وليس هناك فرق لو كانوا سياسيين، أونجوم غناء البوب؛ فشهرة الوالدين وثروتهم كثيراً ما تجلب المشاكل للأولاد. وكلما كان الوالدين أكثر نجاحاً، كلما تزداد الضغوط. بدأت الأكاديمية بالعمل لتنظيم الشباب، وقد سجّلت نجاحاً منقطع النظير بكل المقاييس."

-"أسست قبل عشرين عاماً" قالت السيدة جونز. "في ذلك الوقت، كان من الصعب التصديق بقائمة عملائها. بالطبع، لقد أبقوا الأسماء سرية، ولكني يمكن أن أقول لك بأن من بين الآباء الذين أرسلوا أطفالهم هناك هو نائب رئيس أمريكي، وعالم حائز على جائزة نوبل، وعضو في عائلتنا المالكة!"

- " بالإضافة إلى روزكو وهذا الرجل، إيفانوف" قال أليكس.

- " نعم".

هزّ أليكس كتفيه وقال:- " إذاً هي صدفة كما قلت بالضبط، والدان ثريان ولديهما في نفس المدرسة قتلوا في حوادث. ولماذا أنت مهتم جداً؟"

– " لأنني لا أحب المصادفات"، رد عليه بلنت ثم قال:– " في الحقيقة، أنا لا أؤمن بالمصادفات. وحيثما رأى الناس مصادفة، رأيت أنا مؤامرة. هذا هو عملي"

فقال أليكس في نفسه أهلاً وسهلاً بك في هذا، ثم قال:– " هل تعتقد حقاً أن المدرسة وهذا الرجل المدعو جريف قد تكون لهم علاقة بموت الرجلين؟ لماذ؟ هل نسيا دفع الرسوم؟"

لم يبتسم بلنت، فقال:–" يتصل روزكو بي لأنه قلق على ابنه، فيموت في اليوم التالي. لقد عرفنا أيضاً من مصادر في المخابرات الروسية أنه وقبل أسبوع من موته، حدث جدل عنيف بين إيفانوف وابنه. ومن الواضح أن إيفانوف كان قلقاً من شيء ما. والآن هل ترى الرابط ؟"

فكر أليكس لبرهة ثم قال:–" إذا تريدني أن اذهب إلى المدرسة. وكيف سترتب ذلك ؟ ليس لدي والدان، كما أنهما لم يكونا أثرياء أبداً على أية حال"؟

– " لقد رتبنا لذلك مسبقاً " قالت السيدة جونز، فأدرك أليكس بأنه لا بد وأنها أعدت خططها قبل أن يحدث ما حدث في الرافعة. وحتى لو لم يلفت الانتباه لنفسه، فقد كانوا سيأتون من اجله. تابعت السيدة جونز قولها:– " سنعطيك أباً ثرياً اسمه السير ديفيد فريند"

– " فريند كما في أسواق فريند المركزية ؟" فقد رأى أليكس الاسم مراراً في الصحف.

-" الأسواق المركزية، والمتاجر الضخمة، وصالات الفنون، وفرق كرة القدم: " قالت السيدة جونز ثم تابعت"، من المؤكد أن فريند عضوٌ في نفس النادي مثل روزكو. نادي أصحاب المليارات. وهو كذلك متدخل في الأوساط الحكومية على نحو عميق باعتباره مستشاراً شخصياً لرئيس الوزراء. وثمة القليل جداً مما يحدث في هذا البلد بدون اشتراك السير ديفيد بطريقة ما."

- " لقد اعددنا لك هوية مزيفة" قال بلنت، ثم تابع: " ومن هذه اللحظة فصاعداً، أريدك أن تبدأ بالتفكير في نفسك على اعتبار انك أليكس فريند، ابن السير ديفيد ذي الأربعة عشر عاماً."

- " لن أعمل، إذ لا بد أن الناس يعرفون أن فريند ليس لديه ابن،" قال أليكس.

-"على الإطلاق" هزّ بلنت رأسه قائلاً " إنه شخص سري جداً، وقد أبتدعنا نوعاً من الأبناء لا يريد أي والد الحديث عنه. ابن مطرود من مدرسة إيتون، وله سجل إجرامي سرقة، وتخريب، وحيازة المخدرات. هذا أنت يا أليكس. والسير ديفيد وزوجته كارولين لا يعرفان ماذا يفعلان بشأنك، لذلك قاما بتسجيلك في الأكاديمية فتم قبولك."

-" وهل وافق السير ديفيد على كل هذا ؟ " سأل أليكس.

تنشق بلنت، وقال: " في حقيقة الأمر، لم يكن سعيداً جدا بهذا- أن نستخدم شخص صغير السن مثلك. ولكنني تحدثت إليه مطولاً، ونعم لقد وافق على المساعدة."

– " إذاً متى سأذهب إلى الأكاديمية ؟"

–" بعد خمسة أيام من الآن"، ردت السيدة جونز " ولكن عليك أولاً أن تغمر نفسك في حياتك الجديدة. وعندما تغادر من هنا، سنكون قد رتبنا لك أن تؤخذ إلى منزل السير ديفيد. لديه منزل في لانكاشير، وهو يعيش هناك مع زوجته وابنته، إنها أكبر منك بعام واحد، وستقضي بقية الأسبوع مع العائلة التي ستمنحك الوقت لتتعلم كل شيء أنت بحاجة لمعرفته. ومن المهم يكون لديك غطاء قوي، وبعد ذلك ستغادر إلى غرينوبل"

– " وماذا أفعل حين أصل إلى هناك ؟"

– "سنعطيك بياناً موجزاً مع اقتراب الوقت، وبشكل أساسي، سيكون عملك هو أن تكتشف كل ما تستطيع اكتشافه، ومن المحتمل أن تكون هذه المدرسة عادية تماماً، ولا يوجد صلة في الواقع بين الميتتين، وإن كان الأمر كذلك فإننا سنقوم بسحبك من هناك، ولكننا نريد أن نتأكد."

– " وكيف سأتصل بك ؟" سأل أليكس.

– "سنرتب لكل ذلك " قالت السيدة جونز بينما نظرت إلى أليكس ثم استدارت نحو بلنت وقالت:– " علينا أن نفعل شيئا ما بشأن مظهره، فهو لا يبدومتفقاً مع دوره."

–" تكفّلي بالأمر " قال بلنت.

تنهد أليكس، فقد كان الأمر غريبا حقا، إذ كان ذاهباً ببساطة من مدرسة إلى أخرى، من مدرسة لندن الشاملة إلى مدرسة للبنات

في فرنسا، ولم تكن تلك المغامرة التي توقعها بالضبط.

وقف أليكس وتبع السيدة جونز خارج الغرفة. وحين غادر، كان بلنت يدقق في وثائق وكأنه نسي أن أليكس كان هنا أوحتى أنه كان موجوداً على الإطلاق.

حفلة الصيد

سارت سيارة الرولز رويس كورنش التي يقودها سائق على طول الطريق المحاط بالأشجار متعمقا أكثر وأكثر في ريف لانكشاير، وكان محركها الـ V8 ذوسعة ٦,٧٥ لترات من الزيت الخفيف الضغط، يهمس همساً وسط المنطقة الخضراء المحيطة العظيمة والهادئة، بينما جلس أليكس في الخلف محاولا أن يبدوغير متأثر بالسيارة التي تزيد تكلفتها عما يكلف إحدى المنازل، ناهيك عن سجاد ويلتون الصوفي، وألواح الأبواب الخشبية والمقاعد الجلدية، فقال في نفسه؛ إنها مجرد سيارة.

كان اليوم هو اليوم الذي تلا لقائه في المخابرات البريطانية MI6. وكما وعدت السيدة جونز، فقد تغير مظهره كلياً، إذ كان عليه أن يبدومثل ولد ثري، متمرد، أراد أن يعيش حسب قواعده هو، لذلك ارتدى أليكس ملابس استفزازية عن قصد. كان يرتدي كنزة قطنية سميكة لها قلنسوة، وبنطال جينز ماركة تومي هيلفيغر ممزّق من الكاحلين، وبذلة رياضية كانت تتدلى أجزاؤها فوق قدميه. وعلى الرغم من إحتجاجه، فقد قص شعره لدرجة بدا وكأنه أصلع، كما أن أذنه اليمنى قد ثُقبت، وكان لا يزال يشعر بها تخفق تحت القرط المؤقت الذي وضع لمنع الثقب من الانغلاق.

وصلت السيارة إلى مجموعة من البوابات المصنوعة من الحديد، والتي فتحت أوتوماتيكياً لاستقبال السيارة. كان هناك 'هافرستوك هول'، منزل هائل له أشكال حجرية على الشرفة، ناهيك عن سعره الذي يبلغ سبعة أرقام، كان السير ديفيد قد اشتراه قبل عدة سنوات، وكانت السيدة جونز قد أخبرت أليكس بأن السير ديفيد أراد مكاناً في الريف. وقد بدا وكأن نصف لانكشاير قد جاءت مع المنزل، فقد إمتدت الأراضي لأميال في كل الاتجاهات، في حين انتشرت الأغنام عبر التلال على إحدى الجوانب وثلاثة خيول على الجانب الآخر تراقب من داخل فناء مسيّج. كان المنزل نفسه من العصر الجورجي؛ طابوق أبيض ونوافذ رفيعة وأعمدة، وبدا كل شيء مرتباً للغاية. كانت هناك حديقة مسورة مع أسرّة موزعة على مسافات بالتساوي، وبركة سباحة منزلية زجاجية ملحقة بالمنزل ومربعة الشكل، ومجموعة من الأسيجة الزخرفية وكانت كل ورقة في مكانها بالضبط.

توقفت السيارة وأدارت الخيول أعناقها لتراقب أليكس وهو يترجل من السيارة في حين كانت ذيولها تطرد الذباب بإيقاع، بينما لم يتحرك فيها أي شيء آخر.

مشى السائق نحو صندوق السيارة وقال: "سيكون السير ديفيد في الداخل"، ولم يكن السائق قد استحسن أليكس منذ اللحظة الأولى التي رآه فيها. بالطبع هو لم يقل الكثير فقد كان محترفا للغاية، ولكنه أظهر ذلك من خلال عينيه.

تحرّك أليكس مبتعداً عن السيارة باتجاه الغرفة الزجاجية الملحقة بالمنزل على الجانب الآخر من الطريق. لقد كان نهاراً دافئاً والشمس تضرب الزجاج وقد بدا الماء على الجانب الآخر مغرياً بشكل مفاجئ، فمشى من خلال مجموعة من الأبواب، فكان الجو حاراً في داخل الغرفة الزجاجية في حين انبعثت رائحة الكلور من الماء وقد كتمت أنفاسه.

اعتقد أليكس أن البركة فارغة، ولكنه شاهد شخصاً يسبح صاعداً من قعر الماء متجهاً نحو السطح أمامه مباشرة. لقد كانت فتاة مرتدية ملابس سباحة بيضاء، وكان شعرها أسود طويل وعيناها داكنتين، بينما كانت بشرتها شاحبة. اعتقد أليكس أنها لا بد أن تكون في الخامسة عشر من عمرها، وقد تذكّر ما قالته السيدة جونز بشأن السير ديفيد فريند " لديه ابنة تكبرك بسنة واحدة"، لذلك لا بد وأنها هي، فراقبها وهي تخرج من الماء، وكان جسمها جميلاً وتقترب من كونها امرأة أكثر من كونها فتاة، كما أنها ستصبح جميلة، كان هذا شيئاً مؤكداً. لكن المشكلة هي أنها عرفت الأمر مسبقاً. وعندما نظرت إلى أليكس، لمع في عينيها شيء من العجرفة.

– " من أنت ؟ وماذا تفعل هنا ؟ " سألته الفتاة.

– " أنا أليكس."

– " أوه، نعم "، قالت ذلك وقد بحثت عن المنشفة ولفتها حول عنقها ثم تابعت قائلة:

-" لقد قال والدي انك قادم - ولكنني فقط لم أتوقع منك أن تدخل بهذه الطريقة"، وكان صوتها ناضجاً جداويدل على أنها من الطبقة العليا، فقد بدا غريباً وصادراً من فم تلك الفتاة ذات الخمسة عشر عاماً، ثم قالت:- " هل تسبح ؟"

-" نعم " رد أليكس.

فقالت:- " هذا مؤسف. لا أحب مشاركة أحد في السباحة في البركة خاصة مع صبي، وصبي ذورائحة كريهة من لندن "، بينما مرّت بعينيها على أليكس وهو يرتدي الجينز المهترىء وشعره المحلوق والقرط في أذنه، فهزت كتفيها قائلة:- " لا أستطيع تخيّل السبب الذي جعل والدي يوافق على بقائك هنا، والتظاهر بأنك أخي ! يا لها من فكرة فظيعة! ولو كان لدي أخ لكان من المؤكد بأنه لن يكون بهذا الشكل"

كان أليكس يتساءل فيما لو حمل الفتاة ورماها في البركة أوخارج النافذة، لكنه شعر أن خلفه حركة، فاستدار ليرى رجلاً ارستقراطياً طويلاً بشعر أشيب متجعد يضع نظارات ويرتدي سترة رياضية وقميصاً بياقة مفتوحة وبنطلوناً من قماش الكوردروي. وقد بدا كذلك مصدوماً من مظهر أليكس، ولكنه استدرك الأمر بسرعة ومد يده وسأل:- " أنت أليكس؟"

- " نعم" رد أليكس.

- " أنا ديفيد فريند "

هز أليكس يده وقال بأدب:- " كيف حالك ؟"

– " أتمنى أنك قضيت رحلة جيدة. أرى أنك قابلت إبنتي"، قال ذلك بينما إبتسم وهو ينظر إلى ابنته التي كانت تجلس بجانب البركة تجفف نفسها متجاهلة كليهما.

– " في الحقيقة لم نتعرف على بعضنا " قال أليكس.

– " اسمها فيونا. وأنا متأكد أنكما ستتفقان جيداً"، ولكن السير ديفيد لم يبدو واثقاً، فأشار بيده باتجاه المنزل وقال:– " لم لا نذهب ونتحدث في مكتبي؟"

تبعه أليكس عبر الطريق باتجاه المنزل، ففتح الباب الأمامي على قاعة كالتي تظهر في المجلات الباهظة الثمن. كان كل شيء مثالياً، الأثاث التراثي، والزخارف واللوحات الموضوعة أيضاً. ولم تكن هناك ذرة غبار يمكن رؤيتها، حتى ضوء الشمس الذي إنهمر من خلال النوافذ بدا صناعياً تقريباً وكأنه كان موجوداً فقط ليجعل كل شيء يقع عليه يبدوأجمل. لقد كان منزلاً لرجل يعرف بالضبط ماذا يريد، ولديه الوقت والمال للحصول على ما يريد.

– " مكان جميل " قال أليكس.

– " شكراً لك. أرجوك من هذا الطريق"، رد عليه السير ديفيد وقد فتح باباً ثقيلاً ألواحه من خشب السنديان ليظهر وراءه مكتباً عصرياً متطوراً، وكانت هناك طاولة وكرسي على الجانب الآخر وزوجاً من الحواسيب، وأريكة بيضاء جلدية ومجموعة من رفوف الكتب المعدنية، فعرض السير ديفيد لأليكس كرسياً ليجلس عليه خلف الطاولة.

لم يكن السير ديفيد واثقاً من نفسه، فقد تمكن أليكس من إدراك ذلك مباشرة، ولعل السير ديفيد كان يدير إمبراطورية أعمال تقدر بملايين وحتى مليارات الجنيهات، إلا أن ذلك كان خبرة جديدة بالنسبة له. وبوجود أليكس هناك وهو يعرف من كان وماذا كان، إلا انه لم يكن متأكداً تماماً من كيفية التصرف.

- " لم يخبروني سوى القليل جداً عنك "، بدأ السير ديفيد بالحديث ثم تابع قائلاً " اتصل ألين بلنت معي وطلب مني أن أضعك هنا لبقية الأسبوع لأتظاهر بأنك ابني. وعلي القول بأنك لا تشبهني في أي شيء."

قال أليكس:- " حتى أنا لا أشبه نفسي في أي شيء "

- " أنت في طريقك إلى مدرسة ما في جبال الألب الفرنسية. وهم يريدون منك أن تتحقق منها " قال السير ديفيد ذلك وتوقف عن الكلام برهة ثم أضاف قائلاً: " لم يسألني أحد عن رأيي. ولكنني سأخبرك به على أية حال. أنا لا أحب فكرة أن يتم إستخدام فتى في الرابعة عشر من العمر كجاسوس. إنها مخاطرة ـــ."

- " أستطيع العناية بنفسي " قاطعه أليكس قائلاً.

- " اقصد أنها مخاطرة بالنسبة للحكومة. فإذا قتلت واكتشف أحد ما ذلك، فقد يسبب ذلك حرجاً كبيراً لرئيس الوزراء. لقد نصحته ضد هذه الفكرة، ولكنه للمرة الأولى عارضني. ويبدوأن القرار قد تم اتخاذه مسبقاً. فهذه المدرسة ـ أو الأكاديمية قد اتصلت بي قبل الآن لتقول لي أن

المدير المساعد سيأتي إلى هنا لأخذك يوم السبت القادم. إنها امرأة، تدعى السيدة ستيلينبوش. إنه اسم جنوب إفريقي على ما اعتقد ... "

وكان لدى السير ديفيد عدد من الملفات الضخمة على طاولته، فدفعها إلى الأمام وقال:- " في غضون هذا الوقت، عرفت بأنه عليك أن تتعرف على تفاصيل عائلتي. لقد أعددت عدداً من الملفات، وستجد كذلك معلومات هنا عن المدرسة التي قصدتها والتي طردت منها، مدرسة إيتون. وبإمكانك البدء بقراءتها الليلة، وإن احتجت لمعرفة المزيد، أسأل فقط. وستكون فيونا معك طوال الوقت." نظر إلى أطراف أصابعه ثم أضاف قائلاً:- " أنا متأكد أن ذلك في حد ذاته سيكون تجربة لك."

فتح الباب ودخلت امرأة، كانت نحيفة وشعرها اسود، تشبه إبنتها كثيراً، كانت ترتدي فستاناً بسيطاً بنفسجي اللون وسلسلة من اللؤلؤ حول عنقها، بادرت قائلة:- " ديفيد " ثم توقفت عن الحديث حين رأت أليكس.

- " هذه زوجتي "، قال فريند ثم تابع: " كارولين، هذا هو الصبي الذي كنت أخبرك عنه، أليكس "

- " سعيدة جداً لمقابلتك يا أليكس " قالت السيدة كارولين محاولة الابتسام، ولكن شفتيها ارتعشتا بشكل خافت ثم أضافت:- " لقد علمت بأنك ستقيم معنا لفترة من الزمن."

- رد أليكس " نعم يا أمي " فاحمر وجهها خجلاً.

- "عليه أن يتظاهر بأنه ابننا "، ذكّرها السير ديفيد بذلك،

واستدار نحو أليكس وقال: " لا تعرف فيونا أي شيء عن المخابرات البريطانية MI6 وبقية الأمور. ولا أريد أن أسبب لها الذعر. لقد أخبرتها بأن للأمر علاقة بعملي تجربة اجتماعية إن أحببت. وستتظاهر هي بأنك شقيقها لمنحك أسبوعاً في الريف كجزء من العائلة. وأفضّل ألا تخبرها الحقيقة."

– " سيكون العشاء جاهزاً بعد نصف ساعة " قالت السيدة كارولين وأضافت قائلة بينما تنشقت أنفاسها:– " هل تأكل لحم الغزال؟" ثم سألته:– " ربما تريد الاغتسال قبل أن تأكل؟ سأريك غرفة الحمام "

مرر السير ديفيد الملفات لأليكس وقال: " لديك الكثير لتقرأه. واخشى أنه علي العودة إلى لندن غداً، فلدي غداء مع الرئيس الفرنسي، لذلك لن أكون قادراً على مساعدتك. ولكن كما قلت، إن كان ثمة شيء لا تعرفه ـــ "

– " فيونا فريند"، رد أليكس.

أعطي أليكس غرفة صغيرة ومريحة تقع في الجزء الخلفي من المنزل، فأخذ حماما سريعا ثم ارتدى ملابسه القديمة مرة ثانية، فأحب الإحساس بالنظافة، ولكن كان عليه أن يدوقذراً، إذ كانت هذه الشخصية مناسبة للصبي الذي كان من المفترض أن يكونه.

فتح أليكس الملف الأول. كان السير ديفيد دقيقاً، إذ أعطى أليكس الأسماء والتواريخ الحديثة للعائلة فقط، بالإضافة لصور

فوتوغرافية للعطلات، وتفاصيل البيت في 'ماي فير' والشقق السكنية في نيويورك وباريس وروما والفيلا في الباربادوس. وكانت هناك قصاصات ورق ومقالات من المجلات وكل شيء يمكن أن يحتاج إليه.

ثم سمع صوت جرس منبه، فكانت الساعة السابعة تماماً، فنزل أليكس السلم باتجاه غرفة الطعام. وكانت غرفة بستة نوافذ ومائدة مصقولة طويلة لدرجة أنها تتسع لستة عشر شخصاً، لكن لم يكن هناك سواهم الثلاثة: السير ديفيد والسيدة كارولين وفيونا، وكان الطعام معداً سلفاً من قبل كبير الخدم أوالخادمة، فأشار إليه السير ديفيد بيده على كرسي فارغ فجلس أليكس.

– "كانت فيونا تتحدث لتوها عن دون جيوفاني"، قالت السيدة كارولين، ثم ساد صمت وتابعت قولها:–" إنها أوبرا لموزارت "

– " أنا متأكدة أن أليكس ليس مهتما بالأوبرا "، قالت فيونا وكانت في مزاج سيء فتابعت قائلة:– "في الواقع، أشك بأن لدينا شيئاً مشتركاً. لماذا علي التظاهر بأنه أخي ؟ فكل شيء–".

– " فيونا " تمتم السير ديفيد بصوت خفيض.

– " حسناً، من الجيد جداً وجوده هنا يا أبي، ولكن كان يجب أن تكون عطلتي لعيد الفصح"، فأدرك أليكس أن فيونا يجب أن تذهب لمدرسة خاصة، فالفصل الدراسي بالنسبة لها سينتهي قبل أن تنتهي مدة أليكس عندهم، ثم أضافت قائلة: – " لا أعتقد بأن هذا عدل."

- " أليكس موجود هنا بسبب عملي أنا "، تابع السير ديفيد قوله. لقد كان الوضع غريباً، إذ فكر أليكس في الطريقة التي تحدثوا فيها عنه وكأنه لم يكن موجوداً في الواقع، ثم قال السير ديفيد:

- "اعرف بأنه لديك الكثير من الأسئلة يا فيونا، ولكن عليك أن تفعلي ما أقوله وحسب. إنه معنا حتى نهاية الأسبوع، وأريدك أن تعتني به."

-"هل هذا شيء له علاقة بالأسواق المركزية؟"، سألت فيونا.

- " فيونا ! " قالت السير ديفيد ذلك إذ لم يكن يريد المزيد من الجدال:- " إن الأمر كما قلت لكِ. إنها تجربة. وستجعلينه يشعر بالترحيب!"

رفعت فيونا كأسها ونظرت مباشرة إلى أليكس للمرة الأولى منذ أن دخل الغرفة وقالت:-" سنرى بشأن ذلك "

بدا الأسبوع وكأنه لن ينتهي، فبعد يومين فقط، قرر أليكس بأنه لو كان ابناً حقاً لهذه العائلة اللا مبالية والأنانية، فسينهي الأمر بالتمرد على الأرجح. وكان السير ديفيد قد غادر عند الساعة السادسة صباحاً، كان لا يزال في لندن ويرسل الرسائل لزوجته وابنته عن طريق البريد الالكتروني. وفعلت السيدة كارولين ما بوسعها لتتجنب أليكس، إذ ذهبت إلى البلدة مرة أومرتين، وما عدا ذلك فقد بدا وكأنها تقضي الكثير من الوقت في النوم. أما فيونا

فعندما لم تكن تقتبس أوبرا معينة، كانت تفاخر بأسلوب حياتها وثروتها وعطلها حول العالم. وفي نفس الوقت، فقد كان واضحاً كم كانت تكره أليكس، إذ سألته عدة مرات ما الذي كان يفعله فعلاً في 'هافرستوك هول'، إلا أن أليكس كان يهزّ كتفيه ولم يقل شيئاً ــ مما جعلها تكرهه أكثر.

وفي اليوم الثالث عرفته ببعض أصدقائها.

– "أنا ذاهبة للصيد، ولا افترض بأنك ستأتي"، قالت له.

هز أليكس كتفيه، فقد تذكّر معظم التفاصيل التي في الملفات، وفهم أن بإمكانه بسهولة أن يمضي الوقت كفرد من العائلة. وكان يحسب الساعات حتى تصل المرأة من الأكاديمية لتأخذه.

– " هل قمت بالصيد يوماً ؟ " سألته فيونا.

– " لا " أجابها أليكس.

– " أنا اذهب للصيد. ولكنك بالطبع فتى من المدينة ولن تفهم ذلك " قالت فيونا.

– " وما الشيء العظيم في قتل الحيوانات؟" سألها أليكس.

– " إنه جزء من طبيعة الحياة في الريف. إنه تقليدي"، قالت له فيونا ذلك بينما نظرت إليه وكأنه كان غبياً، وكانت تلك هي الطريقة التي تنظر بها إليه دوماً، ثم أضافت:– " على أية حال تستمتع الحيوانات بالأمر."

واتضح في نهاية الأمر أن حفلة الصيد كانت للشباب، وللفتيان بشكل تام ما عدا فيونا. كان هناك خمسة منهم ينتظرون عند طرف

غابة كانت جزءاً من ضيعة 'هافرستوك.' وكان القائد روفوس يبلغ من العمر ستة عشر عاماً، له بنية جيدة وشعر داكن ومجعد، وقد بدا صديق فيونا الرسمي. أما الآخرون ـ هنري وماكس وبارثولوميو وفريد ـ فقد كانوا بنفس السن تقريبا. نظر إليهم أليكس بصدر منقبض، فقد كانوا يرتدون سترات من ماركة باربور وبنطلونات من نسيج صوفي خشن وقبعات منبسطة وأحذية صيد جلدية من ماركة هانتسمان. وتكلموا بلكنة المدرسة المحلية على نسق واحد، وكان كل واحد منهم يحمل بندقية بينما كانت سبطانات البنادق مثنية على أذرعهم. وكان اثنان منهم يدخنان، وكانوا يحدقون في أليكس باحتقار قلّما كان مخفياً، لا بد أن فيونا قد أخبرتهم مسبقاً عنه، فتى لندن.

وبسرعة، ذكرت لهم المقدمة، وقام روفوس بالتقدم للأمام.

– " جميل وجودك معنا"، قال روفوس لأليكس متشدقاً بكلامه بينما مر بنظره عليه ثم أضاف قائلاً :– " معاً من أجل الصيد أليس كذلك؟"

– " ليست لدي بندقية " قال أليكس.

– " حسناً، أخشى أنني لن أعيرك بندقيتي"، قال روفوس بينما أعاد سبطانة البندقية إلى مكانها رافعاً إياها حتى يراها أليكس. وكانت البندقية تبلغ ثمانين سنتمتراً من الفولاذ المصقول الممتد من مقبض من خشب الجوز المزيّن بصفائح فضية صلبة منحوتة ومزخرفة. ثم تابع روفوس قوله :"إنها بندقية صيد ذات أسنان

سفلية بارزة وزناد قابل للفصل، مصنوعة يدوياً من قبل أبياتيكو وسالفينيلي. لقد كلفتني ثلاثون ألف جنيه ـ أو كلّفت أمي على أية حال. لقد كانت هدية عيد ميلادي"

– " لا يمكن لفّها بسهولة. وأين وضعتْ شريط الزينة؟ " قال أليكس.

خفتت ابتسامة روفوس وقال:– " لن تعرف أي شيء عن الأسلحة "، وأومأ برأسه إلى أحد المراهقين الآخرين فناول أليكس سلاحاً عادياً جداً، إذ كان سلاحاً قديماً وصدئاً بعض الشيء، وقال: " بإمكانك استعمال هذا. وإن كنت جيداً جداً ولم تصب في الطريق، فربما سندعك تحصل على خرطوشة."

ضحك الجميع من ذلك، ثم أطفأ اللذان يدخنان السجائر وانطلقا داخل الغابة.

وبعد ثلاثين دقيقة، أدرك أليكس بأنه ارتكب خطأ بقدومه، فقد انطلق الفتية يميناً وشمالاً مصوبين باتجاه أي شيء يتحرك؛ أرنب يعدو بسرعة مثل كرة حمراء متألقة، أو حمامة برية تندفع من بين الشجيرات وترفرف حول الأوراق في الأسفل. ومهما كانت نوعية أسلحتهم راقية، إلا أن المراهقين لم يكونوا بارعين في الصيد. العديد من الحيوانات التي أطلقوا عليها النار تعرضت للإصابة فقط، فشعر أليكس بالغثيان بينما كان يتبع أثر الدماء.

وصلوا إلى رقعة صغيرة من الأرض الجرداء وتوقفوا ليعيدوا ملء أسلحتهم بالذخيرة، فاستدار أليكس نحو فيونا وقال:– " أنا عائد إلى المنزل"

– " لماذا ؟ ألا تطيق مشهد القليل من الدماء ؟" ردت عليه فيونا في حين نظر أليكس إلى أرنب على بعد خمسين متراً تقريباً ، كان ملقياً على جانبه ورجله الخلفية تركل بعجز كلي وقال: "أنا متفاجئ من أنهم سمحوا لكِ بحمل السلاح. لقد اعتقدت بأنك ستكونين في السابعة عشر من عمرك."

وكان روفوس قد استرق السمع فتقدم إلى الأمام وفي عينيه نظرة قبيحة وقال متمتماً:–

" نحن لا نكترث للقواعد في الريف"

" ربما يريد أليكس أن يتصل بالشرطة" قالت فيونا.

"أقرب محطة للشرطة على بعد أربعين ميلاً من هنا "

– "هل تريد أن تستعير هاتفي النقال؟"

ضحك الجميع من ذلك، فطفح الكيل بالنسبة لأليكس، ومن غير أن ينطق بكلمة واحدة، استدار ومشى مبتعداً.

لقد استغرقهم الوصول إلى المنطقة الجرداء نصف ساعة، ولكن أليكس لم يزل بعد ثلاثين دقيقة عالقا في الغابة ، محاطاً تماماً بالأشجار والشجيرات البرية، فأدرك أنه تائه، فقد كان مستاءً من نفسه، إذ كان عليه أن يراقب إلى أين كان يذهب عندما تبع فيونا والآخرين. كانت الغابة هائلة، والمشي في الاتجاه الخاطئ قد يجعله يتخبط في الأراضي المغطاة بالأعشاب وقد يستغرق الأمر أياما حتى يتم العثور عليه. وفي نفس الوقت، كانت أوراق الأشجار كثيفة جداً بحيث أنه بالكاد يتمكن من رؤية عشرة أمتار في أي اتجاه. فكيف يمكنه محاولة تتبع أثر

خطواته أويستمر بالتقدم إلى الأمام على أمل أن يعثر على الطريق الصحيح صدفة؟

أحس أليكس بالخطر قبل أن تُطلق الرصاصة الأولى، ولعلّه كان صوت انقصاف غصن ما أوصوت مزلاج معدني يتم إعادته إلى مكانه، فتجمد مكانه ـ وكان هذا ما أنقذ حياته، إذ كان هناك صوت انفجار مدووقريب، وإهتزت شجرة كانت قريبة منه على بعد خطوة واحدة فقط، فتطايرت شظايا الخشب متراقصة في الهواء.

استدار أليكس باحثاً عن الذي أطلق النار وصاح قائلاً:– " ما الذي تفعله ؟ كدت تقتلني!"

ووراء تلك الرصاصة مباشرة تقريباً، انطلقت رصاصة ثانية، فسمع أليكس شهقة شخص يضحك، فأدرك الأمر، إذ لم يخطئوا ويظنوا أنه حيوان ما، بل كانوا يصوبون نحوه من أجل المتعة !

فاندفع أليكس إلى الأمام بعنف وبدأ بالركض، وبدت جذوع الأشجار وكأنها تضغط عليه من كل الجوانب مهددة بإغلاق الطريق عليه. وكانت الأرض من تحته طرية بسبب الأمطار التي هطلت مؤخراً، وكانت تسحب قدميه محاولة تثبيته في مكانه، وكان هناك صوت إنفجار ثالث، فانحنى وقد شعر بالرصاصة تمر من فوق رأسه مقطعة أوراق الأشجار.

في أي مكان آخر من العالم، فان هذا الأمر يعتبر جنوناً. ولكن هذا كان في وسط الريف الانجليزي، كان هناك مراهقون أغنياء ومملون اعتادوا الحصول على ما يريدون على طريقتهم هم. كان أليكس قد

أهانهم، ولعلها كانت الإهانة بشأن ورقة تغليف الهدية، أولعلها كانت رفضه إخبار فيونا من كان فعلا، ولكنهم كانوا قد قرّروا تلقينه درسا، وسيقلقون بتبعات ذلك فيما بعد. وهل كانوا يقصدون قتله؟ " نحن لا نكترث بالقواعد في الريف" هذا ما كان روفوس قد قاله. وإذا كان أليكس قد أصيب بجروح خطيرة أوحتى قتل، فإنهم سينجون من الأمر بطريقة ما. سيكون حادث مريع.

ولم يكن أليكس ينظر إلى أين كان يذهب فكان يمشي في خط النار.

كلا. هذا مستحيل.

لقد كانوا يحاولون إخافته، هذا كل ما في الأمر.

رصاصتان أخريان، واندفع فجأةً من الأرض طائر تدرج مثل كرة دوارة من الريش وقد علا الصراخ السماء. وركض أليكس وقد اهتاجت أنفاسه في حنجرته، ومزّق غصن شائك ثيابه وأصاب صدره. وكان لا يزال يحمل السلاح الذي حصل عليه فاستعمله لعمل طريق أمامه، بينما قذفته كتلة متشابكة من الجذور فتمدد باسطاً ذراعيه وقدميه.

– " أليكس؟ أين أنت؟" كان هذا الصوت لروفوس، وكان صوتاً عالياً وساخراً، قادماً من الجهة الأخرى لحاجز من أوراق الأشجار. كان هناك صوت طلقة أخرى، ولكن هذه الرصاصة ذهبت عالياً من فوق رأسه، ولم يكن بإمكانهم رؤيته، فهل هرب؟

تعثر أليكس وتوقف وقد غطاه العرق، وكان قد خرج من

الغابة ولكنه كان لا يزال تائهاً دون أمل في النجاة، والأسوأ من ذلك، أنه خدع. وكان قد وصل إلى حافة بحيرة واسعة وقذرة، وكان الماء بنّياً وسخاً وبدا صلباً تقريباً. ولم يكن هناك بط وطيور برية في أي مكان قريب من السطح، وكانت شمس المساء تهبط على البحيرة وقد انبعثت الرائحة الكريهة منها.

– "ذهب من هذا الطريق!"

– " لا من هنا !"

– " دعونا نجرب البحيرة "

سمع أليكس الأصوات وعرف بأنه لا يمكنه السماح لهم بالعثور عليه هنا، وفجأةً كان في مخيلته صورة لجسده يغرق مع الحجارة إلى قاع البحيرة، ولكن هذا أعطاه فكرةً ما، إذ كان عليه أن يختبئ.

نزل أليكس داخل الماء، وكان بحاجة إلى شيء يتنفس من خلاله، وكان قد رأى أناساً يفعلون ذلك في الأفلام، إذ كانوا يستلقون في الماء ويتنفسون من خلال قصبة جوفاء. ولكن لم تكن هناك أية قصبة ما عدا العشب والطحلب السميك المغطى بمادة لزجة، إذ لم يكن ينبت أي شيء آخر على الإطلاق.

وبعد ذلك بدقيقة واحدة، ظهر روفوس عند حافة البحيرة، كانت بندقيته معلقة فوق ذراعه، فتوقف ونظر حوله بعينين عرفتا الغابة جيداً، ولم يكن ثمة ما يتحرك.

–" لا بد أنه عاد " قال روفوس.

كان الصيادون الآخرون قد تجمعوا خلفه، وكان هناك توتر بينهم الآن، شعور صامت بالذنب، فقد عرفوا أنهم تمادوا في اللعبة.

- " دعونا ننسى أمره " قال احدهم.

- " نعم "

- " لقد لقناه درساً "

كانوا في عجلة من أمرهم ليعودوا إلى منازلهم، فاختفت المجموعة في الطريق الذي جاءوا منه، وبقي روفوس بمفرده لا يزال يمسك ببندقيته باحثاً عن أليكس، فألقى نظرة أخيرة عبر الماء ثم إستدار ليتبعهم.

حينذاك قام أليكس بهجوم مفاجئ، فقد كان يتمدد تحت الماء مراقباً الأشكال غير الواضحة للمراهقين وكأنه ينظر إليهم من خلال لوح زجاجي بني سميك، وكانت سبطانة البندقية التي أعطوه إياها في فمه، وبقية البندقية كانت فوق سطح البحيرة مباشرة. وكان يستعمل الأنابيب الجوفاء ليتنفس من خلالها، والآن نهض أليكس مثل مخلوق كابوسي يقطر وحلاً وماءً، وقد ملأ الغضب عينيه. سمعه روفوس، ولكنه كان متأخراً جداً، ففتل أليكس البندقية ممسكاً روفوس من ظهره، فجثا روفوس على ركبتيه وسقطت بندقيته من يديه. التقط أليكس البندقية وكان هناك خرطوشتان في ثقوب البندقية، ففتح أليكس البندقية.

نظر روفوس إليه وفجأة اختفت كل العجرفة، فكان مجرد غبي ومراهق يرتعد خوفاً ويحاول جاهداً الوقوف على ركبتيه.

- "أليكس!" خرجت الكلمة الوحيدة وكأنه ينشج، وبدا كأنه يرى اليكس للمرة الأولى، وقال وهو يبكي دون توقف:- " أنا آسف! لم نكن نريد أن نؤذيك فعلاً. لقد كانت مزحة. فيونا هي التي جعلتنا نفعل ذلك. أردنا فقط إخافتك. أرجوك !"

توقف أليكس وهو يتنفس بصعوبة وقال:- " كيف أخرج من هنا؟"

- " إتبع البحيرة فقط "، قال روفوس.

- " هناك طريق "

كان روفوس لا يزال على ركبتيه، وكانت الدموع تملأ عينيه، فأدرك اليكس أنه كان يوجه البندقية ذات الألواح الفضية نحو روفوس، فأشاح بها عنه مشمئزاً من نفسه. لم يكن هذا الصبي هو العدو، إنه لا شيء.

- " لا تتبعني " قال أليكس ثم بدأ بالمشي.

- " أرجوك...!" ناداه روفوس قائلاً: " هل أستطيع إستعادة بندقيتي ؟ ستقتلني أمي إن ضيعتها"

توقف أليكس، ووزنَ البندقية بيديه ثم رماها بكل قوته، فدارت البندقية الايطالية الصنع مرتين في الضوء الباهت ثم إختفت في وسط البحيرة، وقال: "أنت صغير جدا على اللعب بالأسلحة "

ثم مشى مبتعداً، تاركاً الغابة تبتلعه.

النفق

أدار الرجل الذي كان جالساً في الكرسي الذهبي القديم رأسه ببطء، وأطل ببصره على منحدرات 'بوينت بلانك' المكسوة بالثلج. كان الدكتور هيوغو جريف يناهز الستين عاماً، له شعر أبيض قصير ووجه يكاد يكون عديم اللون كذلك. كانت بشرته بيضاء وشفتاه ظلالاً مبهمة. حتى لسانه كان رمادياً لا أكثر. مع ذلك، وعلى تلك الخلفية الفارغة، كان يضع نظارات سلكية مدورة ذات عدسات حمراء داكنة. كان تأثيرها مذهلاً. وكان العالم كله بالنسبة له يبدو بلون الدم. كانت أصابع يده طويلة ومعتنى بها بشكل جميل. كان يلبس بذلة سوداء مقفلة بالأزرار حتى رقبته. لو كان هناك مصاص دماء، لكان يشبه هيوغو جريف إلى حد بعيد.

– "لقد قررت نقل مشروع الجوزاء إلى مرحلته الأخيرة،" قال جريف، بلكنة جنوب افريقية، عاضاً على كل كلمة قبل ان تخرج من فمه. "لن يكون هناك أي تأخير آخر."

– "أفهم ذلك، دكتور جريف."

كانت هناك إمرة جالسة مقابل د. جريف، ترتدي ثوباً ضيقاً من القماش الاصطناعي المقاوم للماء ورباطاً للعرق حول رأسها. كانت هذه المرأة هي إيفا ستيلينبوش. وكانت قد أنهت تمرينها الصباحي للتو ساعتان من رفع الأثقال وتمارين اللياقة البدنية - كانت لا تزال تتنفس

بمشقة، وعضلاتها الضخمة ترتفع وتنخفض. لم تكن بُنية وجه السيدة ستيلينبوش بشرية تماماً، فكانت لها شفتان تتقوسان بعيداً أمام أنفها وخصل من الشعر البني اللماع تتدلى على جبينها المقوس كقبة كبيرة. كانت تحمل كأساً ممتلئاً بسائل حليبي أخضر. كانت أصابع يديها سميكة ومتينة. كان عليها الحذر لئلا تكسر الكأس.

رشفت من شرابها، ثم عبست، وسألت:– "هل أنت متأكد أننا جاهزون؟"

– "ليس لدينا خيار في هذا الأمر. لقد حصلنا على نتيجتين غير مرضيتين في الأشهر القليلة الماضية. الأول كان إيفانوف. ثم روزكو في نيويورك. وبغض النظر عن تكلفة ترتيب الإنهاءات، من الممكن أن أحداً ما قد ربط حالتي الموت إحداهما بالأخرى."

– "ممكن، لكنه بعيد الإحتمال،" قالت السيدة ستيلينبوش.

– "إن أجهزة المخابرات متكاسلة وغير فعالة، هذا صحيح. السي آي اي في أمريكا، وجهاز المخابرات البريطانية M16 في إنكلترا، وحتى الكي جي بي الروسي! كلها أصبحت ظلالاً لما كانت عليه. مع ذلك، هناك دائماً إحتمالية أن إحداها أرتكب خطأً ما بالصدفة. كلما أنهينا هذه المرحلة من العملية بسرعة، كلما إزدادت فرص بقائنا.... متخفّين." سحب د. جريف يداه إلى بعضهما البعض ووضع ذقنه عليهما، وتساءل:– "متى يصل الفتى الاخير؟"

– "أليكس؟" أفرغت السيدة ستيلينبوش كأسها وأنزلته إلى الأسفل. فتحت حقيبة يدها وأخرجت منديلاً واستخدمته لمسح

شفتيها. وقالت:- "أنا مسافرة إلى انكلترا غداً."

- "رائع. هل ستأخذين الفتى إلى باريس؟"

- "بالطبع يا دكتور. إذا كانت هذه رغبتك."

- "إنها رغبتي بالتأكيد يا سيدة ستيلينبوش. نستطيع أن نقوم بكل التحضيرات هناك، فهذا سيوفر الوقت. ماذا عن فتى السبرينتز؟"

- "أخشى أننا بحاجة إلى بعض الأيام الإضافية."

- "هذا يعني بأنه وأليكس سيكونان هنا في نفس الوقت."

- "نعم."

تأمل د. جريف ذلك. كان عليه أن يوازن بين مجازفة لقاء الفتيين ومخاطر التحرك بسرعة. ومن حسن حظه أنه كان يمتلك عقلاً علمياً. فلم تخطئ حساباته مطلقاً. "حسن جداً،" قال جريف،"بإمكان فتى السبرينتز المكوث معنا بضعة أيام أخرى."

أومأت السيدة ستيلينبوش برأسها موافقة.

- "أليكس فريند صيد ممتاز لنا،" قال د. جريف.

- "أسواق مركزية؟" بدت المرأة غير مقتنعة.

- "كلام والده مسموع عند رئيس الوزراء، فهو رجل مؤثر. أنا متأكد أن ابنه سيلبي آمالنا." وتبسم د. جريف، وتوهجت عيناه احمراراً. "سيكون أليكس هنا في الأكاديمية قريباً جداً. حينئذ، وفي آخر المطاف، سيكتمل مشروع الجوزاء."

* * *

– "إن جلستك خاطئة تماماً،" قالت فيونا. "ظهرك ليس مستقيماً. يجب أن تكون يداك أوطأ من ذلك. إن قدميك تمتدان في الاتجاه الخاطئ."

– "ما أهمية ذلك طالما كان المرء يمتع نفسه؟" تساءل أليكس، وهو يصر بأسنانه.

كان ذلك اليوم الرابع لمكوثه في 'هافرستوك هول'، وأخذته فيونا لركوب الخيل. لم يكن أليكس يمتع نفسه إطلاقاً. فقبل ركوب الخيل، كان عليه أن يتحمل المحاضرة المحتمة - بالرغم من أنه كان بالكاد يصغي. كانت الخيول ايبيرية أوهنغارية، وقد فازت بالكثير من الميداليات الذهبية. لم يهتم أليكس لذلك. كل ما كان يعرفه هو أن حصانه كان كبيراً« وأسوداً ويجذب الذباب، وبأنه كان يركبه بأسلوب كيس البطاطا على منصة البهلوان.

لم يتطرق الاثنان للحديث عما حدث في الغابة، الا بالنزر اليسير. عندما عاد أليكس ببطء الى البيت، مبللاً ومتجمداً من البرد، أحضرت له فيونا، بكل أدب، منشفة وعرضت عليه كوباً من الشاي.

– "لقد حاولتِ قتلي!" قال أليكس.

– "لا تكن ساذجاً!" ونظرت فيونا إلى أليكس بشيء من الشفقة بدت في عينيها. "لا يمكن أن نقدم على ذلك. روفوس فتى لطيف جداً."

– "ماذا....؟"

- "لقد كانت مجرد لعبة يا أليكس. مجرد شيء من الدعابة."

هذا كل ما في الأمر. تبسمت فيونا وكأن كل شيء قد تم تفسيره، وذهبت لتسبح. أمضى أليكس بقية المساء مع الملفات، محاولاً فهم تأريخ مزيف امتد أربع عشرة سنة. كان هناك الأعمام والعمات، وأصدقاء في ايتون، ومجموعة كبيرة من الناس الذين كان عليه أن يعرفهم دون أن يكون قد قابلهم يوماً ما. والأكثر من ذلك أنه كان يحاول أن يتعود على هذا الأسلوب المترف للحياة. كان ذلك هو سبب وجوده هنا، يركب الخيل مع فيونا في الهواء الطلق - حيث كانت هي منتصبة ومرتدية سترة وبنطلون ركوب الخيل، وهو يترنح خلفها.

كانا قد أمضيا حوالي أربع ساعات وهما يركبان الخيل حينما وصلا إلى النفق. حاولت فيونا أن تعلم أليكس نوعاً من البراعة الفنية - الفرق، مثلاً، بين المشي والخبب والجري. لكنه كان قد قرر أن لا يمارس هذه الرياضة أبداً. فقد تخلخلت عظامه كلها ورُضّت مؤخرته إلى الحد الذي جعله يتساءل إن كان يستطيع الجلوس ثانية. كانت فيونا تستمتع بعذاباته. حتى أنه تساءل إن كانت قد اختارت طريقاً كثير الحفر والمطبات لتزيد من رضوضه. أوأن الحصان ذاته قد كان متعرجاً.

كان هناك خط سكة حديد منفرد أمامهما، وفيه تقاطع ارضي آلي مزود بجرس وأضوية وماضة لتحذير الدراجين من القطار القادم. وجّهت فيونا حصانها - وهو حصان رمادي صغير - باتجاه

التقاطع، وتبعها حصان أليكس بشكل آلي. افترض أليكس أنهما سيعبران الخط، لكن عندما وصلت فيونا إلى الحاجز توقفت.

"هناك طريق مختصر يمكننا سلوكه إذا أردت الوصول الى البيت،" قالت فيونا.

-"الطريق المختصر سيكون عظيماً" اعترف أليكس.

- "إنه ذلك الطريق." أشارت فيونا إلى أعلى الخط، حيث كان هناك النفق، حفرة سوداء تفغر فاها في جانب التل، محاطة بطابوق أحمر من العصر الفيكتوري. نظر إليها أليكس ليرى إن كانت تمزح، لكنها بدت جادة تماماً. ثم أعاد بصره نحو النفق، الذي كان مثل ماسورة بندقية موجهة أليه، محذرة إياه أن يبقى بعيداً. كان أليكس يتخيل الإصبع العملاق على زناد البندقية، في مكان ما خلف التل. كم كان طوله؟ عندما دقق النظر أكثر، كان بإمكانه أن يرى ضوءاً ضئيلاً في الطرف الآخر من النفق، ربما على بعد كيلومتر واحد.

- "أنت جادة في ذلك،" قال أليكس.

- "في الواقع يا أليكس أنا عادة لا أروي نكتاً. فعندما أقول شيئاً ما أنا اقصده. أنا مثل أبي تماما."

- "لكن أباك ليس مجنوناً،" تمتم أليكس.

تظاهرت فيونا بعدم سماعه. "إن طول الخندق هو كيلومتر واحد بالضبط،" وضّحت فيونا. "هناك جسر على الجانب الآخر، وتقاطع أرضي آخر. إذا ذهبنا في ذلك الطريق نستطيع أن نصل

البيت في ثلاثين دقيقة. أما إذا سلكنا الطريق الذي أتينا من خلاله فسنصل بساعة ونصف."

– "إذا لنذهب في الطريق الذي أتينا من خلاله."

– "أليكس، لا تكن مثل القطة المفزوعة!" كشرت فيونا عليه. "هناك قطار واحد فقط يمر على هذا الخط، والقطار التالي لم يحن وقته بعد" - ثم نظرت إلى ساعتها "عشرون دقيقة. لقد مررتُ خلال هذا النفق مئة مرة ولم يستغرق عبوره أكثر من خمس دقائق، أو أقل إذا عبرته جرياً."

– "مع ذلك فانه من الجنون أن نركب الخيل على نفق لخط القطار."

– "حسناً، ستجد طريقك إلى البيت إذا أدرت ظهرك ورجعت." ثم ركلت بعقبيها فقفز حصانها إلى الأمام، ليجتاز الحاجز ويدخل في الخط. "أراك لاحقاً."

لكن أليكس تبعها، فلم يكن بإمكانه أن يعود أدراجه إلى البيت بمفرده. لم يكن يعرف الطريق وكان غير قادر على السيطرة على الحصان، الذي كان يتبع فيونا دون أي توجيه منه. هل سيدخل الحيوانان حقاً في ظلمة النفق؟ بدا ذلك لا يصدق، لكن فيونا كانت قالت أنهما فعلا ذلك من قبل وبالتأكيد فقد سار الحصان بجانب التل دون أي تردد.

ارتجف أليكس عندما اختفى الضوء فجأة خلفه. كان داخل النفق باردا ورطباً، وكان الهواء مليئاً برائحة السخام والديزل. كان

النفق حجرة طبيعية للصدى. كما أن سنابك الحصانين فعقعت من حولهما وهما يضربان على الحصى بين العوارض الخشبية. ماذا لو تعثّر حصانه؟ أبعد أليكس هذه الفكرة عن رأسه. صرّت السروج الجلدية. واعتادت عيناه على الظلام ببطء، وكان هناك بعض من نور الشمس يرشح من خلفه. وما أراحه أكثر هو أن الطريق إلى خارج النفق كان واضحاً أمامه مباشرة، وكانت دائرة الضوء تتسع مع كل خطوة، وهما يقتربان أكثر فأكثر. حاول أن يسترخي، فربما لن يكون هذا سيئاً بعد كل ذلك.

ثم تحدثت فيونا. كانت قد أبطأت سرعتها لتسمح لحصانه أن يلحق بحصانها. "هل لازلت قلقاً بخصوص القطار يا أليكس؟" قالت فيونا. "ربما تود أن تسرع "

سمع السوط يصفر في الهواء، وأحس بحصانه يهتز عندما ضربته فيونا بشدة على مؤخرته. صهل الحصان وقفز إلى الأمام، ورمى أليكس إلى الخلف، وكان على وشك السقوط من السرج. لكنه تمكن من الالتصاق بدفع ساقيه بجانب الحصان، لكن النصف الأعلى من جسمه كان في زاوية حرجة، واللجام يمزّق فم الحصان. ضحكت فيونا. كان أليكس لا يشعر إلا بالريح وهي تعبره بسرعة، والظلام الدامس يدور حول وجهه وسنابك الحصان تضرب بشدة على الحصى وهو ينطلق بسرعة. تناثر الغبار في عينيه وافقده بصره. ظن أليكس بأنه سيسقط.

لكن عندها، وبشكل عجيب، إندفعا خارجين الى الضوء. صارع أليكس من أجل استعادة توازنه، وأعاد الحصان تحت

سيطرته، ساحباً اللجام إلى الخلف وضاغطا على جنبي الحصان بركبتيه. أخذ نفساً عميقاً، وأطلق شتيمة وأنتظر فيونا لتظهر.

وقف حصانه ليرتاح على الجسر الذي ذكرته سابقاً. كان الجسر مبنياً من عوارض معدنية سميكة ويعبر نهراً. وقد نزل في ذلك الشهر مطر كثير، فكان الماء يمر بسرعة تحته بحوالي خمسة عشر متراً، عميقاً واخضراً داكناً. استدار أليكس بحذر ليواجه النفق، فلو فقد السيطرة هناك لكان من السهل أن يسقط من على الحافة. يبدوأن ارتفاع جانبي الجسر لم يكن أكثر من متر واحد.

كان بإمكانه سماع فيونا تقترب، فقد كانت تجري خلفه، وربما كانت تضحك على طول الطريق. حدق في النفق - وعندها انطلق الحصان الرمادي من النفق، واندفع مسرعاً من جانبه واختفى خلال التقاطع الأرضي في الجانب الأخر من الجسر.

لكن فيونا لم تكن فوقه.

خرج الحصان لوحده.

استغرق أليكس بعض الثواني ليفكر في الأمر. كان رأسه يلف ويدور. ربما تكون قد سقطت. ربما تعثر الحصان. قد تكون مستلقية داخل النفق. على الطريق. كم بقي من الوقت لوصول القطار التالي؟ عشرون دقيقة، قالت فيونا سابقاً. ولكن مرّ منها خمس دقائق، وربما كانت قد بالغت في الوقت في البداية. ماذا عليه أن يفعل؟ كان أمامه ثلاثة خيارات.

الرجوع مشيا على الأقدام.
الرجوع على ظهر الحصان.
الذهاب إلى البيت وتركها.

كلا. كان لديه خياران. كان يعرف ذلك. أطلق شتيمة أخرى، ثم قبض على اللجام. عليه أن يجعل هذا الحصان يطيعه بطريقة ما. كان عليه أن يخرج الفتاة، وبسرعة.

ربما استطاع يأسه الانتقال إلى دماغ الحصان. استدار الحصان وحاول أن يتراجع، لكن عندما ضربه أليكس بعقبيه سار متعثراً إلى الأمام ودخل ظلمة النفق ثانية متردداً. ضربه أليكس مرة أخرى. لم يكن يقصد إيذاءه، لكن لم يكن بمقدوره أن يفكر بطريقة أخرى ليجعله يطيعه.

هرول الحصان إلى الأمام. وقام أليكس بالبحث في الطريق أمامه، وأخذ يصيح "فيونا." لم يكن هناك أي جواب. كان يأمل أنها تمشي نحوه، لكنه لم يسمع أي وقع أقدام. لو كان هناك ضوء أكثر!

توقف الحصان، وكانت هناك، أمامه تماماً، مستلقية على الأرض، وذراعاها وصدرها فوق الخط تماماً. فلو أن القطار جاء الآن سيقطعها إلى نصفين. لم يتمكن أليكس من رؤية وجهها لشدة الظلام، لكن عندما تكلمت سمع الألم في صوتها.

– "أليكس،" قالت فيونا. "اعتقد أن كاحلي قد كُسر "

– "ماذا حدث؟"

–"كان هناك نسيج عنكبوت أوشي ما. كنت أحاول اللحاق بك. أتى في وجهي ففقدت توازني."

كانت تحاول اللحاق به! بدت وكأنها تلومه كما لو أنها نسيت ضربت حصانه بالسوط في بادئ الأمر.

– "هل تستطيعين النهوض؟" سألها أليكس.

– "لا أظن ذلك."

تنهد أليكس. وانزلق عن ظهر حصانه وهو يقبض بشدة على اللجام. كان توقيت فيونا الأفضل تماما، فقد سقطت في وسط النفق بالضبط. أجبر أليكس نفسه على أن لا يفزع. وبحسب حساباتها فإن القطار التالي كان على بعد عشر دقائق على الأقل. وصل أليها ليساعدها على النهوض. وضع أحدى قدميه على أحدى سكك الحديد.... وعندها شعر بشيء ما. تحت قدمه. ما جعل رجله ترتجف. كان الطريق يهتز.

كان القطار في الطريق.

– "عليك أن تنهضي،" قال أليكس، محاولاً أن يبعد الخوف عن صوته. كان يرى القطار في مخيلته، وهو يرعد على طول الخط. عندما يندفع إلى داخل النفق، سيكون طوربيدا يزن خمسمائة طن، وسيمزقهما إلى قطع متناثرة. كان بإمكانه أن يسمع صرير العجلات وزئير المحرك. دماء وظلام. ستكون تلك طريقة مريعة للموت.

لكن لا زال لديه الوقت. – "هل تستطيعين تحريك أصابع قدمك؟" سألها أليكس.

– "أظن ذلك." كانت فيونا تتمسك به.

– "إذن ربما يكون كاحلك ملتوياً وليس مكسوراً. هيا."

وسحبها أليكس، متسائلاً إن كان بالإمكان البقاء داخل النفق، على حافة الطريق. لو أنهما حضنا الجدار فربما سيجتازهما القطار بكل بساطة. لكن أليكس كان متأكداً بأنه لن يكون هناك مجال كاف. حتى لو لم يمسهما القطار فإنه سيضرب الحصان. إفترض أن القطار خرج عن خط سيره؟ سيقتل العشرات من الناس.

– "أي قطار يأتي في هذا الاتجاه؟" سأل أليكس. "هل يحمل مسافرين؟"

– "نعم." بدا أن عيني فيونا أغرورقت بالدموع. "إنه قطار في رحلته الأولى، متوجها الى غلاسغو."

تنهد أليكس. لقد كان حظه أن يأتيه قطار في رحلته الأولى ويصل على الموعد.

تجمدت فيونا. وسألت "ما هذا؟"

كانت قد سمعت رنين جرس. ماذا كان ذلك الرنين؟ بالطبع - إنه التقاطع الأرضي! كان يؤشر قدوم القطار، وكان الحاجز ينزل نفسه على الطريق.

بعد ذلك سمع أليكس صوتاً ثانياً جعل دمه يبرد. ولم يستطع التنفس للحظة. كان ذلك شيئاً استثنائياً. التصق نفسه في رئتيه ورفض الخروج من فمه. وشلّ جميع جسمه، كما لو أن مفتاحاً كهربائياً قد ألقي في دماغه. ببساطة، لقد كان مرعوباً.

كانت صفارة القطار تصرخ ذعراً. لا زال القطار على بعد ميل أوأكثر، لكن النفق كان يمثل كموصل للصوت، وكان أليكس

يشعر أن الصوت يقطعه من الداخل. والآن كان هناك ضجيج آخر، الرعد المتدفق لمحرك الديزل. كان القطار يتجه نحوهما بسرعة. كانت سكة الحديد تهتز بشدة أكبر تحت قدمه.

حاول أليكس ابتلاع الهواء واجبر قدميه على طاعته. "اركبي على الحصان،" صرخ أليكس. "سأساعدك."

سحب أليكس فيونا، غير آبه بما قد يسببه لها من الم، إلى جانب الحصان واجبرها على التسلق إلى السرج. كان الضجيج يتصاعد أكثر فأكثر مع كل ثانية تمر. كان القطار يطنطن برقة مثل شوكة رنانة عملاقة. بدا أن الهواء ذاته في داخل النفق كان يتحرك، ويدور يسارا ويمينا كما لو أنه يحول الخروج من الطريق.

صرخت فيونا بصوت رفيع، وشعر أليكس بأن ثقلها غادر ذراعيه وهي تسقط داخل السرج. صهل الحصان وتحرك نصف خطوة إلى الجانب، وفي لحظة رعب ظن أليكس أن فيونا ستقود الحصان وتذهب بدونه. كان هناك شيء من الضوء يكفي لبيان شكل الحصان وراكبته. رأى فيونا وهي تقبض على اللجام، حيث استطاعت أن تعيد الحصان تحت سيطرتها. مد أليكس يديه وتمكن من الإمساك بشعر رقبة الحصان، واستغل قوة الهواء الكثيف ليسحب نفسه ويجلس على السرج أمام فيونا. كان ضجيج القطار القادم يعلو شيئا فشيئا. كان السخام والاسمنت يسيلان من الجدران المقوسة. كانت تيارات الرياح تفتل أسرع فأسرع، وسكة الحديد تُنشد. إشتبك الاثنان ببعضهما لبرهة، لكن أليكس أخذ اللجام وكانت فيونا تتمسك به، واضعة يديها حول صدره.

- "انطلق!" صرخ أليكس، وضرب الحصان.

لم يكن الحصان بحاجة إلى تشجيع، فقد أسرع نحو الضوء، وهو يعدومسرعاً على خط السكة الحديدية، ملقيا أليكس وفيونا على بعضهما البعض جيئةً وذهاباً.

لم يجرؤ أليكس على النظر إلى الخلف، لكنه أحس بالقطار وهو يصل إلى فم النفق ويندفع داخلا فيه، وهو يسير بسرعة مئة وخمسة أميال. ضربتهما موجة الصدمة بقوة. كان القطار يلكم الهواء ليبعده عن طريقه، ويملأ الفضاء بالفولاذ الصلب. فهم الحصان الخطر وانطلق إلى الأمام بسرعة جديدة، وحوافره تطير فوق العوارض الخشبية بخطوات واسعة. كان النفق يفغر فاه أمامهما، لكن أليكس كان يعرف، بإحساس مرير من اليأس، بأنهما لن يتمكنا من النجاة. حتى لو خرجا من النفق ، سيظلان محاصرين بجانبي الجسر. كان التقاطع الأرضي الثاني يقع على بعد مئة متر في أسفل الخط. قد يتمكنا من الخروج، لكنهما سيموتان في الهواء الطلق.

اجتاز الحصان نهاية النفق، وأحس أليكس بدائرة الظلام تنساب فوق كتفيه. كانت فيونا تصرخ، وهي تلف ذراعيها حوله بشدة إلى الحد الذي جعله بالكاد يتنفس. وكان أليكس يسمع صراخها بصعوبة شديدة. كان زئير القطار خلفه تماما. وبينما بدأ الحصان سباقاً يائساً فوق الجسر، اختلس أليكس نظرة حوله. كان لديه بعض الوقت ليرى الوحش المعدني الهائل يزأر وهو يخرج من النفق، مرتفعا فوقهما، وبدنه مصبوغاً باللون الأحمر اللامع،

ألوان الرحلة الأولى، والسائق يحدق مذعوراً من خلف الشباك. انطلقت صفارة ثانية من صافرة القطار، أعلى من كل الأصوات، متفجرة حولهما. كان أليكس يعلم ما يجب عليه فعله. سحب أحد جانبي اللجام، وضرب برجله المقابلة بنفس الوقت. كان يأمل أن يفهم الحصان ما كان يريد منه.

نجحت خطته بشكل ما. انحرف الحصان جانباً، وأصبح الآن بمواجهة جانب الجسر. أصدر القطار نفخة نهائية تصم الآذان. وغطاهما دخان الديزل.

قفز الحصان.

مر القطار وهو يزأر، وبالكاد أفلتهما. لكنهما الآن في الهواء، على جانب الجسر. كانت العربات لا تزال ترعد وهي تمر؛ غشاوة حمراء. صرخت فيونا ثانية. بدا كل شيء يحدث بالحركة البطيئة وهما يسقطان. في لحظة كانا خلف الجسر، وبعد لحظة أصبحا تحته ولا زالا يسقطان. ارتفع النهر الأخضر ليستقبلهما.

إندفع الحصان وراكباه في الهواء وسقطا في النهر. تمكّن أليكس من أن يختطف نفسا قصيرا. كان خائفاً أن لا يكون الماء عميقاً بما فيه الكفاية، وأن ينتهي الأمر بالثلاثة إلى تحطم عظامهم. لكنهما الآن قد إرتطما بسطح الماء وغاصا في دوامة خضراء داكنة قارسة البرودة، امتصتهما بنهم، وهددت بأن تبقيهما هناك للأبد. إنفصلت فيونا عنه. وشعر بأن الحصان رفس وحرر نفسه. انفجرت الفقاعات من فمه، وأدرك أنه كان يصيح.

في النهاية ارتفع أليكس إلى السطح مرة أخرى. كان الماء يندفع مسرعاً، وسبحاً بتثاقل إلى أقرب ضفة، لكن ملابسه وحذاءه كانت تسحبه إلى الخلف.

لم يتوقف سائق القطار. ربما كان مرعوباً مما حصل. ربما أراد التظاهر بأن شيئاً لم يحدث أبداً. لقد ذهب القطار.

وصل أليكس إلى الضفة وسحب نفسه إلى العشب، وهو يرتجف. كانت هناك غمغمة وسعلة من خلفه، وظهرت فيونا. كانت قد فقدت قبعة ركوب الخيل خاصتها، وكان شعرها الأسود الطويل يتدلى على وجهها. نظر أليكس إلى ما وراءها. تمكن الحصان من الوصول إلى اليابسة أيضا، وهرول إلى الأمام وهز نفسه، ويبدوأنه لم يصب بأي أذى. فرح أليكس لذلك. ففي نهاية اليوم استطاع الحصان أن ينقذ حياتهما كليهما.

نهض أليكس، والماء يقطر من ملابسه. لم يكن يحس بشيء في جسده، وتساءل إن كل ذلك بسبب الماء البارد أم بسبب صعقة ما قاساه. ذهب إلى فيونا وساعدها لتقف على قدميها.

– "هل أنت بخير؟" سألها أليكس.

– "نعم." كانت تنظر أليه باستغراب. تمايلت فيونا، فمد يده ليعيد لها استقرارها.

– "أشكرك،" قالت فيونا.

– "لا شكر على واجب."

– "كلا." أمسكت فيونا بيده. كان قميصها قد انفتح، ورمت رأسها إلى الوراء وهزته لتبعد الشعر عن عينيها. "ما فعلته هناك.... كان رائعا. أليكس، أنا آسفه لأنني كنت متوحشة معك طوال الأسبوع. اعتقدت أنك - لأنك هنا لمجرد العمل الخيري وما يتعلق به - اعتقدت انك كنت مجرد غبي لا أكثر. لكني كنت مخطئة. أنت عظيم حقاً. وأنا متأكدة الآن بأننا سنصبح صديقين." أغلقت عيناها نصف إغلاقة وتحركت باتجاهه، وشفتاها متباعدتين قليلا. "يمكنك أن تقبلني إن أحببت،" قالت فيونا.

أطلق أليكس يدها واستدار إلى الخلف. "أشكرك يا فيونا،" قال أليكس. "لكني بصراحة أفضّل أن أقبل الحصان."

طبعة خاصة

دارت الهليكوبتر دورتين حول 'هوفرستوك هول' قبل أن تبدأ بالهبوط. كانت هذه الطائرة من نوع أر-٤٤ ذات أربع مقاعد، أمريكية الصنع. كان هناك شخص واحد على متنها - وهو الطيار. كان السير ديفيد فريند قد عاد من لندن، وخرج هو وزوجته لرؤية الطائرة وهي تهبط أمام البيت. تلاشى ضجيج المحرك بالتدريج، وبدأت سرعة المراوح بالتناقص. انفتح باب مقصورة القيادة إلى الجانب وخرجت الطيار، وهي تلبس بذلة طيران جلدية من قطعة واحدة، وخوذة ونظارات.

سارت نحوهما، ومدت يدها. "صباح الخير،" قالت الطيار. "أنا السيدة ستيلينبوش من الأكاديمية."

إذا كان السير ديفيد والليدي كارولين قد صدما عند رؤيتهما أليكس للمرة الأولى، فإن ظهور القائد المساعد، كما أطلقت على نفسها، جعلهما يتجمدان في مكانهما. كان السير ديفيد هو الذي أفاق من الصدمة أولاً: "هل طرت بالهليكوبتر لوحدك؟"

- "نعم، أنا مؤهلة لذلك." كان على السيدة ستيلينبوش أن تصرخ أعلى من صوت المراوح، التي كانت مستمرة بالدوران.

- "أتودين الدخول؟" سألتها الليدي كارولين. "ربما تحبين شرب بعض الشاي؟"

قادتهما الليدي كارولين إلى البيت حتى وصلا إلى غرفة المعيشة، حيث جلست السيدة ستيلينبوش، مباعدة بين رجليها، واضعة خوذتها على الأريكة بجانبها. جلس السير ديفيد والليدي كارولين أمامها. أُحضروا الشاي على صينية.

– "هل تمانعون إذا دخنت؟" سألت السيدة ستيلينبوش. ومدت يدها إلى جيبها وأخرجت علبة من السيجار دون إنتظار الجواب. أشعلت سيجاراً ونفخت الدخان. "ياله من بيت جميل هذا الذي تملكون، يا سير ديفيد. أنه جورجي، على ما أظن، لكنه مزخرف بذوق رائع! لكن أين أليكس، إذا جاز لي السؤال؟"

– "لقد خرج يتنزّه"، قال السير ديفيد.

– "ربما يكون مضطرباً نوعاً ما." ابتسمت ثانية وأخذت كوب الشاي الذي قدمته الليدي كارولين. – "أنا اعرف أن أليكس كان مصدراً كبيراً لقلق بالنسبة لكما."

أومأ السير ديفيد فريند برأسه موافقا. لكن عيناه لم تفصحا عن شيء. وفي الدقائق القليلة التي تلت، أخبر السيدة ستيلينبوش عن أليكس، كيف طرد من إيتون، وكيف فقد السيطرة على نفسه. أصغت الليدي كارولين إلى كلامه بصمت، وهي تمسك بذراع زوجها بين الحين والحين.

– "أنا متحير،" قال السير ديفيد وهو ينهي كلامه. "لدينا بنت اكبر منه، وهي كاملة ومثالية. لكن أليكس؟ إنه يتسكع في البيت، ولا يقرأ. ليس لديه اهتمام بأي شيء. أما مظهره حسنا،

سوف ترين بنفسك. إن أكاديمية 'بوينت بلانك' هي ملاذنا الأخير يا سيدة ستيلينبوش. نحن نأمل كثيرا أن تتمكني من معرفة ما به."

أدارت القائد المساعد السيجار في الهواء، تاركة ذيلا رماديا. "أنا متأكدة أنك كنت أبا رائعا يا سير ديفيد،" قرقرت ستيلينبوش. "لكن هؤلاء الأولاد المعاصرين! إن طريقة تصرف بعضهم تفطر القلب. لقد فعلت الشيء الصحيح بالمجيء إلينا. أنا متأكدة بأنك تعلم أن الأكاديمية قد حققت نسبة نجاح مميزة في السنوات الإحدى عشر الماضية."

– "ما هو عملكم بالضبط؟" سألت الليدي كارولين.

– "لدينا طرقنا الخاصة." تلألأت عينا المرأة. نفضت رماد سيجارها في صحن الفنجان. "لكنني أستطيع أن أعدكما بأننا سنكتشف مشاكل أليكس. لا تقلقا! عندما يأتي إلى البيت سيكون ولدا مختلفاً تماماً!"

في هذه الأثناء، كان أليكس يعبر حقلاً على بعد كيلومتر واحد من البيت. لقد رأى الهليكوبتر وهي تهبط وعرف أن وقته قد حان. لكنه لم يكن مستعداً للمغادرة بعد. فقد هاتفته السيدة جونز في الليلة الماضية. مرة أخرى، لم تكن الخابرات البريطانية تنوي إرساله فارغ اليدين إلى ما قد تكون منطقة العدو.

كان يراقب هناك، عندما قعقعت آلة حاصدة نحوه ببطيء، وهي تقطع خطاً خلال العشب. ارتجت وهي تتوقف على مقربة منه وفتح باب حجرة القيادة، ونزل منها رجل بصعوبة. كان بدينا جدا بحيث

اضطر إلى أن يعصر نفسه ليخرج، دافعاً أحد ردفيه أولا، ثم الردف الآخر، وأخيرا معدته وكتفيه ورأسه. كان الرجل يرتدي قميصاً مخططاً ولباساً أزرقاً يغطي جسمه - لباساً خارجياً يرتديه الفلاحون. لكن حتى لو أنه كان يرتدي قبعة قش ويضع ورقة ذرة بين أسنانه، فإن أليكس لم يتصور أبداً أن الرجل كان يزرع شيئا.

كشر الرجل لأليكس. – "مرحباً، أيها الصديق القديم!" قال الرجل.

– "مرحبا يا سيد سميذرز" أجاب أليكس.

كان شميذرز يعمل لدى المخابرات البريطانية، وقد وفّر مختلف الأدوات التي استعملها أليكس في مهمته الأخيرة.

– "جميل جداً أن أراك ثانية!" هتف الرجل، وغمز بعينه. "ما رأيك بهذا التنكّر؟ أخبروني أن عليّ أن إمتزج بالريف."

– "إن فكرة الآلة الحاصدة رائعة،" قال أليكس. "إلا أن هذا شهر ابريل. ليس هناك شيء ليحصد."

– "لم أفكر بذلك!" ابتسم سميذرز ابتسامة عريضة. "المشكلة هي أنني لست وكيلا ميدانياً، أوعميلاً ميدانياً." نظر حوله وضحك. "على أية حال، أنا فرح جداً أن تسنح لي الفرصة للعمل معك ثانية يا أليكس، وأستنبط بعض الأمور لك. لا أحصل غالبا على زبون مراهق، إذ أن العمل معه أكثر متعة من الكبار!"

مد يده إلى حجرة القيادة وسحب حقيبة سفر. "في الواقع كان الأمر مخادعاً هذه المرة،" واصل الرجل حديثه.

– "هل سأحصل على لعبة 'نينتندوغيم بوي' أخرى ؟" سأل أليكس.

– "كلا. الأمر ببساطة كالتالي. لا تسمح المدرسة بألعاب الغيم بوي - ولا أية حواسيب، فيما يتعلق الأمر بذلك. فالمدرسة توفّر حواسيبها المحمولة الخاصة بها. كان بإمكاني أن اخفي العديد من الأدوات داخل حاسوب محمول، لكن هذا ما يحصل! الآن، دعنا نرى " وفتح الحقيبة.

"أخبروني بأن هناك الكثير من الثلج لا يزال يغطي 'بوينت بلانك'، لذا ستحتاج إلى هذا."

–"بذلة تزلج!" قال أليكس. كان ذلك هو الشيء الذي كان سميذرز ممسكا به.

– "نعم. لكنه معزول تماماً ومضاد للرصاص كذلك." وسحب نظارتين ملونتين بلون أخضر خفيف. "وهذه نظارات تزلج. لكن في حال أردت الذهاب إلى مكان ما في الليل، فهي في الواقع مزودة بأشعة تحت الحمراء. هناك بطارية مخفية في الإطار. فقط اضغط المفتاح وستتمكن من الرؤية لمسافة حوالي عشرين مترا، حتى لو لم يكن القمر منيراً."

مد سميذرز يده في الحقيبة للمرة الثالثة. "الآن، ماذا على فتى بعمرك أن يمتلك؟ لحسن الحظ، مسموح لك أن تأخذ آلة 'سوني ديسكمان- ' بشرط أن تكون الأقراص المضغوطة كلها كلاسيكية." وسلم الآلة إلى أليكس.

– "أذا، وفي الوقت الذي يطلق الناس النار عليّ في منتصف الليل، علي أن أستمع للموسيقى"، قال أليكس.

– "بالتأكيد. فقط لا تشغل موسيقى بيتهوفن!" رفع سميذرز القرص. "تتحول آلة الديسكمان إلى منشار كهربائي. إن القرص المضغوط له حواف من الماس، وبإمكانه أن يقطع أي شيء. إنه مفيد إذا أردت أن تخرج بسرعة. أدخلت فيه أيضا زرا للتنبيه بصوت عال. إذا أنفضح أمرك واحتجت للمساعدة، فقط اضغط زر التسريع للأمام ثلاث مرات. سترسل الآلة إشارة يلتقطها قمرنا الاصطناعي. وعندها نستطيع أن نسرع لإخراجك من هناك!"

– "أشكرك يا سيد سميذرز"، قال أليكس. لكنه كان خائب الأمل، وظهر ذلك عليه.

فهم سميذرز الأمر. "أعلم ما تريد،" قال سميذرز، "لكنك تعلم أنك لن تحصل عليه. لا أسلحة! إن السيد بلنت متشدد في هذا الأمر. يعتقد أنك لازلت صغيراً."

– "لكنني لست صغيراً على أن يقتلوني."

– "نعم، حسنا. لقد فكرت بالأمر قليلا وخرجت بسرعة بمجموعة من الإجراءات الدفاعية، إذا جاز التعبير. هذا بيني وبينك فقط، أنت تفهم ذلك. لست متأكداً إن كان السيد بلنت سيوافق على الأمر."

مد سميذرز يده. كان فيها قرط أذن ذهبي من قطعتين مستلقيا في وسط راحة يده؛ شكل ماسي للمقدمة ومقبض لإمساكه من

الخلف. بدا القرط صغيرا جدا ومحاطا بكثير من اللحم. "أخبروني أن أذنك مخرومة،" قال سميذرز. "لذلك صنعت لك هذا. كن حذراً بعد أن تضعه في أذنك. عندما يتصل الجزأين ببعضهما سيعمل هذا الشيء."

– "ما الذي يعمل؟" بدا أليكس شاكاً بالأمر.

– "إن قرط الأذن صغير لكنه أداة متفجرة فعالة. فصل الجزأين عن بعضهما سيفجره. عد إلى عشرة وسيحفر حفرة في أي شيء - أو أي شخص، أستطيع القول."

– "لكن بشرط أنه لا يفجر إذني،" تمتم أليكس.

– "كلا، كلا. أنه آمن تمامًا طالما ظل الجزءان متصلين ببعضهما." ابتسم سميذرز. "وأخيرا - أنا مسرور جداً بهذا الشيء. إنه بالضبط ما يتوقع أن يحصل عليه أي ولد شاب يترك البيت ويذهب إلى المدرسة، وأنا اشتريته خصيصاً لك." وأخرج كتاباً.

أخذ أليكس الكتاب، الذي كان نسخة ذات غلاف مقوى من هاري بوتر وحجرة الأسرار. "شكرا،" قال أليكس، "لكنني قرأت هذا الكتاب."

– "هذه نسخة خاصة. هناك بندقية مصنوعة داخل ظهر الكتاب وفي داخل حجرتها حشوناها سهماً مخدراً. عليك فقط أن تضغط أسم المؤلف الموجود على ظهر الكتاب، وسيوقع السهم شخصاً بالغاً في أقل من خمس ثوان.

ابتسم أليكس. تسلق سميذرز إلى الآلة الحاصدة. وبدا للحظة أنه قد حشر نفسه في الباب إلى الأبد، لكنه تمكن بعدها، وهو ينخر، من

التحرك وقطع الطريق كله. "حظاً سعيداً أيها الصديق القديم،" قال سميذرز. "إرجع كاملاً! أنا استمتع حقا بوجودك هنا!"

لقد حان الوقت للرحيل.

كانت أمتعة أليكس تحمّل في الهليكوبتر، وكان يقف بجانب "أبويه" وهو يمسك كتاب هاري بوتر. كانت ايفا ستيلينبوش بانتظاره تحت المراوح. لقد صدمه مظهرها وحاول أن يخفي شعوره في بادئ الأمر. لكنه استرخى بعد ذلك. لم يكن عليه أن يكون مهذباً. قد يكون أليكس رايدر خلوقاً، لكن أليكس فريند لن يأبه بما كانت تفكر. نظر إليها بازدراء الآن ولاحظ أنها كانت تراقبه بدقة وهو يودع فريند وزوجته.

مرة أخرى، أدى السير ديفيد فريند دوره ببراعة تامة. "إلى اللقاء يا أليكس،" قال فريند. "ستكتب لنا لتخبرنا بأنك على ما يرام؟"

- "إن أردتم ذلك."

مشت الليدي كارولين إليه وقبلته. تراجع عنها أليكس كما لو أنه كان محرجاً. كان عليه الاعتراف بأنها كانت تبدو حزينة للغاية.

- "تعال يا أليكس." كانت السيدة ستيلينبوش في عجلة من أمرها. أخبرته بأن عليهما التوقف في باريس للتزود بالوقود.

وهنا ظهرت فيونا، وعبرت المرج باتجاههما. لم يتكلم إليها أليكس ولا هي كلمته منذ أحداث النفق. لقد رفضها، وكان يعرف أنها لن تغفر له. فهي لم تنزل للفطور هذا الصباح وأفترض أليكس أنها لن تظهر ثانية حتى يرحل. إذن ماذا كانت تفعل هنا الآن؟

عرف أليكس فجأة. لقد أتت لتسبب مشكلة - طعنة أخرى تحت الحزام. كان يرى ذلك في عينيها وفي طريقة اندفاعها عبر المرج وهي تطوي يديها على شكل قبضات.

لم تكن فيونا تعلم أن أليكس كان جاسوساً. لكن عليها أن تعلم بأنه كان هنا لسبب ما، وربما خمنت أن ذلك له علاقة بالمرأة التي أتت من 'بوينت بلانك.' لذا قررت أن تأتي وتفسد الأمر عليه. ربما كانت تنوي طرح بعض الأسئلة، أو ربما كانت تريد أن تخبر السيدة ستيلينبوش أنه لم يكن أخاها فعلاً. وفي كلتا الحالتين عرف أليكس بأن مهمته ستنتهي قبل أن تبدأ، وأن كل جهده الذي بذله لحفظ الملفات عن ظهر قلب وكل الوقت الذي قضاه مع العائلة سيذهب هباءً منثوراً.

– "فيونا!" تمتم السير ديفيد، وكانت عيناه رزينتان. لقد وصل إلى نفس النتيجة التي إستنتجها أليكس.

تجاهلته فيونا. "هل أنت هنا من أجل أليكس؟" سألت فيونا، وهي تكلم السيدة ستيلينبوش مباشرة.

– "نعم يا عزيزتي."

– "حسنا، أظن أن هناك شيئا يجب أن تعرفيه."

كان هناك شيء واحد يمكن أن يفعله أليكس. رفع الكتاب وصوبه باتجاه فيونا، ثم ضغط ظهر الكتاب بقوه، ولمرة واحدة. لم تصدر أية ضجة، لكنه شعر بأن الكتاب ارتجف بيده. وضعت فيونا يدها على جانب ساقها، وجفت الألوان من وجهها. انهارت فيونا على العشب.

ركضت الليدي كارولين إليها. بدت السيدة ستيلينبوش في حيرة من أمرها. استدار أليكس نحوها، ووجهه خال من أي إنفعال. "هذه أختي،" قال أليكس. "أنه سريعة التأثر انفعالياً."

بعد دقيقتين أقلعت الهليكوبتر. كان أليكس ينظر من الشباك بينما كانت 'هافرستوك هول' تصبح أصغر وأصغر ثم اختفت خلفه. نظر إلى السيدة ستيلينبوش وهي منحنية على لوحة السيطرة، وعيناها متواريتان خلف النظارات. أراح نفسه في المقعد وأتاح لنفسه أن تنجرف إلى تأمل السماء المعتمة. ثم تدفقت الغيوم، واختفى الريف، كما اختفى سلاح أليكس الوحيد، وأصبح أليكس بمفرده.

الغرفة 13

كان الجو ماطراً في باريس. بدت المدينة متعبة ومحبطة، وبرج إيفل يصارع كتلة كثيفة من الغيوم. لم يكن هناك أحد يجلس على المناضد الممتدة خارج المقاهي، وكان السياح المسرعون بالعودة إلى فنادقهم لا يأبهون بالأكشاك الصغيرة التي تبيع اللوحات والبطاقات البريدية. كانت الساعة تشير إلى الخامسة بعد الظهر، وكان المساء يقترب. بدأت الدكاكين تفرغ شيئا فشيئا، لكن المدينة لم تأبه لذلك، فهي أيضا كانت تريد فقط أن تترك لحالها.

كانت الهليكوبتر قد هبطت في منطقة خاصة داخل مطار شارك ديغول، وكانت هناك سيارة تنتظرهما. لم يقل أليكس شيئا خلال الرحلة، وهو الآن جالس لوحده في مؤخرة السيارة يراقب البنايات وهي تمر مسرعة. كانا يتبعان نهر السين، وهما يسيران بسرعة مذهلة على طريق للسيارات كان ينخفض تحت مستوى النهر ثم يرتفع فوقه. قادهما الطريق للمرور بنوتردام، ثم استدارا، ليمرا في طريقهما بسلسلة من الشوارع الخلفية ذات المطاعم والمحلات الصغيرة التي كانت تصارع من أجل الحصول على مكان على الأرصفة.

"الماراي"، قالت السيدة ستيلينبوش.

تظاهر أليكس أنه لم يكن مهتماً. في الحقيقة كان أليكس قد

مكث في مقاطعة الماراي ذات مرة من قبل، وعرف بأنها واحدة من أجمل وأغلى أحياء باريس.

إستدارت السيارة نحو ساحة كبيرة وتوقفت. نظر أليكس من الشبّاك. كان محاطاً من جوانبه الأربعة بالبيوت العالية الكلاسيكية التي تشتهر بها باريس. لكن الساحة كان يشوهها فندق حديث وحيد. كان الفندق عبارة عن كتلة مستطيلة بيضاء، وكانت الشبابيك مغطاة بزجاج معتم لم يسمح برؤية ما في الداخل. كان ارتفاعه أربعة طوابق، له سقف مسطح، واسمه هوتيل دوموند مكتوبا بحروف ذهبية على الباب الرئيسي. لو أن سفينة فضائية هبطت في الساحة وحطمت مجموعة من البنايات لتعمل لنفسها مكاناً، فإنها لن تبدوأكثر نشازاً من هذا الفندق.

- "هذا هو المكان الذي سنمكث فيه،" قالت السيدة ستيلينبوش. "الفندق تملكه الأكاديمية."

كان السائق قد أخذ حقائبهما من صندوق السيارة. لحق أليكس بالطيار المساعد باتجاه المدخل، وأنزلق الباب منفتحاً بشكل آلي ليسمح لهما بالدخول. كانت صالة الإستقبال مفرّغة الإحساس معدومة الهوية، ذات رخام أبيض ومرايا، ونبتة منفردة في علبة فخارية موضوعة في الزاوية، كأنها فكرة مؤجلة. كان هناك مكتب إستقبال صغير وفيه موظف إستقبال غير مبتسم يلبس بذلة ونظارات سوداء، وجهاز كمبيوتر وصفٌ من الرفوف الصغيرة. عد أليكس تلك الرفوف. كانت خمسة عشر. كان الفندق على ما يبدويحتوي على خمس عشرة غرفة.

– "مساء الخير يا سيدة ستيلينبوش." أومأ موظف الاستقبال برأسه قليلا، وتجاهل أليكس. "أتمنى أن تكونا أمضيتما رحلة جيدة من انكلترا إلى هنا،" واصل حديثه وهو يتكلم بالفرنسية. كان أليكس ينظر بلا إنفعال، كما لو أنه لم يفهم أية كلمة. لم يكن أليكس فريند يتكلم الفرنسية. ولم يكن يتجشم العناء لتعلمها. لكن أيان رايدر كان متأكداً بأن ابن أخيه يتكلم الفرنسية بطلاقة مثل الإنكليزية، بالإضافة إلى الألمانية والأسبانية.

أنزل موظف الاستقبال مفتاحين. ولم يطلب من أي منهما التوقيع أوتقديم بطاقة إئتمان. كانت المدرسة تملك الفندق، لذا لم تكن هناك حاجة لفاتورة حساب عند مغادرتهما. أعطى أحد المفتاحين لأليكس.

– "آمل انك لا تؤمن بالخرافات،" قال موظف الإستقبال، بالإنكليزية هذه المرة.

– "كلا،" أجاب أليكس.

– "إنها الغرفة رقم ثلاثة عشر. في الطابق الأول. أنا متأكد إنك ستجدها مقبولة جداً." ابتسم موظف الإستقبال.

أخذت السيدة ستيلينبوش مفتاحها. "للفندق مطعم خاص به،" قالت ستيلينبوش. "ربما نتناول الطعام هنا على أية حال. لا نريد أن نخرج في المطر. على كل حال، الطعام هنا ممتاز. هل تحب الطعام الفرنسي يا أليكس؟

– "ليس كثيرا،" قال أليكس.

- "حسناً، أنا متأكد بأننا سنجد شيئاً يعجبك. لماذا لا تنعش نفسك بعد الرحلة؟" ونظرت إلى ساعتها. "سنتناول الطعام عند السابعة. بعد ساعة ونصف من الآن. سيمنحنا ذلك فرصة للحديث مع بعضنا. هل لي أن اقترح، ربما، ملابس أكثر أناقة للعشاء؟ الفرنسيون ليسو رسميين، لكنك - إذا سمحت لي بأن أقول ذلك يا عزيزي - تذهب بغير الرسمية إلى أبعد من حدودها. سأتصل بك عند السادسة وخمس وخمسين دقيقة. آمل أن تكون الغرفة على ما يرام."

كانت الغرفة رقم ثلاثة عشر في نهاية ممر طويل وضيق. انفتح الباب ليظهر مجالا واسعا بشكل مدهش، مطل على مناظر في الساحة. كان هناك سرير مزدوج ذي غطاء ابيض وأسود، وتلفزيون وثلاجة صغيرة، وطاولة، وصورتين لباريس داخل إطارين، معلقتان على الحائط. كان حمّال قد حمل حقائب أليكس، وحالما غادر الغرفة، رفس أليكس فردتي حذائه وجلس على السرير. وتساءل لمَ جاءا إلى هنا. كان يعرف بأن الهليكوبتر كانت بحاجة إلى التزود بالوقود، لكن ذلك لم يستلزم التوقف ليلة كاملة. لماذا لا يطيران إلى المدرسة مباشرة؟

كان لديه أكثر من ساعة عليه أن يقضيها. ذهب أولا إلى الحمام المزيد من الزجاج والرخام الأبيض - واغتسل بالدش. بعد ذلك، عاد أليكس إلى الغرفة، وهو يلف نفسه بمنشفه، وشغّل جهاز التليفزيون. كان أليكس فريند يحب مشاهدة التليفزيون كثيراً. وكانت هناك

حوالي ثلاثون قناة ليختار منها. تجاوز أليكس القنوات الفرنسية وتوقف عند قناة أم.تي.في. تساءل إن كان مراقباً بالكاميرات. كانت هناك مرآة كبيرة خلف المنضدة وكان من السهل إخفاء كاميرا خلفها. حسناً، لماذا لا يقدم لهم شيئا ليفكروا فيه؟ فتح الثلاجة الصغيرة وملأ كأسا من شراب الجن. ثم ذهب إلى الحمام، وأعاد ملأ الزجاجة بالماء وأعادها إلى الثلاجة. شربُ الكحول والسرقة! لو أن السيدة ستيلينبوش كانت تراقبه لكانت قد عرفت أن لديها الكثير لتنشغل به معه.

أمضى الدقائق الأربعين التالية يراقب التليفزيون ويتظاهر بشرب الجن. ثم أخذ الكأس إلى الحمام ورماه في المغسلة، ليجعل السائل ينفذ. كان الوقت قد حان ليلبس ملابسه. هل كان عليه أن يفعل ما أخبرته ويلبس لباسا أنيقا؟ في النهاية، وفّق بين الأمرين، فلبس قميصاً ولكنه أبقى على الجينز ذاته. وبعد لحظة رن جرس الهاتف. إنها مكالمة دعوته للعشاء.

كانت السيدة ستيلينبوش تنتظره في المطعم، الذي كان عبارة عن غرفة غير معرضة للهواء في طابق تحت الأرض. كانت الإنارة الهادئة والمرايا تستخدم لجعل الغرفة تبدو رحبة، لكنها مع ذلك كانت آخر مكان يمكن أن يختاره أليكس. كان للمطعم أن يكون في أي مكان آخر، في أي جزء من العالم. كان هناك شخصان آخران يتناولان عشائهما في المطعم - رجلي أعمال من مظهرهما - وإلا فقد كانا لوحدهما. غيرت السيدة ستيلينبوش ملابسها إلى

ثوب مسائي اسود ذي ريشات على الياقة، وارتدت قلادة قديمة ذات خرزات سوداء وفضية اللون. خطر إلى أليكس أنها كلما إرتدت ملابس أجمل بدت أكثر قبحاً. كانت تدخن سيجاراً آخر "آه، أليكس!" ونفخت الدخان. "هل ارتحت؟ أم شاهدت التليفزيون؟"

لم يقل أليكس شيئا. جلس وفتح قائمة الطعام، ثم أغلقها ثانية عندما رأى أنها كانت بالفرنسية بالكامل.

– "يجب أن تدعني أطلب لك. ربما ترغب أن تبدأ بالشوربة؟ ثم شرائح اللحم. لم أصادف أبداً ولداً لا يحب شرائح اللحم."

– "ابن عمي أوليفر نباتي،" قال أليكس. كان قد قرأ تلك المعلومة في أحد الملفات.

هزت الطيار المساعد رأسها كما لو أنها كانت تعرف ذلك، وقالت: "إذن فهو لا يعرف ما يفوته." جاء نادل ذووجه شاحب، فأخبرته بالطلب باللغة الفرنسية. "ماذا ستشرب؟" سألت أليكس.

– "سأشرب كوكا."

– "مشروب مثير للأشمئزاز، كما أعتقد دائماً. فأنا لم أفهم طعمه أبداً. لكن، بالطبع، ستحصل على ما تريد."

أحضر النادل كوكا لأليكس وقدحا من الشامبانيا للسيدة ستيلينبوش. راقب أليكس الفقاعات وهي ترتفع في القدحين، وكانت فقاعاته سوداء وفقاعاتها ذهبية باهتة.

– "سانتي،" قالت السيدة ستيلينبوش.

– "عفوا؟"
– "إنها كلمة فرنسية تعني 'صحة جيدة.'"
"آه. بصحتك."
كانت هناك لحظة صمت. وكانت عينا المرأة مثبتتان عليه كأنها كانت ترى ما في داخله. "إذن لقد كنت في إيتون،" قالت بشكل عرضي.
– "هذا صحيح." وفجأة أصبح أليكس حذراً.
– "في أي بيت كنت تسكن؟"
– "في هوبغاردن." كان هذا اسما لبيت حقيقي في المدرسة. لقد قرأ أليكس الملف بدقة.
– "لقد زرت إيتون مرة واحدة. أتذكر تمثالا أعتقد أنه كان ملكاً. لقد كان موضوعاً في البوابة الرئيسية "
كانت المرأة تختبره. كان أليكس متأكداً من ذلك. هل كانت تشك فيه - أم أن ذلك كان إجراءً احترازياً، وهو شيء كانت تفعله دائما؟ "أنت تتحدثين عن هنري السادس،" قال أليكس. "يقع تمثاله في كوليج يارد. هو الذي أسس إيتون."
– "لكنك لم تحب المكان."
– "كلا."
أحمد
– "لماذا؟"
– "لم أحب الزي الرسمي، ولم أحب الـ'مناقير.' كان أليكس حذراً بحيث لم يستخدم كلمة "مدرّسين." في مدرسة إيتون،

يطلقون عليهم اسم 'مناقير.' فابتسم نصف إبتسامة لنفسه. إن أرادت قليلاً من لكنة إيتون، فلتأخذ مني قليلاً. "كما أنني لم أحب القوانين. ولم أحب أن يفرض 'البابات' بعض الغرامات، أوأن يضعوني في كتاب 'المتأخرين.' كثيرا ما كنت أحصل على على 'ريبات' أو'إنفوات'، أويضعونني على القائمة. فضلا عن 'الدايفات' المملة———."

– "أخشى أنني لم أفهم كلمة مما تقول."

– "'الدايفات' يعني الدروس، و'الريبات' يعني التقييم السيء للأداء"، أوضح أليكس لها.

– "حسنا!" ثم رسمت خطاً بسيجارها."هل كان هذا هو السبب الذي جعلك تحرق المكتبة؟"

– "كلا،" قال أليكس. "السبب في ذلك هو أنني لا أحب الكتب.

وصل القسم الأول من الطعام. كانت شوربة أليكس صفراء وكان هناك شيء يطفو فيها. التقط ملعقته وبحث في الشوربة بارتياب. "ما هذا؟" سأل أليكس.

– "سوب دومول."

نظر إليها أليكس دون أن يفهم شيئاً.

– "إنها شوربة الماسل. أتمنى أن تستمتع بها."

– "كنت أفضل طماطم هاينتز"، قال أليكس.

عندما وصلت شرائح اللحم، كانت فرنسية كالعادة، غير مطبوخة تقريباً. أخذ أليكس لقمتان من اللحم المليء بالدم، ثم رمى بسكينه

وشوكته وإستخدم أصابعه ليأكل البطاطا المقلية. حدثته السيدة ستيلينبوش عن جبال الألب الفرنسية وعن التزلج وعن زياراتها لمدن أوروبية عديدة. كان من السهل أن يدوعليه الملل. وكان بالفعل يشعر بالملل. وبدأ يشعر بالتعب. شرب رشفة من الكوكا، على أمل أن يوقظه المشروب البارد. بدا له أن وجبة الطعام كانت تمتد طوال الليل.

لكن في النهاية وصلت الحلويات - آيس كريم مع صلصة الشوكولاتة البيضاء - ثم غادرت. رفض أليكس شرب القهوة.

– "تبدومتعباً،" قالت السيدة أليكس، التي كانت قد أشعلت سيجاراً آخر. تكوّر الدخان حول رأسها وجعله يشعر بالدوار. "هل تود الخلود إلى النوم؟"

– "نعم."

– "ليس علينا المغادرة حتى منتصف نهار الغد. سيكون لديك وقت لزيارة اللوفر، إذا كنت ترغب بذلك."

هزّ أليكس رأسه. "في الواقع اللوحات تجعلني أشعر بالملل."

– "حقاً؟ يا للعار!"

نهض أليكس. وبطريقة ما ضرب قدحه بيده، وأراق ما تبقى من الكوكا على قماش الطاولة الأبيض النقي. ماذا دهاه؟ لقد أصبح منهكاً فجأة.

– "هل تريدني أن اصعد معك يا أليكس؟" سألت المرأة. كانت تنظر إليه بحرص، وكانت هناك لمعة صغيرة من الإهتمام في عينيها الخاليتان من الإحساس في الأوقات الأخرى.

– "كلا. سأكون على ما يرام." سار أليكس مبتعداً. "تصبحين على خير."

كان صعوده السلالم محنة بحد ذاته. كان المصعد يغريه أن يستخدمه، لكنه لم يرد أن يحصر نفسه في تلك المقصورة الصغيرة الخالية من الشبابيك، فهو سيشعر بالإختناق. تسلّق السلالم، وكتفه يستريح بثقل على الحائط، وتعثر وهو يمر خلال الرواق ليضع المفتاح بطريقة ما داخل القفل. عندما تمكن من الدخول في النهاية، كانت الغرفة تدور. ماذا كان يحدث؟ هل شرب من الجن أكثر مما كان ينوي، أم هل تم ....؟

أبتلع أليكس ريقه. لقد تم تخديره. لقد كان هناك شيء ما في الكوكا، وكان لا يزال على لسانه، بعض المرارة. كانت هناك ثلاث خطوات بينه وبين السرير، لكنها كانت تبدو ميلاً كاملاً. ما عادت ساقاه تطيعانه، فرفع قدمه وإستنفذ كل قواه. سقط إلى الأمام، وهو يمد ذراعيه. تمكن بطريقة ما من دفع نفسه بما فيه الكفاية. ضرب صدره وكتفاه السرير، وغاص في الفراش. كانت الغرفة تدور من حوله، أسرع فأسرع. حاول الوقوف، وحاول الكلام - لكنه لم يتمكن من شيء. أغلقت عيناه. ثم سمح للظلام أن يلفه، بكل إمتنان.

بعد مرور ثلاثين دقيقة، كانت هناك نقرة خفيفة وبدأت الغرفة بالتغيير.

لو كان أليكس قادراً على فتح عينيه لكان قد رأى المنضدة، والثلاجة الصغيرة، وصور باريس ذات الإطار وهي تبدأ بالإرتفاع

على الحائط. أوإنها قد بدت له كذلك. لكن في الحقيقة لم تكن الجدران تتحرك. كانت الأرضية تنزل على رافعات هيدروليكية مخفية، وهي تأخذ السرير - وأليكس فوقه - إلى أعماق الفندق. لم تكن الغرفة أكثر من مصعد عملاق يحمله، متحركاً سنتيمتراً واحد في كل لحظة إلى السرداب وأعمق من ذلك. الآن أصبحت الحيطان صفائح معدنية. لقد تُرك ورق الجدران والأضواء والصور في مكان بعيد في الأعلى. كان يسقط خلال ما يمكن أن يكون ممر التهوية، وكانت أربعة قضبان فولاذية تقوده إلى القاع. وفجأة غمره ضوء ساطع. كانت هناك نقرة خفيفة أخرى. لقد وصل.

وقف السرير في منتصف عيادة طبية لامعة تحت الأرض. تزاحمت الأجهزة العلمية حوله من كل الجوانب. كان هناك العديد من الكاميرات - رقمية، فيديو، وأشعة تحت الحمراء وسينية. كانت هناك آلات من كل الأشكال والأحجام، لا يمكن التعرف على العديد منها.

خرجت مجموعة متشابكة من الأسلاك بشكل حلزوني من كل ماكنة لتربطها بمجموعة من الحواسيب التي كانت تطنطن وتومض وهي تمتد على طاولة عمل طويلة مقابل أحد الجدران. كان هناك شباك محفور في أحد الجدران على الجهة المقابلة وكانت الغرفة مكيفة الهواء. لو أن أليكس كان مستيقظاً لكان قد ارتجف من البرد. بدت انفاسه وكأنها غيمة بيضاء باهتة تحوم حول فمه.

كان هناك رجل ممتلئ الجسم يرتدي معطفا ابيضا بانتظار أن

يستلمه. كان الرجل يناهز الأربعين، ذوشعر أصفر ينزلق إلى الخلف، ووجه ينحدر بسرعة نحو متوسط العمر، وخدود منتفخة ورقبة سميكة وبدينة. كان الرجل يرتدي نظارات وله شارب صغير. وكان معه مساعدان، يرتديان معطفين بيضاوين كذلك. كان وجهاهما خاليين من أي تعبير.

بدأ الثلاثة العمل مباشرة. كانوا يعاملون أليكس كما لو كان كيساً من الخضراوات - أوجثة - فالتقطوه وجردوه من جميع ملابسه. ثم راحوا يصورونه بإستخدام كاميرا تقليدية في البداية. بدأوا أولاً من أصابع رجليه، ثم انتقلوا إلى الأعلى، ملتقطين المئات من الصور على الأقل، وكان الوميض يشتعل والفيلم يلتف إلى الأمام بشكل آلي. لم ينجو أي جزء من جسمه من تدقيقهما. قطعت خصلة من شعره ووضعت في مظروف بلاستيكي. إستخدم مجهر للعين لإنتاج صورة متقنة لمؤخرة العين. ثم صنعوا قالبا لأسنانه بإدخال قطعة من المعجون في فمه وتحريك ذقنه ليجعلوه يقضم على المعجون. وسجلوا ملاحظة دقيقة عن الوحمة على كتفه الأيسر، والندبة على ذراعه، وحتى طبعات أصابعه. أليكس يعضّ أظافره. تم تسجيل ذلك أيضاً.

وفي النهاية، وضعوه على ميزان كبير مسطح ليزنوه ويقيسوا طوله وصدره وخصره وباطن رجله وحجم يده، وهكذا، ووضعوا ملاحظة عن كل قياس في مخزن الكمبيوتر.

وفي تلك الأثناء كانت السيدة ستيلينبوش تراقب من الجانب الآخر من الشباك. لم تتحرك من مكانها. كانت علامة الحياة في

وجهها هي السيجار المربوط بأحكام بين شفتيها. توهّج السيجار باللون الأحمر وتصاعد منه الدخان.

أنهى الرجال الثلاثة عملهم. تكلّم الرجل ذوالشعر الأصفر من خلال مايكروفون، قائلا: "لقد إنتهينا كلنا."

– "أعطني رأيك يا سيد باكستر." تكرر صوت المرأة من خلال مكبر صوت مخفي.

– "هذا شيء سهل." كان الرجل المدعو باكستر إنكليزياً. وتكلم بلهجة الطبقة العليا. من الواضح أنه كان راض عن نفسه. "لديه بنية عظمية جيدة. إنه لائق تماما. لديه وجه ممتع. هل ترين الأذن المثقوبة؟ لقد ثقبت حديثا. ليس لدي شيء آخر أقوله، حقا."

– "متى ستبدأ العمل؟"

– "في أي وقت تأمرين، أيتها الفتاة العجوز. فقط أخبريني بذلك."

استدارت السيدة ستيلينبوش إلى الرجلين الآخرين. "رابيلي–لو!" نطقت هاتين الكلمتين بسرعة.

ألبس المساعدان أليكس ملابسه مرة أخرى. أخذ ذلك الأمر وقتاً أطول من خلعهما. أثناء عملهما قاما بتدوين ملاحظات دقيقة عن كل أسماء الماركات. قميص كويكسيلفر. جوارب غاب. وعندما إنتهيا من وضع ملابسه عليه، عرفا الكثير عنه مثلما يعرف الطبيب عن طفل حديث الولادة. تم تسجيل كل شيء. وسيتم نقل هذه المعلومات.

تمشى السيد باكستر بجانب طاولة العمل وضغط الزر. وفي الحال، بدأت السجادة والسرير وأثاث الفندق بالإرتفاع، واختفت خلال السقف وإستمرت بالتحرك. كان أليكس مستمرا بنومه وهو يحمل إلى الأعلى، وفي النهاية وصل إلى المجال الذي عرفه على أنه الغرفة ثلاثة عشر.

لم يكن هناك شيء يبيّن ما حدث. تبخّرت التجربة كلها تماما مثل حلم.

"إسمي جريف"

لقد بُنيت الأكاديمية في 'بوينت بلانك' على يد مجنون، وأستخدمت لفترة من الزمن كملجأ. تذكّر أليكس ما أخبره به ألين بلنت عندما بدأت الهليكوبتر بالهبوط النهائي، وأصبحت بقعة الهبوط المخططة بالأحمر والأبيض تلوح لاستقبالها. تم التقاط الصورة الموجودة في الكرّاس بلمحة فنية. أما الآن، وقد ستطاع رؤية البناية بنفسه، فلم يستطع وصفها إلا بأنها مجنونة.

كانت عبارة عن خليط من الأبراج والأسوار، وأسطح خضراء منحدرة وشبابيك من كافة الأشكال والأحجام. لم تكن الأجزاء متناسقة مع بعضها. كان من المفترض أن يكون التصميم بسيطاً بما فيه الكفاية؛ منطقة مركزية مدوّرة ذات جناحين. لكن أحد الجناحين كان أطول من الآخر، ولم يتلاءم الجانبان مع بعضهما. كانت الأكاديمية تتكون من أربعة طوابق عالية، لكن الشبابيك كانت موضوعة بطريقة جعلت من الصعب أن تعرف أين ينتهي أحد الطوابق وأين يبدأ الآخر. وكان هناك فناء داخلي ليس مربعاً تماماً، وفيه نافورة متجمدة. وحتى بقعة الهبوط، التي كانت تبرز من السطح، كانت قبيحة وغريبة الشكل، كما لو أن سفينة فضاء قد ارتطمت بالبناء وثبتت في مكانها.

نقرت السيدة ستيلينبوش على أزرار التحكم. "سأنزلك لكي تقابل المدير،" صرخت بصوت أعلى من ضوضاء ريش المروحة. "سيتم جلب أمتعتك لاحقاً."

كان الجو بارداً فوق السطح، وكان الثلج الذي يغطي الجبل لم يذب بعد، وكان كل شيء أبيضاً على مدى البصر.

كانت الأكاديمية مبنية على جانب منحدر شديد. وإلى الأسفل منها، رأى أليكس لسانا حديدياً يخرج من الأرض ثم ينحني إلى الخارج في المكان الذي يتناقص فيه جانب الجبل. كان هذا اللسان مقفزاً للتزلج - ذلك الشيء الذي رآه في الأولمبياد الشتوية. كانت نهاية المنحنى تبعد عن الأرض خمسين متراً على الأقل، ورأى أليكس تحتها منطقة منبسطة على شكل حدوة حصان حيث كان من المفترض أن يهبط المتزلجون.

كان أليكس يحدّق في المكان، متخيلاً كيف سيكون الأمر لو أنه دفع بنفسه في الفضاء بزلاجتين لإتمام قفزته، عندما أمسكت المرأة بذراعه، وقالت: "نحن لا نستخدم ذلك. إنه ممنوع. هيا بنا الآن. دعنا نخرج من هذا البرد."

دخلا من باب في جانب أحد الأبراج ونزلا سلّماً حلزونيا ضيقاً - وكانت كل درجة على مسافة مختلفة – أخذهما إلى الطابق الأرضي. أصبحا الآن في ممر طويل ضيّق فيه الكثير من الأبواب لكن دون شبابيك.

"قاعات دراسية" وضّحت السيدة ستيلينبوش. "ستراها لاحقاً.

تبعها أليكس داخل البناية الهادئة بشكل غريب. كانت التدفئة المركزية مشغلة بأعلى درجة داخل الأكاديمية وكان الجو دافئاً وثقيلاً. توقفا عند بابين زجاجيين حديثين، يقودان إلى الفناء الذي رآه أليكس من الأعلى. أخذته السيدة ستيلينبوش من خلال البابين وبجانب النافورة المتجمدة، لتعيده من الحرارة إلى البرد ثانية. أثارت حركت ما انتباهه، فنظر أليكس إلى الأعلى. كان ذلك شيئا لم يره ينتبه إليه سابقاً. كان هناك حارس يجلس على أحد البرجين، وكان هناك منظار يتدلى حول رقبته وبندقية نصف آلية معلقة على أحدى ذراعيه.

حراس مسلحون؟ في مدرسة؟ لم يمض على وجود أليكس هنا إلا دقائق معدودة وها قد أثيرت أعصابه.

– "من هنا." فتحت السيدة ستيلينبوش باباً آخر له، ليجد نفسه في قاعة الإستقبال الرئيسية للأكاديمية. كانت هناك أخشاب مشتعلة في موقد ضخم، وتنينين من الحجر يحرسان ألسنة النار. وكان هناك سلّم كبير يقود إلى الأعلى، وكانت القاعة مضاءة بثريا تحتوي على مئة مصباح على الأقل، والجدران مغطاة بالخشب. كانت السجادة سميكة وذات لون أحمر داكن. كانت عشرات العيون تلاحق أليكس وهو يتّبع خطى السيدة ستيلينبوش نحو الممر الآخر. كانت القاعة مزخرفة برؤوس الحيوانات: وحيد القرن، ظبي، جاموس الماء، وأكثر ما كان يثير الحزن هو الأسد. تساءل أليكس عن الشخص الذي قتل هذه الحيوانات.

وصلا إلى باب منفرد، وهو ما أوحى بأنهما وصلا إلى نهاية رحلتهما. لم يقابل أليكس أي أولاد لحد الآن، لكنه حينما نظر من الشباك رأى حارسين آخرين يسيران ببطء، وكل منهما يحمل بندقية آلية.

قرعت السيدة ستيلينبوش الباب.

– "ادخل!" من تلك الكلمة لوحدها تمكن أليكس من إدراك اللهجة الجنوب افريقية.

فتح الباب، ودخلا في غرفة ضخمة ليس لها أي معنى. مثل بقية البناية، كان شكل الغرفة شاذاً، فلم تكن الجدران متوازية. كان السقف على ارتفاع سبعة أمتار تقريبا، والشبابيك تمتد على طوله لتعطي منظرا مؤثراً للمنحدرات. كانت الغرفة حديثة، يملؤها ضوء خافت يخرج من وحدات مخفية في الجدران. كان الأثاث قبيحا، لكنه ليس أكثر قبحاً من رؤوس الحيوانات على الجدران وجلد حمار الوحش على الأرضية الخشبية. كانت هناك ثلاثة كراسي خلف موقد صغير، أحدهم ذهبي وقديم، وكان شخص يجلس فيه. أدار الرجل رأسه عندما دخل أليكس.

– "مساء الخير يا أليكس،" قال الرجل. "رجاءً تعال وإجلس."

مشى أليكس ببطء إلى داخل الغرفة وأخذ أحد الكراسي. وجلست السيدة ستيلينبوش في الكرسي الآخر.

– "اسمي جريف"، واصل الرجل حديثه. "د. جريف. أنا مسرور جداً بلقائك ووجودك هنا."

حدّق أليكس بالرجل الذي كان مدير 'بوينت بلانك'، ذي البشرة البيضاء كالورق والعينين المشتعلتين خلف النظارات الحمراء. بدا له وكأنه يلتقي بهيكل عظمي، وضاعت منه الكلمات للحظة من الزمن. ثم إستعاد عافيته، وقال:- "مكان جميل."

- "هل تعتقد ذلك؟" كان صوت جريف خالياً من العواطف تماماً، ولحد الآن لم يحرك سوى رقبته. "تم تصميم هذه الغرفة عام 1857 من قبل فرنسي، كان بالتأكيد أسوأ معمار في العالم. وكانت هذه مهمته الوحيدة، فعندما جاء أول مالكي البناية هنا قتلوه رمياً بالرصاص."

- "لا زال بعض الناس هنا يحملون البنادق." نظر أليكس من الشباك عندما كان هناك حارسان يمشيان بجانبه.

-"إن 'بوينت بلانك' فريدة من نوعها"، أوضح د. جريف. "كما ستكتشف لاحقا، كل الأولاد الذين أرسلوا إلى هنا ينحدرون من عائلات ذات ثراء ومكانة عظيمة. كان لدينا أبناء إباطرة وصناعيين. أولاد مثلك. وهذا قد يجعلنا بسهولة هدفا للإرهابيين. فالحراس هنا من أجل حمايتك."

- "هذا من لطفك." شعر أليكس أنه كان يتصرف بتهذيب أكثر مما يجب. لقد حان الوقت ليظهر لهذا الرجل أي نوع من الرجال كان يفترض أن يكون. "لكن لكي أكون صادقا، في الواقع أنا لا أريد أن أكون هنا. لذا أخبرني لو سمحت كيف أنزل إلى المدينة، فربما استطعت أن الحق بالقطار التالي للذهاب إلى البيت."

– "ليس هناك طريق ينزلك إلى المدينة." رفع د. جريف يده ليقاطع أليكس. نظر أليكس إلى أصابعه الطويلة الشبيهة بالهيكل العظمي، وعينيه المتلألئتين باللون الأحمر من خلف النظارات. تحرك الرجل وكأن كل عظم في جسمه قدإانكسر ومن ثم ألتحم ثانية؛ بدا وكأنه عجوزا وشابا في ذات الوقت وبشكل ما ليس بشراً تماماً.

– "لقد انتهى موسم التزلج... ومن الخطورة الخروج الآن. لا يمكن أخراجك من هنا إلا بالهليكوبتر فقط، فقط عندما اسمح أنا بذلك." أنزلت اليد نفسها مرة أخرى. "أنت هنا يا أليكس، لأنك خيبت ظن والديك. لقد طُردت من المدرسة، ولديك مشاكل مع الشرطة ـــ"

– "لم تكن تلك غلطتي اللعينة!" احتج أليكس.

– "لا تقاطع الدكتور!" قالت السيدة ستيلينبوش.

نظر إليها أليكس بكراهية.

– "إن مظهرك مثير للإزعاج،" استمر د. جريف بالكلام. "وكذلك لغتك. أن عملنا هو تحويلك إلى ولد يفتخر به والداه."

– "أنا سعيد بما أنا عليه،" قال أليكس.

– "هذا ليس له علاقة بالموضوع." ثم صمت د. جريف.

ارتجف أليكس. كان هناك شيء ما حول هذه الغرفة؛ لقد كانت كبيرة جداً، وفارغة جداً، وشكلها شاذ جداً. "إذن ماذا ستفعل بي؟" سأل أليكس.

– "لن تكون هناك دروس في البداية،" قالت السيدة ستيلينبوش. "نريدك أن تتأقلم في الأسبوعين الأولين."

– "ماذا يعني ذلك؟"

– "أن تتأقلم. أن تتوافق أن تتكيف أن تصبح مشابهاً."

بدا الأمر وكأنها تقرأ المفردات في قاموس. "هناك ستة أولاد في الأكاديمية حالياً. ستلتقي بهم وستقضي وقتا معهم. ستكون هناك فرص لممارسة الرياضة وتكون اجتماعيا. توجد مكتبة جيدة هنا وسوف تقرأ. ستتعلم طرقنا عما قريب."

– "أريد أن اتصل بأبي وأمي،" قال أليكس.

– "استعمال الهواتف ممنوع،" أوضحت السيدة ستيلينبوش. حاولت الإبتسام وهي تنظر بعين العطف، وواصلت حديثها قائلة: "نعتقد بأن ذلك يجعل طلابنا يشعرون بالحنين للبيت. بالطبع، بإمكانك كتابة الرسائل إن رغبت."

– "أنا أفضل الرسائل بالبريد الإلكتروني،" قال أليكس.

– "الحواسيب الشخصية غير مسموح بها لنفس السبب."

هزّ أليكس كتفيه، وتلفظ بشتيمة بصوت خافت.

لكن جريف شاهده. "ستكون مهذبا مع مساعدة الطيار!" قالها د. جريف بحدة. لم يرفع صوته، لكن الكلمات جاءت لاذعة. "عليك أن تعلم يا أليكس بأن السيدة ستيلينبوش تعمل معي منذ ست وعشرون سنة، وبأنني عندما التقيتها كانت قد أنتخبت بطلة جنوب أفريقيا لخمسة أعوام متتالية."

نظر أليكس إلى الوجه الشبيه بوجه قرد. "مسابقة جمال؟" سأله أليكس.

– "بطولات رفع الأثقال." نظر د. جريف إلى الموقد، وقال:- "أريه."

نهضت السيدة ستيلينبوش وذهبت إلى الموقد. كان هناك مذكى للنار في المنصب. مسكت المذكى بكلتا اليدين، وبدا للحظة أنها كانت تركز. أما أليكس فكان يلهث. بدأ المذكى الحديدي الصلب، والذي كان سمكه سنتيمترين على الأقل، ينثني ببطء، إلى أن أصبح مقوساً تماماً. أما السيدة ستيلينبوش فلم تنزل منها حتى قطرة عرق واحدة. وتمكنت من إيصال الطرفين إلى بعضهما، ثم ألقت المذكى في المنصب. أرتطم المذكى بالحجر واصدر رنينا.

– "نحن نفرض نظاما صارماً هنا في الأكاديمية،" قال د. جريف. "وقت الذهاب إلى الفراش هو الساعة العاشرة - لا نسمح بدقيقة تأخير بعد ذلك. نحن لا نطيق اللغة البذيئة. لن تقوم بأي اتصال مع العالم الخارجي دون إذن منا. لن تحاول المغادرة. وستفعل ما تأمر به لحظة بلحظة ودون تردد. وأخيرا" - انحنى د. جريف باتجاه أليكس - "يسمح لك بالتجول في أجزاء معينة من البناية." أشار د. جريف بيده، ولأول مرة لاحظ أليكس باباً ثانياً في الطرف البعيد من الغرفة:-"توجد مواقعي الخاصة من هذا الاتجاه. ستبقى في الطابق الأرضي والطابق الأول فقط، حيث توجد غرف النوم وصفوف الدروس. الطابقين الثاني والثالث خارج حدودك. والسرداب كذلك. هذا من أجل سلامتك أيضاً."

– "أتخشى أن تزل قدمي على السلالم؟" سأل أليكس.

تجاهله د. جريف، وقال: – "بإمكانك الانصراف."

– "انتظر خارج المكتب يا أليكس،" قالت السيدة ستيلينبوش. "سيأتي شخص ليأخذك.

نهض أليكس.

– "سنجعل منك الشخص الذي يريده والداك"، قال د. جريف.

– "ربما لا يريداني البته."

– "بإمكاننا ترتيب ذلك أيضا."

انصرف أليكس.

– "فتى ثقيل الدم   بضعة أيام   أسرع من المعتاد
مشروع الجوزاء   يغلق   "

لو لم يكن الباب سميكاً لأستطاع أليكس أن يسمع أكثر. في اللحظة التي غادر الغرفة وضع أذنه على فتحة مفتاح الباب، آملا أن يحصل على شيء يفيد المخابرات البريطانية. بالتأكيد كان د. جريف والسيدة ستيلينبوش مشغولين بالحديث في الجانب الآخر، لكن أليكس سمع القليل وفهم الأقل من ذلك.

أمسكت يد بكتفه فأدار جسمه وهو منزعج من نفسه. جاسوس مزعوم يقبض عليه وهو يستمع من فتحة المفتاح! لكن الشخص الذي مسكه لم يكن واحدا من الحراس. وجد أليكس نفسه ينظر إلى فتى مدور الوجه ذي شعر أسود فاحم طويل وعينين سوداوين وبشرة شاحبة. كان يرتدي قميصاً قديماً جداً من قمصان حرب النجوم، وبنطلون جينز ممزق وقبعة لاعبي البيسبول. لقد كان يتشاجر قبل قليل، ويبدوأنه قد هزم في تلك المشاجرة. كانت هناك كدمة حول إحدى عينيه وشج في شفته.

– "سيطلقون عليك النار لو أمسكوا بك وأنت تستمع عند الأبواب،" قال الفتى، الذي نظر إلى أليكس بعينين عدائيتين. خمّن أليكس أن هذا الفتى كان من النوع الذي لا يثق بالآخرين بسهولة. – – "أنا جايمس سبرينتز،" قال الفتى. "لقد أخبروني أن أدلك على المكان."

– "أليكس فريند."

– "إذن ما الذي فعلته لكي يرسلوك إلى مكب النفايات هذا؟" سأله جايمس وهما يمشيان عائدين في الممر.

– "لقد طردت من ايتون."

– "وأنا أبعدت من مدرسة في دوسلدورف،" قال جايمس وهو يتحسر. "ظننت أن ذلك كان أفضل شيء حدث لي. إلى أن أرسلني أبي إلى هنا."

– "ماذا يعمل والدك؟" سأل أليكس.

– "أبي مدير العاب قمار، ويقامر في أسواق المال. فهو يحب المال ويمتلك الكثير منه." كان صوت جايمس فاتراً وخالياً من المشاعر.

– "دايتر سبرينتز؟" تذكر أليكس الإسم. كان ذلك الرجل يشغل الصفحة الأولى في كافة الصحف في انكلترا قبل سنوات مضت. الرجل ذوالمائة مليون دولار. كان ذلك المبلغ الذي جناه خلال أربع وعشرين ساعة فقط. وفي ذات الوقت انهار الجنيه الإسترليني وكانت الحكومة البريطانية على وشك الإنهيار.

- "أجل. لا تطلب مني أن أريك صورة له لأنني لا أملك واحدة. من هذا الاتجاه."

وصلا إلى القاعة الرئيسية ذات موقد التنين. من هنا، قاده جايمس إلى غرفة الطعام، وهي غرفة طويلة وذات سقف عال، وتحتوي على ست طاولات وباب صغير يقود إلى المطبخ. وبعد ذلك زارا غرفتي المعيشة وغرفة الالعاب والمكتبة. ذكرت الأكاديمية أليكس بفندق باهظ التكاليف في منتجع تزلج - ليس فقط بسبب ترتيب خلفيته. كان هناك شيء من الثقل في المكان، أن تحس بأنك معزول عن العالم الحقيقي. كان الهواء دافئاً وهادئاً، وعلى الرغم من حجم الغرف لم يتمكن أليكس من مقاومة الشعور برهاب الأماكن الضيقة. لو كان المكان فندقاً لأصبح غير شعبي. كان جريف قد قال أن هناك ستة أولاد فقط يعيشون هنا. لكن البناية يمكنها أن تسع لستين فتى. كان الفضاء الفارغ في كل مكان.

لم يكن هناك أحد في غرف المعيشة - مجرد مجموعة من الكراسي ذوات الذراعين، ومكاتب ومناضد - لكنهما وجدا فتيان اثنان في المكتبة. كانت هذه المكتبة غرفة طويلة ضيقة ذات رفوف قديمة من خشب البلوط فيها كتب بعدة لغات. كانت هناك بذلة من درع سويسري يعود للقرون الوسطى موضوعة في فجوة في الجدار عند الطرف البعيد.

-"هذا توم. وهوغو" قال جايمس. "ربما يؤديان بعض الواجبات في الرياضيات أوشيء من هذا القبيل، لذا من الأفضل أن لا نزعجهما."

نظر إليهما الفتيان وهزا رأسيهما باختصار. كان أحدهما يقرأ في كتاب مدرسي. وكان الآخر يكتب. كان الفتيان يرتديان ملابس أكثر أناقة من جايمس ولم يبدوان ودودين جداً.

– "متحذلقان" قال جايمس حالما غادرا الغرفة.

– "كيف؟"

– "عندما أخبروني عن المكان قالوا لي أن جميع الفتيان يعانون من مشاكل. ظننت أن ذلك سيكون مكاناً وحشياً. هل لديك سيجاره؟"

– "أنا لا أدخن."

– "عظيم. أتيت هنا وإذا بالمكان أشبه بمتحف أودير   لا أعرف ما هو. يبدوأن د. جريف كان مشغولاً. الكل هادئ، ومثابر في عمله، وممل. الله يعلم كيف فعل ذلك. كأنه امتص عقولهم بمصاصة شرب أوما شابه. قبل يومين دخلت في شجار مع اثنين من هؤلاء، لا لغرض معين." وأشار إلى وجهه. "لقد أوسعوني ضربا ثم عادا إلى دراستهما. إنهما بحق متحذلقان."

بعدها ذهبا إلى غرفة الألعاب، التي ضمت تنس الطاولة والسهام وجهاز تليفزيون بشاشة عريضة وطاولة سنوكر. "لا تحاول أن تلعب السنوكر،" قال جايمس. "تقع الغرفة على منحدر، لذا فجميع الكرات تتدحرج إلى الجانب."

ثم صعدا إلى الأعلى، إلى حيث توجد غرف نوم الدراسة الخاصة بالفتيان. كان في كل غرفة سرير، وكرسي له أذرع،

وتلفزيون ("وهو يعرض البرنامج الذي يريدك د. جريف أن تراه فقط،" قال جايمس)، وخزانة ملابس ومكتب، وباب آخر يؤدي إلى حمام صغير فيه مرحاض ودوش. لم تكن أي من الغرف مقفلة.

"لا يسمح لنا بإقفال الغرف،" أوضح جايمس. "كلنا محجوزون هنا ولا نستطيع الذهاب إلى أي مكان، لذا لا أحد يتجشم عناء سرقة شيء ما. اعتاد هوغو فرايز - الفتى الذي يجلس في المكتبة - أن يسرق أي شيء يقع تحت يديه. تم اعتقاله لأنه كان يسرق الدكاكين في أمستردام."

– "لكن هل توقف عن السرقة؟"

– "انه يمثل قصة نجاح أخرى. سيطير إلى البيت في الأسبوع القادم. يملك ابوه مناجم الماس. لماذا يتعب نفسه لسرقة محل إذا كان بإمكانه شراء المحل بأكمله؟"

كانت غرفة دراسة أليكس تقع في نهاية الممر، وتطل على مكان قفز التزلج. أما حقائبه فقد تم حملها إلى الغرفة وكانت في انتظاره على السرير. بدا كل شيء مجردا، لكن، كما قال جايمس، كانت غرف الدراسة هي الجزء الوحيد من المدرسة الذي سُمح للفتيان بتزيينه بأنفسهم. كان بإمكانهم إختيار أغطيتهم الكبيرة المحشوة بالريش وتغطية الجدران بملصقاتهم الخاصة.

– "يقولون أن من المهم أن تعبّر عن نفسك،" قال جايمس. "إذا لم تكن قد أحضرت أي شيء معك فإن الآنسة ستوماك– باغ]حقيبة–المعدة[ستأخذك إلى غرينوبل."

– " الآنسة ستوماك– باغ؟"

– "السيدة ستيلينبوش. هذا الاسم الذي أطلقه أنا عليها."

– "ماذا يدعوها بقية الفتيان؟"

– "يدعونها السيدة ستيلينبوش." توقف جايمس عند الباب. "هذا مكان غريب جدا يا أليكس. لقد دخلت الكثير من المدارس لأنني طردت من مدراس كثيرة. لكن هذه المدرسة هي الحضيض. لقد قضيت ستة أسابيع هنا لحد الآن ولم أحصل على أية دروس. لديهم أمسيات موسيقى وأمسيات مناقشة ويحاولون تشجيعي على القراءة. لكن ما عدا ذلك تركت لحالي."

– "يريدونك أن تتأقلم،" قال أليكس، متذكراً ما قاله د. جريف.

– "هذه الكلمة التي يستخدمونها هم. لكن هذا المكان قد يدعونه مدرسة، لكنها تشبه السجن أكثر من المدرسة. لقد رأيت الحراس."

– "ظننت أنهم هنا لحمايتنا."

–"إذا كنت تظن ذلك فأنك أكثر غباء مما ظننت. فكر بالأمر! هناك حوالي ثلاثون منهم. ثلاثون حارساً لسبعة أولاد. هذه ليست حماية. هذا تخويف." تفحص جايمس أليكس للمرة الثانية. من دواعي السرور أن يأتي على بالنا بأن أحدا ما قد وصل أخيرا وبإمكاني التواصل معه،" قال جايمس.

– "ربما بإمكانك ذلك" قال أليكس.

– "نعم. لكن كم تطول الفترة؟"

غادر جايمس، وأغلق الباب خلفه. بدأ أليكس بفتح حقائبه. كانت بذلة التزلج المضادة للرصاص والنظارات ذات الأشعة تحت الحمراء موضوعة في قمة الأشياء في الحقيبة الأولى. لم يبدو الأمر وكأنه سيحتاج إليها. لم يبد الأمر وكأنه كان يمتلك زلاجتين حتى. ثم كان هناك مشغّل الأقراص. تذكّر التعليمات التي أعطاها له سميذرز. "عنما ينتفخ البالون، اضغط زر التسريع إلى الأمام ثلاث مرات." كان يشعر بأن شيئاً كان يغويه ليفعل ذلك الآن. كان هناك شيء في الأكاديمية يثير القلق. كان يشعر بذلك الآن، في غرفته. كان مثل سمكة ذهبية في إناء. عندما نظر إلى الأعلى، توقع أنه سيرى عينين ضخمتين يلوحان فوقه وكان متأكدا أنهما كانا يضعان نظارتين مطليتين باللون الأحمر. وضع مشغل الأقراص في يده ليرى وزنه. لم يكن بإمكانه الضغط على زر الإنذار - لحد الآن. لم يكن لديه شيء ليبلغ المخابرات البريطانية به. لم يكن هناك شيء يجعله يربط بين المدرسة وموت الرجلين في نيويورك والبحر الأسود.

لكن لو كان هناك شيء ما، فإنه كان يعرف أين يجده. لماذا كان هناك طابقين كاملين من البناية خارج الحدود؟ أغلب الظن أن الحراس كانوا ينامون هناك لكن حتى لو أن د. جريف قد وظف جيشاً صغيراً فإن ذلك سيترك الكثير من الغرف الفارغة. الطابقين الثاني والثالث. إذا كان هناك شيء يحدث في الأكاديمية فإنه يحدث هناك.

رنّ جرس في الطابق السفلي. أغلق أليكس حقيبته وغادر غرفته ومشى في الممر. رأى فتيان آخران يمشيان أمامه ويتحدثان مع

بعضهما بصوت منخفض. مثل الفتيان اللذان رآهما في المكتبة، كانا نظيفين وحسني الهندام، وكان شعرهما قصيراً ومصففاً بشكل جميل. متحذلقان تماماً، كان جايمس قد قال ذلك. وافق أليكس على ذلك حتى من النظرة الأولى.

وصل إلى السلم الرئيس، وكان الفتيان قد نزلا إلى الأسفل. نظر أليكس باتجاههما، ثم صعد إلى الأعلى. لفّ السلم حول الزاوية ثم توقف. كانت أمامه صفيحة من الحديد ترتفع من الأرض إلى السقف وتملأ كل المكان وتحجب الرؤيا. كان ذلك الحائط قد أضيف حديثا، مثل بقعة هبوط الهليكوبتر. لقد قام شخص ما بقطع البناية إلى نصفين بكل دقة وبشكل مدروس.

كان هناك باب في الجدار الحديدي، وبجانبه لوحة مفاتيح ذات تسعة أزرار تتطلب رقماً سرياً. مد أليكس يده إلى مقبض الباب، وأمسكه بإحكام. لم يتوقع من الباب أن يفتح - وفي ذات الوقت لم يكن يتوقع ما سيحدث بعد ذلك. في اللحظة التي لامست أصابعه مقبض الباب، انطلق صوت الإنذار، وهي صفارة أطلقت صراخاً تردد صداه في كامل البناية. بعد بضعة ثوان سمع وقع أقدام على السلالم وألتفت ليجد حارسين يواجهانه وهما يرفعان بنادقهما.

لم يتكلم أي من الحارسين لأليكس. اندفع أحدهما وأجتاز أليكس ليدخل رقماً سرياً في لوحة المفاتيح، فتوقف الإنذار. ثم جاءت السيدة ستيلينبوش مسرعة على رجليها القصيرتين المتينتين.

"أليكس!" صاحت السيدة ستيلينبوش. كانت عينها مليئتان بالشك. "ماذا تفعل هنا؟ لقد أخبرك المدير بأن الطوابق العليا ممنوعة."

– "نعم حسنا، لقد نسيت." نظر أليكس إليها مباشرة. "سمعت الجرس يرن وكنت في طريقي إلى غرفة الطعام."

– "غرفة الطعام في الطابق الأسفل."

– "صحيح."

سار أليكس وأجتاز الحارسين، اللذين تنحيا جانباً ليسمحا له بالمرور. شعر بالسيدة ستيلينبوش تراقبه وهو يغادر. أبواب حديدية، أجهزة إنذار، وحراس يحملون بنادق آلية. ماذا كانوا يخفون وراء هذا؟ ثم تذكر شيئا آخر. مشروع الجوزاء. كانت هذه الكلمات التي سمعها عندما كان يستمع عند باب د. جريف.

الجوزاء. التوأمان. إحدى الأبراج الاثني عشر للنجوم.

لكن ماذا كانت تعني؟

نزل أليكس ليقابل بقية الفتيان في المدرسة، وهو يقلب السؤال في رأسه.

أشياء تصدر أصواتاً في الليل

وفي نهاية أسبوعه الأول في 'بوينت بلانك'، قام أليكس بكتابة قائمة بالأولاد الستة الذين يشاركونه المدرسة. كان الوقت حينها منتصف الظهر بينما كان في غرفته لوحده، وكان يوجد كراسة ملاحظات مفتوحة أمامه، فاستغرقه تجميع الأسماء معاً مع التفاصيل القليلة التي حصل عليها نصف ساعة تقريباً.

هوغو فريس، أربعة عشر عاماً، هولندي يعيش في أمستردام. شعره بني وعيناه خضراء اللون. اسم والده رودي ويملك مناجم الماس. يتحدث الانجليزية قليلاً ويقرأ ويعزف على الجيتار. منعزل للغاية، وقد تم إرساله إلى هذه المدرسة بسبب السرقة وإحراق الممتلكات عمداً.

توم ماك مورين، أربعة عشر عاماً، كندي من فان كوفر. والداه مطلقان، وتدير والدته إمبراطورية إعلامية (صحف وتلفاز). شعره أحمر وعيناه زرقاوين، ذو بنية جسدية جيدة، ويلعب الشطرنج. سرقة السيارات والقيادة مخموراً.

نيكولاس مارك، أربعة عشر عاماً، فرنسي من بوردوس. طرد من مدرسة خاصة في باريس بسبب تعاطي مادة غير معروفة؟ شعره بني وعيناه بنيتان. ذو لياقة عالية ومتعدد المواهب. جيد في الرياضة ولكنه لا يتقبل الخسارة. يوجد وشم على كتفه الأيسر على شكل شيطان. اسم والده أنطوني مارك، ويعمل في مجال الخطوط الجوية والفنادق وموسيقى البوب، ولم يذكر والدته أبداً.

كاسيان جايمس، أربعة عشر عاماً، أمريكي. شعره أشقر وعيناه بنيتان. والدته جل، رئيسة أستوديو من استوديوهات هوليود، والداه مطلقان. له صوت عال ويسب كثيرا، يعزف موسيقى الجاز على البيانو. طرد من ثلاثة مدارس، جرائم مخدرات متنوعة. أرسل إلى هذه المدرسة بعد قيامه بالتهريب وتم اعتقاله إلا انه لا يريد التحدث بالأمر في هذا الوقت. وهو أحد الفتية الذين قاموا بضرب جايمس، وهو أقوى مما يبدو عليه.

جوي كانتربيري، أربعة عشر عاماً، أمريكي. يمضي معظم وقته مع كاسيان، كما أنه ساعده ضد جايمس. شعره بني وعيناه زرقاوين. اسم والدته غير معروف ولكنها سيناتور في نيويورك. والده شخص مهم في البنتاغون. متهم بالتخريب والتغيب عن المدرسة والسرقة. أرسل إلى هذه المدرسة بعد سرقة وتحطيم إحدى السيارات. نباتي، ويمضغ العلكة بإستمرار. هل أقلع عن التدخين؟

جايمس سبرنتز، أربعة عشر عاماً، ألماني يعيش في دوسيلدورف. شعره بني وعيناه بنيتان، وشاحب البشرة. والده ديتر سبرنتز، مصرفي ومعروف برجل المائة مليون دولار. تعيش أمه في انجلترا. طرد من المدرسة بسبب جرح إحدى المعلمين باستخدام مسدس هوائي. إنه صديقي الوحيد في هذه المدرسة! وهو الشخص الوحيد الذي يكره هذا المكان فعلاً.

وبينما هو مستلق على سريره، قام أليكس بدراسة القائمة. ماذا أخبرته هذه القائمة؟ لا شيء مهم.

أولاً: كان كل الأولاد في العمر نفسه، أربعة عشر عاماً، تماماً كعمره هو. وكان ثلاثة منهم أوأربعة، على الأقل، لديهم والدين إما مطلقين أومنفصلين. وقد جاءوا كلهم من خلفيات ثرية للغاية، وكان بلنت قد أخبره مسبقا أن تلك كانت القضية، ولكن أليكس كان متفاجئاً من أن الآباء كانوا مختلفين هكذا؛ الخطوط جوية والماس والسياسة والأفلام، فرنسا وألمانيا وهولندا وكندا وأمريكا. وكل واحد من الآباء كان على قمة مجال عمله، كما أن تلك المجالات شملت تقريبا كل النشاطات الإنسانية. وكان هو أيضاً من المفترض أن يكون ابن ملك الأسواق التجارية الضخمة المتخصصة بالأغذية، وكان ذلك عالماً صناعياً آخر كان بإمكانه أن يضع عليه علامة ما.

وقد أعتقل اثنان من الأولاد، على الأقل، بسبب السرقة، وتورط إثنان في المخدرات، ولكن أليكس عرف أن القائمة كانت تخفي أكثر مما تظهره بشكل ما. وباستثناء جايمس، فقد كان من الصعب عليه أن يفسّر بدقة ما الذي جعل هؤلاء الفتية مختلفين. وبطريقة غريبة، فقد بدا الكل متشابهاً.

كان شعرهم وعيونهم مختلفة في ألوانها، وكانوا يرتدون ملابس مختلفة، وكانت كل الوجوه مختلفة؛ فقد كان توم وسيماً وواثقاً من نفسه، وجوي هادئا ومتيقظا، وبالطبع فإنهم لم يتحدثوا بأصوات مختلفة فحسب، وإنما بلغات متعددة. وكان جايمس قد تكلّم عن أدمغة

يتم إمتصاصها بواسطة مصاصات، كما كان لديه حق. وبدا الأمر وكأن الشعور نفسه قد استولى عليهم جميعاً، وقد أصبحوا دمى ترقص على نفس السلك.

قُرع الجرس في الطابق السفلي، فنظر أليكس إلى ساعته، وكانت الساعة الواحدة تماما، إنه وقت الغداء. وكان ذلك شيء آخر بشأن المدرسة؛ فكل شيء يتم في الوقت المحدد، فالدروس كانت من الساعة التاسعة وحتى الثانية عشرة، والغداء من الواحدة وحتى الثانية وهكذا. أما جايمس فقد أصر على التأخر عن كل شيء، وكان أليكس قد بدأ يتعود على الانضمام إليه، وكان ذلك تمرداً بسيطاً ولكنه تمرد مرض ، فقد بيّن أنهم ما زالوا يتحكمون في حياتهم الخاصة. أما الأولاد الآخرون بالطبع فقد تحولوا إلى ما يشبه الآلة التي تعمل بانتظام. وسيكونون الآن في غرفة الطعام ينتظرون بهدوء إلى حين تقديم الطعام.

إستدار أليكس على السرير ووصل إلى قلم وكتب على كراسة الملاحظات عبارة واحدة تحت الأسماء:

غسيل دماغ ؟

لعل ذلك كان هو الجواب. وبحسب جايمس، فقد وصل الأولاد الآخرون إلى الأكاديمية قبل شهرين من وصوله، إذ كان هناك لمدة ستة أسابيع، وذلك يبلغ أربعة عشر أسبوعا في المجمل، فعرف أليكس أنك لن تأخذ مجموعة من الجانحين وتحولهم إلى طلاب كاملين من خلال

إعطائهم كتب جيدة وحسب. لا بد أن الدكتور جريف قد عمل شيئاً آخر، هل هي المخدرات؟ التنويم المغناطيسي ؟ إنه شيء ما.

انتظر أليكس خمس دقائق أخرى ثم خبأ الكراسة تحت غطاءه وغادر الغرفة. وتمنى لو أنه يستطيع أن يقفل الغرفة، إذ لم تكن هناك أية خصوصية في أكاديمية 'بوينت بلانك.' وحتى غرف الحمامات لم تكن لها أقفال، وما زال أليكس لا يستطيع يتخلص من الشعور أن كل شيء قام بفعله، بل كل شيء فكر فيه، كان بطريقة ما مراقباً ومدوناً كدليل ليتم إستعماله ضده.

كانت الساعة الواحدة إلا عشر دقائق عندما وصل إلى غرفة الطعام، ومن المؤكد أن الأولاد الآخرين كانوا هناك مسبقاً يتناولون غداءهم ويتحدثون مع بعضهم بهدوء، كان نيكولاس وكاسيان على مائدة واحدة. أما هوغو وتوم وجوي فقد كانوا على مائدة أخرى. ولم يكن أحد منهم يرمي حبوب البازلاء، ولم يكن أحد يضع كوعه على الطاولة، وكان توم يتحدث عن زيارة قام بها إلى متحف ما في غرينوبل. ولم يمض على وجود أليكس في الغرفة سوى عدة ثوان، إلا أن شهيته كانت قد ذهبت مسبقاً.

وكان جايمس قد وصل قبله للتو، وكان يقف على النافذة الصغيرة بين المطبخ وغرفة الطعام ويقدم لنفسه الطعام. وكان معظم الطعام قد وصل مطبوخا مسبقا، فقام أحد الحراس بتسخينه. اليوم كان الطعام عبارة عن حساء، فأخذ أليكس غداءه

وجلس بجانب جايمس، إذ كان لكليهما مائدتهما الخاصة، وكانا قد أصبحا صديقين بسرعة بينما تجاهلهما الآخرون.

– " هل تريد الخروج بعد الغداء ؟ " سأل جايمس.

– " بالتأكيد، ولم لا ؟ " رد أليكس.

– " هناك شيء أريد أن أكلمك بشأنه " قال جايمس.

نظر أليكس وراء جايمس إلى الفتية الآخرين، فكان توم على رأس المائدة يمد يده إلى إبريق ماء، وكان يرتدي كنزة بولو وبنطال جينز، وإلى جانبه كان جوي كانتربيري، الفتى الأمريكي، وكان يتحدث إلى هوغو الآن ويشير بإصبعه ليؤكد على نقطة ما. أين رأى أليكس تلك الحركة من قبل؟ وكان كاسيان خلفهما مباشرة بوجهه المستدير وشعره البني الفاتح والناعم يضحك على النكتة.

نها حركة مختلفة ولكنها نفسها، حاول أليكس أن يميز ما الذي كانت تعنيه تلك الحركة بينما كان يراقبهم عن كثب.

التفاصيل، كان الأمر برمته في التفاصيل، تلك الأشياء التي لن تلاحظها ما لم تراهم مجتمعين معا كما هم الآن، لقد كانت الطريقة التي كانوا يجلسون بها وظهورهم مستقيمة وأكواعهم قريبة من جوانبهم، كانت الطريقة التي امسكوا بها بسكاكينهم وشوكاتهم. ضحك هوغو فأدرك أليكس للحظة انه أصبح صورة منعكسة لكاسيان، فقد كانت الضحكة نفسها، فراقب جوي وفمه مليء بالطعام، ثم راقب نيكولاس، لقد كانا ولدين مختلفين، ولم يكن شك في ذلك، ولكنهما أكلا بالطريقة نفسها وكأنهما كانا يقلدان بعضهما البعض.

كانت هناك حركة عند الباب فظهرت السيدة ستيلينبوش فجأة وقالت: " طاب نهاركم أيها الأولاد"

– " طاب نهارك سيدة ستيلينبوش " أجاب الأولاد الخمسة، ولكن أليكس سمع صوتاً واحداً فقط بينما بقي هو وجايمس صامتين.

– " ستبدأ الدروس لهذا اليوم عند الثالثة عصراً، وسيكون الموضوع اللغتين اللاتينية والفرنسية"، أضافت السيدة ستيلينبوش.

سيتم إعطاء الدروس إما من قبل الدكتور جريف أومن قبل السيدة ستيلينبوش، إذ لا يوجد معلمون آخرون سواهما في المدرسة. ولم يكن أليكس قد تعلم أي شيء بعد، أما جايمس فقد كان يحضر ويتغيب عن الدرس، وذلك حسب مزاجه.

تابعت السيدة ستيلينبوش قائلة:– " ستكون هناك حلقة نقاشية هذا المساء في المكتبة. والموضوع حول العنف في التلفاز والأفلام. سيكون السيد ماك مورين هو الذي سيبدأ المناقشة، وبعد ذلك سيتم تقديم الشوكولاتة الساخنة ثم يلقي الدكتور جريف محاضرة عن أعمال موزارت، والجميع موضع ترحيب "

ادخل جايمس إصبعا في فمه وفتح فمه ومد لسانه وكأنه يريد أن يتقيأ فابتسم أليكس، في حين كان البقية يستمعون بهدوء.

– " سيود الدكتور جريف كذلك تهنئة كاسيان جايمس لفوزه في منافسة الشعر، فقد أدرجت قصيدته في لوحة الملاحظات في الصالة الرئيسية. وهذا كل شيء."

استدارت السيدة ستيلينبوش وغادرت الغرفة، فأدار جايمس عينيه وقال: " دعنا نخرج من هنا لتنشق بعض الهواء النقي فأنا اشعر بالغثيان."

صعدا إلى الطابق العلوي وارتديا معطفيهما، وكانت غرفة جايمس بجانب غرفة أليكس وقد بذل كل بوسعه لجعلها مريحة أكثر. وكان هناك ملصقات لأفلام الخيال العلمي القديمة على الجدران وكان يتدلى فوق السرير نظام شمسي متنقل، بينما لمع مصباحٌ يتحرك مثل حمم البركان للزينة وليس للإنارة، فيدور ضووه على الطاولة التي على جانب السرير ملقيا وهجا اخضر وكانت هناك ملابس في كل مكان، ومن الواضح أن جايمس لم يحبذ تعليق الملابس هناك، وبطريقة ما تمكن من العثور على وشاح وزوج واحد من الكفوف، فدفع بإحدى يديه في جيبه وقال:- " هيا نذهب !"

ثم عادا إلى الأسفل على طول الممر، عابرين من أمام غرفة الألعاب، وكان نيكولاس وكاسيان يلعبان تنس الطاولة، فتوقف أليكس عند الباب ليراقبهما. وكانت الكرة ترتد إلى الأمام والخلف فوجد أليكس نفسه متسمرًا. وقف هناك لمدة دقيقة كاملة وهو يراقب، بينما كانت الكرة تصدر صوت الإرتطام، في حين لم يحرز أي منهما أي نقطة. ثم كان الأمر من جديد؛ مختلف لكنه الأمر نفسه. ومن الواضح أن كان هناك صبيان اثنان، ولكن الطريقة التي لعبا بها وأسلوب لعبهما كان متطابقا، وكأنه الصبي

نفسه يضرب الكرة باتجاه مرآة ما. إرتجف أليكس بينما كان جايمس واقفا عند كتفه، ثم ابتعد كلاهما.

وكان هوغو جالساً في المكتبة، ذلك الصبي الذي تم إرساله إلى مدرسة 'بوينت بلانك' بسبب السرقة، كان يقرأ نسخة من مجلة الجغرافيا الوطنية باللغة الهولندية. وصل أليكس وجايمس إلى الصالة وكانت هناك قصيدة كاسيان معلقة على لوح الملاحظات. وكان كاسيان قد أرسل إلى هذه المدرسة بسبب تهريب المخدرات، وهو الآن يكتب عن النرجس البري.

دفع أليكس الباب الرئيسي وفتحه فأحس ببرودة الهواء تضرب وجهه، وكان سعيداً بهذا ومحتاجاً لأن يتذكر أن هناك عالم حقيقي في الخارج.

وبدأ الثلج بالتساقط في هذه اللحظة، ومشى الصبيان ببطء حول المبنى بينما كان حارسان يمشيان صوبهما ويتحدثان برفق باللغة الألمانية. وكان أليكس قد أحصى ثلاثين حارساً في 'بوينت بلانك'، كلهم من الألمان ويرتدون زياً مكون من الكنزات السميكة ذات العنق المستدير وصدرية مبطنة سوداء. ولم يتحدث الحراس إلى الطلاب أبداً، كانت وجوههم شاحبة ولا تبدوعليها الصحة ولهم شعر قصير. وكان الدكتور جريف قد قال بأنهم كانوا هناك لحمايته، ولكن أليكس ما زال يتساءل؛ هل كانوا هناك لإبقاء المتطفلين في الخارج أم لإبقاء الطلاب في الداخل؟

-" من هذه الطريق " قال جايمس.

مشى جايمس في المقدمة وكانت قدماه تغرقان في الثلج فتبعه أليكس وهو ينظر إلى الخلف، إلى النوافذ في الطابقين الثاني والثالث، وكان ذلك مزعجاً للغاية، فنصف القصر وربما أكثر، كان مغلقا في وجهه، وكان لا يزال غير قادر على التفكير في طريقة للصعود إلى هناك. لم يستطع التسلق، إذ كان المبنى المشيد من الطابوق أملساً جداً، ولم يكن هناك نبات اللبلاب بالقرب من المكان ليزوده بمكان يمسك فيه، وبدت أنابيب التصريف هشة للغاية بحيث أنها لا تستطيع حمله.

تحرك شيء ما فتوقف أليكس في طريقه، فسأله جايمس:- " ما الأمر؟"

- "هناك!" أشار أليكس بيده إلى الطابق الثالث، لقد إعتقد بأنه رأى شخصا ما يراقبهما من نافذة تقع فوق غرفته بطابقين، كان الشخص موجوداً هناك للحظة فقط، وقد بدا وجهه مغطى بقناع أبيض مع شقوق ضيقة للعينين، ولكن عندما أشار أليكس بيده، تراجع ذلك الشخص إلى الخلف بعيداً عن الأنظار.

- " لا أرى شيئا " قال جايمس.

- " لقد اختفى " رد أليكس.

ثم تابعا طريقهما متوجهين إلى مكان منعزل كان يستعمل للتزلج. وبحسب جايمس، فقد شيد هذا المكان قبل أن يشتري جريف هذه

الأكاديمية مباشرة. وكانت هناك خطط لتحويل المبنى إلى مركز للتدريب على الرياضة الشتوية، ولكن حاجز القفز هذا لم يستعمل أبداً. وصلا إلى حدود الغابة التي امتدت حتى المدخل ثم توقفا.

– " دعني أسألك شيئا " قال جايمس، في حين كانت أنفاسه تتحول إلى بخار في الهواء البارد، "ما رأيك بهذا المكان ؟"

– "لماذا علينا أن نتحدث هنا ؟" سأله أليكس في حين يرتجف برداً على الرغم ارتداءه لمعطفه.

– " لأنني عندما أكون داخل المبنى فإنني أشعر بأن شخصاً ما يستمع إلى كل كلمة أقولها"

أومأ أليكس برأسه وقال:– " أنا أعرف ما الذي تعنيه " وقد فكر في السؤال الذي طرحه عليه جايمس، ثم تابع قائلا:– " أعتقد بأنك كنت محقاً منذ اليوم الأول الذي تقابلنا فيه، فهذا المكان مخيف"

– "إذا ما رأيك بالخروج من هنا ؟" قال جايمس.

– "هل تعرف كيف تطير بالمروحية ؟ " سأله أليكس.

– " لا. ولكنني سأفعل"، قال جايمس ثم صمت ونظر حوله، فكان الحارسان قد دخلا إلى المدرسة. ولم يكن أحد آخر هناك فقال جايمس:– " أنا أثق بك أليكس، لأنك وصلت إلى هنا للتو، ولم يصل إليك لغاية الآن". وكان يقصد بذلك الدكتور جريف، ولم يكن جايمس بحاجة لذكر الاسم. ثم تابع قائلاً:–" ولكن صدقني، لن يطول الأمر. إن بقيت هنا فسينتهي بك الأمر مثل الآخرين. "نموذج لطالب"، هذا هو المصطلح الذي يستعملونه بالضبط، وكأنهم صُنعوا جميعاً من

البلاستيك! حسنا، لقد نلت كفايتي. لن اسمح لهم بأن يفعلوا الأمر نفسه لي!"

– "هل تنوي الهرب؟" سأله أليكس.

– "من الذي يحتاج إلى الهرب ؟ " ونظر جايمس إلى الأسفل نحو المنحدر وقال:– "سأتزلج"

نظر أليكس نحو المنحدر، لقد كان المنحدر يمتد إلى الأسفل بانحدار شديد. ثم قال: " هل هذا ممكن ؟ أعتقد ـــ "

– "أعرف أن جريف قال بأن الأمر خطير جدا. ولكنه كان سيقول ذلك، أليس كذلك؟. صحيح أن الظلام يسود الطريق كله نحو الأسفل وسيكون هناك عدد كبير من التلال ـــ". قال جايمس.

– " ألن يكون الثلج قد ذاب؟" سأل أليكس.

– " فقط في الأسفل. لقد كنت هناك في القاع، وقد فعلتها في الأسبوع الأول لي هنا، وكل المنحدرات تؤدي إلى قرية واحدة تدعى لافاليه دوفي. وفي الحقيقة، أنت لا تستطيع الوصول لغاية البلدة ،لأنه يوجد خط سكة حديد يقطع الطريق. ولكن لو تمكنت من الوصول إلى الطريق فإنني سأتمكن من المشي لبقية الطريق "، قال جايمس.

– " وبعد ذلك ؟" سأل أليكس.

– "هناك قطار يعود إلى دسلدورف. وإن كان والدي يحاول إرسالي إلى هنا، فإنني سأذهب إلى أمي في انجلترا. وإن لم تكن تريدني، فسأختفي. لدي أصدقاء في باريس وبرلين. لا أكترث.

كل ما اعرفه هو أنه علي أن أغادر بسرعة. وإن كنت تعرف ما هو جيد بالنسبة لك فإنك ستأتي أيضا "، رد عليه جايمس.

فكر أليكس، فقد أغراه الإنضمام إلى الصبي الآخر، حتى لو من أجل مساعدته في طريقه. ولكن لديه عمل هنا، ثم قال:- " ليس لدي مزلاج "

- "ولا أنا " قال جايمس بينما بصق على الثلج، ثم تابع قائلا:

- "لقد أخذها جريف كلها عندما انتهى الفصل. إنها لديه هناك في مكان ما "

- " في الطابق الثالث ؟ " سأله أليكس.

- " ربما. لكنني سأجدها. ثم سأخرج من هنا " ومد يده نحو أليكس وقال:

-" رافقني."

هز أليكس رأسه وقال: " أنا آسف جايمس. اذهب أنت، وأتمنى لك حظا طيبا. ولكنني سأبقى هنا فترة أطول. لا أريد أن تُكسر عنقي."

- " حسنا. هذا مستقبلك أنت. سأرسل إليك بطاقة بريدية "، قال جايمس.

رجعا إلى المدرسة، فأشار أليكس إلى النافذة حيث رأى الوجه المقنع وقال:

- " هل تساءلت يوما ما الذي يحدث في الاعلى هناك؟"

هزّ جايمس كتفيه قائلا:- " لا. افترض بأن الحراس يعيشون هناك."

– " في كلا الطابقين؟" سأل أليكس.

– " يوجد قبو كذلك، وغرفة الدكتور جريف. هل تعتقد بأنه ينام مع السيدة 'ستوماك باغ'؟" قال ذلك ساخرا بحركات على وجهه، ثم قال: " تلك فكرة لطيفة، الاثنان معا. 'دارث فادر و'كنج كونج.' حسنا، سأعثر على مزلاجي وأغادر هذا المكان يا أليكس. وإن كان لديك أي عقل، فإنك ستأتي أيضاً "

كان أليكس وجايمس يتزلجان معا أسفل المنحدر. وكانت شفرات المزلاجين تسيران فوق سطح الثلج بسلاسة. لقد كانت ليلة مثالية. وكان كل شيء متجمدا وساكناً. وكانا قد تركا الأكاديمية وراءهما. ولكن أليكس رأى شخصا ما أمامه. لقد كان الدكتور جريف هناك ! وكان واقفا بلا حراك مرتدياً بذلته السوداء، وكانت عيناه مخفية خلف نظارته ذات العدسات الحمراء. إحرف أليكس بعيداً عنه. لقد فقد السيطرة، وكان يتحرك أسفل المنحدر بسرعة متزايدة وقد رفضت زلاجته أن تنحرف. وكان بإمكانه رؤية حافة القفز أمامه. لقد أزال احدهم العوائق. شعر أليكس بأن مزلاجه يغادر الثلج وينطلق نحو الأمام باتجاه جليد صلب. بعد ذلك، كان هناك صوت إرتطام يخترق الجو في الليل وقد عرف أليكس أنه ما من سبيل للعودة. ضحك الدكتور جريف وفي نفس اللحظة كان هناك صوت فرقعة وقد قذف أليكس في الهواء وهو يدور بسرعة على إرتفاع ميل عن سطح الأرض ثم سقط....

إستيقظ أليكس.

لقد كان ممدا في السرير، وكان ضوء القمر ينساب على الأغطية. نظر إلى ساعته فكانت الثانية والربع، تخيل الحلم الذي رآه لتوه مرة ثانية بينما كان يحاول أن يهرب مع جايمس، والدكتور جريف بانتظارهما. لقد كان عليه أن يعترف بأن الأكاديمية كانت قد بدأت الوصول إليه. لم يكن أليكس يرى أحلامًا مزعجة في العادة، ولكن المدرسة والأشخاص الذين فيها كانوا يتسللون من تحت جلده ويتجهون نحو عقله.

فكّر أليكس في ما سمعه، ضحكة الدكتور جريف ـ وشيء آخر صوت طقطقة. كان ذلك غريباً. ما الذي أحدث هذا الصوت ؟ وهل كان فعلا جزءاً من الحلم ؟ وفجأة كان أليكس مستيقظاً تماماً. خرج أليكس من السرير وذهب نحو الباب وحرّك المقبض. لقد كان محقا، فهو لم يتخيل الصوت، فبينما كان نائما، أقفل الباب من الخارج.

ثمة شيء ما كان يحدث. وكان أليكس قد عزم على رؤية ما الذي حدث. ارتدى ملابسه بأسرع ما يمكنه ثم جثا وتحقق من القفل. لقد تمكن من تمييز مسمارين بقطر سنتمتر على الأقل، واحد في الاعلى والآخر في الأسفل. ولا بد أنه قد تم تفعيلهما أوتوماتيكياً. وكان هناك شيء واحد مؤكد، إذ لن يخرج أليكس من خلال الباب.

وهذا يترك النافذة خياراً. وكانت كل النوافذ موصدة بقضبان فولاذية تسمح لهم بفتح عشرة سنتمترات فقط. رفع أليكس

مشغّل الأقراص المدمجة المحمول، وقام بتشغيل قرص مدمج لبيتهوفن، فبدأ القرص بالدوران والتحرك بسرعة مذهلة، ثم تحرك ببطء إلى الأمام، وما زال يدور حتى برز من الصندوق. ضغط أليكس على حافة القرص باتجاه القضيب المعدني. فاستغرق الأمر عدة ثوان فقطع القرص المعدن مثل مقص يقطع الورق. سقط القضيب بعيداً وفتحت النافذة.

كان الثلج يتساقط. فأطفأ أليكس مشغل الأقراص، ورماه على سريره، ثم إرتدى معطفه وتسلق خارجاً من النافذة. وكان على ارتفاع طابق واحد. من الطبيعي أن يسبب السقوط عن هذا الإرتفاع كسرا في الكاحل أوالرجل، ولكنها كانت تثلج خلال العشر ساعات الماضية فتكون غطاء أبيض عند الجدار وتحته مباشرة. فقام أليكس بإنزال نفسه بقدر ما يستطيع، ثم قفز. شعر بالهواء وارتطم بالثلج فاختفى في الثلج حتى خصره. وكان مبتلا ويتجمد برداً قبل أن يتابع طريقه. ولكنه لم يصب بأي أذى.

خرج أليكس من الثلج وبدأ بالتحرك حول جانب المبنى متوجها نحو الأمام. وكان عليه فقط أن يتمنى أن يكون المدخل الرئيسي غير مقفل. ولكنه بشكل ما كان متأكداً أنه لن يكون كذلك. وكان باب غرفته قد أغلق بشكل آلي، ومن المفترض أنه تم تشغيل مفتاح ما فتم بذلك إغلاق جميع الأقفال. معظم الأولاد سيكونون نائمين، وحتى أولئك المستيقظون لن يخرجوا إلى أي مكان تاركين الدكتور جريف يفعل ما يريد، يذهب ويأتي كما يحلو له.

كان أليكس قد توجه لتوه نحو جانب المبنى عندما سمع صوت أقدام الحراس وهم يقتربون. ولم يكن هناك أي مكان ليختبئ فيه، فقام بدفن وجهه في الثلج وهو يلازم الظلال. كان هناك حارسين، فتمكن من سماعهما يتحدثان باللغة الألمانية ، ولكنه لم يجرؤ على النظر إلى الأعلى. وإذا قام بأي حركة، فإنهم سيرونه. وإذا اقتربا جداً، فإنهم على الأرجح سيرونه بأي حال، فحبس أنفاسه بينما كان قلبه يضرب بشدة.

مشى الحارسان حول الزاوية، وكان طريقهم يقودهم إلى أسفل غرفته. فهل سيرون النافذة المفتوحة؟ لقد ترك ألكيس الضوء مطفأ، ولحسن الحظ فليس هناك من سبب يدعوهم للنظر إلى الاعلى، ولكنه ما زال مدركا أنه قد لا يملك الكثير من الوقت. عليه أن يتحرك الآن.

رفع أليكس نفسه للأعلى وركض إلى الأمام، وكانت ملابسه مغطاة بالثلج وتتساقط منه ندف الثلج وتنجرف نحو عينيه. لقد كان أبرد جزء من الليلة، وكان أليكس يرتجف بردا حين وصل إلى الباب الرئيسي. ما الذي سيفعله إذا كان الباب مقفلا بعد كل هذا ؟ لن يكون قادرا بالتأكيد على البقاء في الخارج حتى الصباح.
لكن الباب لم يكن مقفلاً، فدفعه أليكس وفتحه فتسلل من خلال الصالة الدافئة والمظلمة في نفس الوقت. وكان الموقد أمامه، وكانت

هناك نار مشتعلة في وقت سابق من النهار، وكانت جذوع الأشجار المقطوعة والمحترقة بشكل كامل لا تزال تحترق ببطء دون لهب في أرضية الموقد. فقام أليكس برفع يده تجاه الوهج محاولا أن يحصل على القليل من الدفء، وكان كل شيء هادئاً، وقد امتدت الممرات الفارغة إلى مسافة بعيدة ومضاءة بمصابيح ذات قدرة منخفضة كانت قد تركت مشتعلة على مسافات متساوية. وأدرك أليكس الآن فقط أنه قد يكون قد إرتكب خطأً منذ البداية. ولعل الأبواب كانت تغلق كل ليلة كجزء من الإجراءات الأمنية. ولعله استنتج الأمر بشكل خاطئ، ولم يكن هناك أي شيء يحدث.

- "لا ....!"

لقد كان هذا صوت أحد الفتية. صرخة طويلة ومرتعشة تردد صداها عبر المدرسة. وبعد لحظة، سمع أليكس وقع أقدام تمشي على ممر خشبي في مكان ما في الاعلى. بحث حوله عن مكان ما ليختبئ، فوجد مكاناً في الموقد بجانب جذوع الشجر مباشرة. وكانت النار الفعلية محصورة داخل سلة معدنية، وكانت هناك مسافة واسعة في كل جانب بين السلة والجدار الذي امتد عالياً ليشكل المدخنة. انحنى أليكس نحو الأسفل وقد أحس بالحرارة بجانب وجهه ورجليه. نظر إلى الخارج من أمام التنينين منتظراً أن يرى ما سيحدث.

كان هناك ثلاثة أشخاص ينزلون السلم، وكانت السيده ستيلينبوش في مقدمتهم، وكان يتبعها حارسان يجران شيئاً بينهما

لقد كان صبياً! وكان وجهه نحو الأرض ويرتدي البيجاما فقط، وكانت قدماه الحافيتين تنزلقان على درجات السلم. فتحت السيدة ستيلينبوش باب المكتبة ودخلت، فتبعها الحارسان، ثم أغلق الباب وعاد الصمت من جديد.

لقد حدث الأمر برمته بسرعة، ولم يكن أليكس قادراً على رؤية وجه الصبي، ولكنه كان متأكداً من أنه عرف من كان. لقد عرفه من صوته فقط.

انه جايمس سبرتنز.

أخرج أليكس نفسه من الموقد عبر الصالة متجها نحو باب المكتبة. ولم يكن هناك أي صوت قادم من الجانب الآخر. انحنى أليكس للأسفل ونظر من خلال ثقب الباب، ولم يكن هناك أي ضوء مشتعل في الغرفة، فلم يتمكن من رؤية أي شيء. ما الذي عليه فعله ؟ إذا عاد إلى الاعلى، فقد يتمكن من العودة إلى غرفته دون أن يراه احد، وبإمكانه الانتظار حتى تفتح الأبواب ثم ينسل إلى سريره، ولن يعرف أحد أنه كان في الخارج.

لكن الشخص الوحيد في المدرسة الذي اظهر له لطفاً كان في الجانب الآخر من غرفة المكتبة، وقد تم جره إلى هنا في الأسفل. لعلهم كانوا يغسلون دماغه ويضربونه حتى. ولم يتمكن أليكس من أن يستدير ويتركه ليواجه مصيره.

لقد اتخذ أليكس قراره. فتح الباب ودخل.

لقد كانت المكتبة فارغة.

وقف أليكس عند المدخل وهو يطرف بعينيه. لقد كان للمكتبة باب واحد فقط. وكانت كل النوافذ مغلقة. ولم تكن هناك أية إشارة إلى أن أحداً ما قد كان هنا. وفي نهاية الغرفة وقفت بذلة درع تراقبه في الوقت الذي تحرك فيه نحو الأمام. هل يمكن أن يكون قد اخطأ ؟ وهل يمكن للسيدة ستيلينبوش والحراس أن يختفوا في غرفة مختلفة؟

توجه أليكس نحو تجويف الغرفة ونظر خلف الدرع متسائلاً في ما إذا كانت تخفي مخرجاً آخر. لم يكن هناك أي شيء. نقر بإصبعه على الجدار، وبشكل يثير الفضول، بدا الجدار وكأنه من المعدن، ولكن بخلاف الجدار في السلم، لم يكن هناك مقبض، ولا أي شيء يشير إلى طريق من خلاله.

ولم يكن هناك شيء آخر يمكنه رؤيته. فقرر أليكس أن يعود إلى غرفته قبل أن يتم اكتشاف أمره.

ولكنه كان قد توجه نحو الطابق الأول عندما سمع أصوات للمرة الثانية وحراس أكثر يمشون ببطء أسفل الممر. رأى أليكس باباً ينزلق للداخل، ومرة أخرى، قفز بعيد عن الأنظار، فكان في غرفة الغسيل، وكان هناك ماكنة للغسيل، وأخرى لتجفيف الملابس ولوحين للكي. على الأقل كان الجو دافئاً هنا، فأحس بنفسه محاطا برغوة الصابون.

كان الحراس قد غادروا. وكان هناك صوت طقطقة رنان بدا وكأنه يمتد على طول الممر، فأدرك أليكس أن كل الأبواب قد أقفلت في الوقت نفسه، وكان بإمكانه أن يعود إلى النوم.

زحف أليكس إلى الخارج وأسرع إلى الأمام فقادته خطواته من أمام غرفة جايمس سبرنتز بجانب غرفته هو. لاحظ أن باب غرفة جايمس كان مفتوحا، وبعد ذلك، صرخ صوت من الخارج.

– " أليكس ؟ " لقد كان جايمس.

– لا. هذا غير ممكن. ولكن كان هناك شخص ما في غرفته.

نظر أليكس في الداخل، وكانت الأضواء قد أضيئت.

لقد كان جايمس. كان يجلس في السرير وعيونه محمرة من التعب وكأنه قد استيقظ للتو. حدّق فيه أليكس، لقد كان يرتدي البيجاما نفسها كتلك التي ارتداها الصبي الذي كان يُجرّ توا إلى داخل المكتبة ولكن ذلك لا يمكن أن يكون هو. لا بد أنه كان شخصا آخر.

– " ماذا تفعل ؟ " سأل جايمس.

– " لقد اعتقدت بأنني سمعت شيئا" قال أليكس.

– " ولكنك ترتدي ملابسك. وأنت مبلل!" نظر جايمس إلى ساعته، ثم تابع قائلا: " إنها تقريبا الثالثة "

كان أليكس متفاجئا أن الكثير من الوقت قد مضى. لقد كانت الساعة الثانية والربع فقط حين استيقظ. ثم سأل جايمس قائلا:–" هل أنت بخير؟"

– " نعم".

– " أنت لم ...؟"

– " ماذا؟"

- " لا شيء. أراك فيما بعد " قال أليكس.

عاد أليكس إلى غرفته ثانية وأغلق الباب، ثم نزع ثيابه المبتلة وجفف نفسه بمنشفة وعاد إلى النوم. إذا لم يكن جايمس هو الذي كان قد رآه يجرّ إلى المكتبة، فمن يكون إذا ؟ لكنه مع ذلك كان جايمس. لقد سمع الصراخ ورأى الشكل المترهل على السلم. إذا لماذا كان جايمس ممدا الآن؟

أغلق أليكس عينيه وحاول النوم ثانية. لقد حيرته تلك التحركات التي تحدث في الليل أكثر ولم يتمكن من حلّ شيء منها. ولكنه على الأقل حصل على شيء من ذلك كله.

لقد عرف الآن كيف يصل إلى الطابق الثاني.

رؤية مزدوجة

عـنـدمـا نـزل أليـكـس، كـان جـايمس يـتـنـاول طـعـام الإفـطـار المكـوّن مـن الـبـيـض وشـرائـح لحـم الخـنـزيـر والخـبـز المحمص والشاي، وكان يتناول الإفطار نفسه كل يوم، فرفع يده ملقيا التحية على أليكس حين دخل. ولكن في اللحظة التي رآه فيها، أحس أليكس بأن شيئا ما ليس على ما يرام، فقد كان جايمس يبتسم، ولكنه بشكل ما بدا شارد الذهن وكأنه كان يفكر في أشياء أخرى.

– " حسنا ما الذي حصل الليلة الماضية ؟ " سأل جايمس.

– " لست ادري..." كان أليكس يرغب في إخبار جايمس كل شيء ــ حتى اسمه المزيف، وأنه أرسل إلى هنا كجاسوس على المدرسة، ولكنه لم يستطع فعل ذلك، ليس هنا، فالفتية الآخرون قريبون جداً من هنا، ثم تابع قائلاً: " أعتقد أنني عانيت من حلم مزعج."

– "هل سرت وأنت نائم في الثلج ؟"

– " لا. إعتقدت بأنني رأيت شيئاً. لقد عانيت فقط من ليلة غريبة " غير أليكس الموضوع وقال بصوت منخفض:– " هل فكرت بشكل أكثر في خطتك ؟"

– " أية خطة ؟ " قال جايمس.

– " التزلج " رد عليه أليكس.
– " ليس مسموحا لنا بالتزلج "
– " اعني الهرب "
ابتسم جايمس وكأنه قد تذكر لتوه ما كان أليكس يتحدث عنه، وقال:
– " أوه. لقد غيرت رأيي "
– " ماذا تعني ؟" سأله أليكس.
– " إذا هربت فإن والدي سيرسلني إلى هنا من جديد. لا فائدة. قد أبتسم وأتحمّل الأمر كذلك. على أية حال، لن أصل أبداً إلى أسفل الجبل، فالثلج رقيق جدا"، قال جايمس.

حدّق أليكس في جايمس. لقد كان كل شيء قاله جايمس على العكس تماما مما قاله في اليوم السابق. وتساءل أليكس تقريبا فيما إذا كان هو الصبي نفسه، ولكنه بالطبع هو نفسه، فقد كان مهملاً كما كان دوماً. كانت الكدمات، والتي بدأت تختفي الآن، ما تزال ظاهرة على وجهه. الشعر الداكن والعيون البنية الداكنة والبشرة الشاحبة، لقد كان جايمس نفسه. ومع ذلك وفي نفس الوقت، ثمة شيء ما قد حدث، لقد كان أليكس متأكدًا من ذلك.

بعد ذلك إستدار جايمس ورأى أليكس أن السيدة ستيلينبوش قد دخلت إلى الغرفة مرتدية فستانا أخضر مائل للصفرة وقبيحا بصورة خاصة ويصل حتى ركبتيها، وقالت: " صباح الخير أيها

الأولاد. سنبدأ دروس اليوم خلال عشر دقائق. الدرس الأول في التاريخ في غرفة البرج" ثم مشت باتجاه طاولة أليكس وقالت:- " جايمس، أتمنى انك ستنضم إلينا اليوم."

هزّ جايمس كتفيه وقال:- " حسنا سيدة ستيلينبوش."

- " ممتاز. سنلقي نظرة على حياة أدولف هتلر. إنه رجل مثير للاهتمام. أنا متأكدة انك ستجد الموضوع قيم للغاية "، قالت السيدة ستيلينبوش بينما مشت مبتعدة.

التفت أليكس نحو جايمس وقال:-" هل ستذهب للدروس؟"

- " ولم لا ؟ " رد جايمس وهو ينهي طعامه، ثم تابع قوله:- " أنا عالق هنا وليس هناك الكثير لعمله. ولعله كان ينبغي علي أن اذهب للدروس قبل الآن. ليس عليك أن تكون سلبيا جدا يا أليكس"، ثم أشار بإصبعه ليؤكد على ما كان يقول ثم أضاف قائلا:- " انك تضيع وقتك."

تجمّد أليكس في مكانه، فقد رأى هذه الحركة من قبل ـ الطريقة التي أشار بها بإصبعه، جوي كانتربيري، الفتى الأمريكي كان قد فعل الشيء نفسه البارحة.

دمى ترقص على نفس السلك.

ما الذي حصل في الليلة الماضية ؟.

لقد راقب أليكس جايمس وهو يغادر مع الآخرين. شعر أليكس بأنه خسر الصديق الوحيد في 'بوينت بلانك'، فأراد فجأة أن يبتعد

عن هذا المكان، بعيداً في الجبل، ويعود إلى العالم الآمن في مدرسة بروكلاند. لعله كان هناك وقت أراد فيه مثل هذه المغامرة، ولكنه الآن يريد الخروج منها. وبالضغط بسرعة ثلاث مرات إلى الأمام على مشغل الأقراص، وستكون المخابرات البريطانية **MI6** هنا من أجله، ولكنه لم يستطع فعل ذلك حتى يكون لديه شيء يرسله إليهم في تقرير.

عرف أليكس ما الذي يجب عليه فعله، فنهض وغادر الغرفة.

لقد رأى أليكس الطريق في الليلة السابقة عندما كان يختبئ في الموقد. وكانت المدخنة تميل وتؤدي إلى الهواء الطلق، وكان قادراً على رؤية ضوء في القاع من صدع ما، إنه ضوء القمر. ولعل الطابوق الذي في خارج الأكاديمية أملس جداً بحيث لا يمكن تسلقه، ولكن في داخل المدخنة كانت هناك حواف غير منتظمة ومكسرة مع وجود الكثير من الأماكن لوضع الأقدام عليها. وربما كان هناك موقد في الطابق الثاني أوالثالث. ولكن حتى لو لم يكن ، فإن المدخنة ستقوده إلى السطح، وعلى إفتراض أنه لا يوجد أي حارس بانتظاره هناك، لعله سيكون قادراً على العثور على طريق للنزول.

وصل أليكس إلى الموقد ذي التنينين الحجريين، فنظر إلى ساعته وكانت التاسعة، وستستمر الدروس حتى موعد الغداء ولن يتساءل أحد عن مكانه. وكانت النار قد خمدت أخيراً، على الرغم أن

الرماد ما زال دافئاً. هل سيأتي أحد الحراس لتنظيفه ؟ ما كان عليه إلا أن يتمنى أن يتركوه حتى فترة ما بعد الظهر. نظر أليكس في المدخنة وكان بإمكانه أن يرى شقا ضيقا من السماء الزرقاء اللامعة. وبدت السماء بعيدة جداً، وكانت المدخنة أضيق مما اعتقد. وماذا لو علق؟ تخلّص من هذه الفكرة في رأسه، ووصل إلى صدع في الجدار ورفع نفسه.

فاحت من داخل المدخنة رائحة ألف حريق، كما أن السخام علق في الهواء فلم يتمكن أليكس من التنفس دون أن يستنشقه. وتمكن من العثور على بعض المناطق ليضع فيها قدميه ويتسلق ساحبا نفسه مترا للأعلى. الآن هو ثابت في الداخل، مجبر على الجلوس في وضعية تكون فيها ساقاه باتجاه الحائط وظهره على الجانب الآخر بينما رجلاه وأسفل جسمه يتدليان في الهواء. ولم يكن بحاجة لاستعمال يديه مطلقاً، إذ كان عليه فقط أن يمد رجليه ليدفع نفسه للأعلى مستخدما ضغط قدميه ضد الحائط ليحافظ على نفسه في مكانه. كان يدفع وينزلق، وكان عليه أن يكون حذرا، ففي كل حركة كان الرماد يتساقط وكان يشعر به في شعره، فلم يجرؤ على النظر إلى الأعلى. وإذا دخل الرماد في عينيه، فانه لن يستطيع الرؤية أبداً. كان يدفع وينزلق مرّة ثم أخرى ثم أخرى. ليس سريعا جداً، فلو انزلقت قدماه فإنه سيسقط كل المسافة في الأسفل. وكان على ارتفاع عال فوق الموقد. وكم كان الإرتفاع

الذي وصل إليه ؟ طابق واحد على الأقل وهذا يعني أنه كان عليه أن يكون في طريقه للطابق الثاني. وإذا سقط عن هذا الإرتفاع فإن كلا رجليه ستنكسران.

كانت المدخنة تزداد ظلمةً وضيقاً، ولم يبد أن الضوء الذي في قمة المدخنة يزداد قرباً، فوجد أليكس صعوبة في المناورة مع نفسه. وكان بالكاد يستطيع التنفس، إذ بدت حنجرته كلها مغطاة بالسخام. قام بالدفع من جديد، وفي هذه المرة وجد أن ركبتيه إصطدمت بقوة بالجدار مما أدى إلى تشنج في قدميه. وبتثبيت نفسه في مكان ما، وصل أليكس إلى الأعلى وحاول تحسس المكان الذي هو فيه. وكان يوجد جدار على شكل حرف (L) يبرز فوق رأسه، وكانت ركبتاه قد ضربتا الجزء السفلي منه، ولكن رأسه كان خلف الجزء العمودي. وبغض النظر عن العقبة التي كانت، فقد أغلقت الطريق من المنتصف تماماً تاركة أضيق فتحة فقط لكتفي أليكس وجسده ليمر من خلالها.

ومن جديد، فقد عادت فكرة الكابوس إلى ذهنه بأنه عالقّ، وأن أحداً لن يجده أبداً، وأنه سيختنق في الظلمة.

شهق أليكس ليتنفس فابتلع السخام. محاولة أخيرة ! قام أليكس بالدفع، ومد يديه فوق رأسه فأحس بظهره ينزلق على الحائط، فمزق الطابوق الخشن قميصه. ثم علق يداه بعد ذلك فوق شيء، أدرك أنه لا بد وأن يكون قمة الشكل L. رفع نفسه للأعلى فوجد

نفسه ينظر إلى موقد ثان يشارك الموقد الأول في المدخنة. لقد كان ذلك هو العائق الذي تسلق حوله للتو. رفع أليكس نفسه فوق القمة ودفع نفسه إلى الأمام. ومنعته المزيد من جذوع الشجر والرماد من السقوط. لقد نجح في الوصول إلى الطابق الثاني!

زحف أليكس خارج الموقد. قبل عدة أسابيع فقط، وفي مدرسة بروكلاند، كان يقرأ عن تنظيف المداخن في العصر الفيكتوري، وكيف أن أولاداً بعمر ست سنوات كانوا يجبرون على العمل كأشباه العبيد. ولم يعتقد أبداً أنه سيعرف كيف شعروا. سعل أليكس وبصق في يده فكان لعابه أسوداً، وتساءل كيف يبدو شكله، إذ سيحتاج إلى حمام قبل أن يراه أحدهم.

وقف أليكس، فكان الطابق الثاني هادئاً مثل الطابقين الأرضي والأول. تساقط الرماد من شعره، وللحظة كان أليكس لا يستطيع أن يرى أي شيء. أسند نفسه إلى أحد التماثيل بينما مسح عينيه، ثم نظر بعد ذلك، فكان منحنياً على تنين حجري مماثل لذلك الذي في الطابق الأرضي. ونظر إلى الموقد فكان مطابقاً تماماً لسابقه. وفي الحقيقة ـــ ....

وتساءل أليكس أن كان قد ارتكب خطأً فادحاً، فقد كان يقف في قاعة كانت مشابهة بكل تفاصيلها لتلك التي في الطابق الأرضي. وكانت هناك الممرات نفسها، والسلم نفسه، والموقد نفسه ـــ وحتى رؤوس الحيوانات نفسها وهي تحدق ببؤس من

الجدران. وبدا الأمر وكأنه كان يتسلق في دوائر ليعود إلى حيث بدأ. استدار حوله، لا، هناك إختلاف واحد، إذ لم يكن هنا باب رئيسي. وكان بإمكانه النظر إلى الأسفل على الحديقة الأمامية من النافذة، وكان هناك حارس ينحني باتجاه الحائط ويدخن سيجارة. كان هذا الطابق الثاني، ولكنه كان مشيداً كنسخة طبق الأصل عن الطابق الأرضي.

مشى أليكس على رؤوس أصابعه للأمام، وشعر بالقلق أن شخصاً ما قد يسمعه وهو خارج من الموقد. لكن لم يكن هناك أحد في الجوار، فتبع الممر حتى الباب الأول، الذي يقع فوق المكتبة تماماً. وبهدوء، فتح أليكس الباب سنتمترا واحدا في كل مرة، وكان يقود إلى مكتبة ثانية طبق الأصل عن المكتبة الأولى. كانت فيها الطاولات نفسها والكراسي نفسها، والبذلة المدرعة ذاتها التي تحرس نفس المكان. مر بعينه على طول أحد الرفوف فكانت فيه الكتب عينها.

لكن كان هناك اختلاف واحد أخيراً، اختلاف واحد كان بإمكان أليكس رؤيته. فقد أحس وكأنه قد ضل طريقه في واحدة من الأحاجي التي تكون موجودة في المجلات أومجلات الأطفال المصورة. صورتان متطابقتان، ولكن بوجود عشرة أخطاء مقصودة. هل بإمكانك العثور عليها؟ كان الخطأ هنا هو وجود جهاز تلفاز في صندوق بني في الحائط، وقد تم تشغيل التلفاز، فوجد أليكس نفسه ينظر إلى صورة لمكتبة أخرى، فبدأ يشعر

بالدوار. ماذا كانت المكتبة التي على شاشة التلفاز؟ لا يمكن أن تكون هذه المكتبة لأن أليكس نفسه لم يكن موجوداً على الشاشة. لذلك لا بد أنها المكتبة التي في الطابق الأرضي.

مكتبتان متطابقتان. بإمكانك الجلوس في إحداها ومراقبة الأخرى. ولكن لماذا؟ ما المقصود من ذلك ؟

لقد إستغرق الأمر عشر دقائق ليدرك أليكس أن الطابق الثاني كان نسخة مطابقة للطابق الأرضي، وبنفس غرفة الطعام وغرفة المعيشة. أتجه أليكس نحو طاولة السنوكر ووضع كرة في وسطها فتدحرجت إلى جيب الطاولة في الزاوية، وكانت الغرفة بنفس الميلان. وقد أظهرت شاشة التلفاز غرف اللعب في الطابق السفلي، كانت مشابهة للمكتبة؛ غرفة واحدة تطل على الأخرى.

تابع أليكس خطواته عائداً وصعد السلم للطابق الثالث، فأراد أن يعثر على غرفته الخاصة، إلا أنه ذهب إلى غرفة جايمس أولاً، فكانت نسخة أخرى مطابقة؛ ملصق فيلم الخيال العلمي نفسه ونفس المجموعة الشمسية معلقة فوق السرير، ونفس الضوء الذي على الطاولة. وحتى الملابس نفسها المبعثرة فوق الأرضية. لذلك لم تكن هذه الغرف مبنية لتكون هي نفسها فقط، إنما تم الاعتناء بها بحذر. ومهما حدث في الطابق السفلي، كان يحدث في الطابق العلوي. ولكن هل كان ذلك يعني أن هناك من كان يعيش هنا ويراقب كل حركة كان جايمس سبرنتز يقوم بها ويقلّد كل شيء قام بفعله؟ وإن كان الأمر كذلك، فهل كان شخص آخر يفعل له الشيء نفسه؟

ذهب أليكس إلى الباب التالي، وبدا الأمر وكأنه كان يمشي داخل غرفته الخاصة. مرة أخرى كان السرير نفسه، والأثاث نفسه والتلفاز نفسه. فقام أليكس بتشغيل التلفاز فأظهرت الصورة غرفته في الطابق الأول، وكان مشغل الأقراص ملقى على السرير، وكانت ملابسه المبتلة من الليلة الماضية. هل كان أحدهم يراقبه عندما قص النافذة وخرج في الليل؟ أحس أليكس بصدمة خوف، ثم أجبر نفسه على الاسترخاء، إذ كانت هذه الغرفة ـ المماثلة لغرفته ـ مختلفة، ولم يكن أحد قد تحرك فيها لغاية الآن. وكان بإمكانه معرفة ذلك من خلال النظر حوله فقط، إذ لم يكن أحد قد نام في السرير، والتفاصيل الأصغر لم تكن قد نسخت، إذ لم يكن هناك مشغل للأقراص في الغرفة الثانية، ولم تكن هناك كذلك ملابس مبتلة. وكان أليكس قد ترك باب الخزانة مفتوحاً في الطابق السفلي، أما هنا فقد كان الباب مغلقاً.

بدا كل شيء وكأنه نوع من الأحاجي، فكان على أليكس أن يفكر في الأمر من أوله لآخره. كل فتى وصل إلى الأكاديمية كان مراقباً. وإذا علق ملصقاً على الحائط في غرفته، فإن ملصقاً مماثلاً له سيعلّق في الغرفة المماثلة. وسيكون هناك من يعيش في تلك الغرفة يفعل كل شيء قام أليكس بفعله. تذكر أليكس الشخص الذي لمحه في اليوم السابق .... كان شخصا يرتدي ما بدا وكأنه قناع أبيض. لعل ذلك الشخص كان على وشك الدخول، ولكن كل الأدلة تشير إلى أنه لم موجوداً هنا لحد اللحظة لسبب ما.

لكن ذلك لا زال يترك السؤال الأهم، ماذا كان المقصود من ذلك؟ فقد كان التجسس على الأولاد أمراً، ولكن نسخ كل شيء فعلوه هو الأمر الغريب؟

سمع أليكس أحد الأبواب يغلق وصوت رجلين كانا يمشيان خارج الممر، فزحف أليكس باتجاه الباب ونظر إلى الخارج، وكان لديه الوقت فقط ليرى الدكتور جريف يسير خلال إحدى الأبواب برفقة رجل آخر قصير وممتلئ الجسم ويرتدي معطفاً أبيض، ودخلا غرفة الغسيل، فتسلل أليكس خارج غرفة النوم وتبعهما.

- " لقد أتممت العمل. أنا ممتن لك سيد باكستر "

- " شكراً لك دكتور جريف "

كانا قد تركا الباب مفتوحاً، فانحنى أليكس نحو الأسفل ونظر من خلاله. وأخيراً كان هنا قسم من الطابق الثالث لم يكن يماثل الطابق الأول، إذ لم تكن هناك آلة للغسيل أوألواح لكيّ الملابس، ولكن أليكس وجد نفسه بدلاً من ذلك ينظر داخل غرفة فيها صف من المغاسل، ومن خلال مجموعة ثانية من الأبواب تؤدي إلى مسرح عمليات مجهّز تماماً يبلغ حجمه على الأقل ضعفي حجم غرفة الغسيل في الطابق الأول. وفي منتصف الغرفة كانت هناك طاولة عمليات، وكانت الجدران مليئة بالرفوف التي تحتوي على معدات جراحية وكيميائية، وأشياء بدت مثل صور فوتوغرافية بالأبيض والأسود مبعثرة على سطح الطاولة.

مسرح للعمليات ! وماذا كان دوره في هذا الأحجية الغريبة والشيطانية؟ كان الرجلان قد مرا من خلال المسرح يتكلمان معاً، بينما كان جريف واقفاً ويده في جيبه، فاختار أليكس لحظته ثم تسلل إلى الغرفة الخارجية بينما كان منحنياً بجانب أحد المغاسل. ومن هنا تمكن من مشاهدة وسماع الاثنين يتحدثان.

" إذن، أتمنى أن تكون سعيداً بالعملية الأخيرة "، لقد كان السيد باكستر هو من كان يتكلم، وكان قد استدار باتجاه الأبواب، وتمكن أليكس من رؤية وجه مستدير ومترهل بشعر أصفر وشارب رفيع. لقد كان باكستر يرتدي ربطة عنق على شكل فراشة وبذلة ذات مربعات تحت معطفه الأبيض. لم يكن أليكس قد رأى الرجل من قبل، ولكن في نفس الوقت اعتقد بأنه كان يعرفه. إنها أحجية أخرى!

– " تماما " رد الدكتور جريف وأضاف قائلاً:–" لقد رأيته حالما نزعت الضمادات. لقد قمت بعمل غاية في الروعة"

– "لقد كنت دائماً الأفضل. ولكن هذا ما دفعت لأجله " قال باكستر متملقاً وقد ضحك بصوت منخفض، ثم أضاف:– وبينما نحن نتحدث عن الموضوع، ربما علينا أن نتكلم عن دفعتي النهائية."

– " لقد قبضت للتو ما مجموعه مليون دولار أمريكي."

– " نعم دكتور جريف. ولكنني كنت أتساءل إن كنت ستفكر في مكافأة بسيطة "، قال باكستر وهو يبتسم.

– "اعتقدت بأنه كان بيننا إتفاق" قال الدكتور جريف في حين

أدار رأسه ببطء وقد تحركت النظارات الحمراء باتجاه الرجل الآخر وكأنها أضواء كاشفة.

-" كان لدينا اتفاق بشأن عملي، نعم. ولكن سكوتي قضية أخرى. لقد كنت أفكر في ربع مليون دولار أخرى. ومقارنة مع حجم وفرصة مشروع برج الجوزاء خاصتك، فإنه ليس مبلغاً كبيراً جداً أطلبه. ثم إنني سأتقاعد في بيتي الصغير في اسبانيا ولن تسمع عني شيئا أبدا."

- " لن اسمع عنك أبدا؟"

- " أعدك "

أومأ الدكتور جريف برأسه وقال:- " نعم. اعتقد أن هذه فكرة جيدة."

اخرج الدكتور جريف يده من جيبه فرأى أليكس أنه كان يحمل مسدساً أوتوماتيكياً كاتم الصوت. وكان باكستر لا يزال مبتسماً حين أطلق عليه جريف النار فجأة فأصابه في منتصف جبهته، فقُذف باتجاه طاولة العمليات وبقي ممدا هناك.

انزل الدكتور جريف المسدس وتوجه نحو الهاتف ورفع السماعة واتصل برقم ما، وساد صمت حتى تمت الإجابة على مكالمته.

- "أنا جريف. لدي بعض القمامة في مسرح العمليات بحاجة للازالة. هلا سمحتم بإبلاغ فريق التنظيف ؟"

وضع السماعة ومشى إلى الجانب الآخر للغرفة ، وكان ينظر للمرة الأخيرة إلى الجسد على طاولة العمليات. رآه أليكس يضغط

على إحدى الأزرار فانزلق قسم من الجدار وفتح ليظهر مصعداً على الجانب الآخر، فدخل الدكتور جريف وأغلقت أبواب المصعد.

استند أليكس واقفاً وهو مصدوم للغاية بحيث أنه لا يستطيع التفكير بشكل صحيح. تعثّر أليكس ومشى للأمام ودخل إلى مسرح العمليات، وكان يعرف بأن عليه أن يتحرك بسرعة، إذ أن فريق التنظيف الذي إستدعاه الدكتور جريف سيكون في طريقه إلى هنا. ولكنه أراد أن يعرف ما هو نوع العمليات التي تجري في هذا المكان، وكان من المفترض أن يكون باكستر هو الجراح، ولكن لأي نوع من الأعمال سيدفع له مليون دولار؟

نظر أليكس حوله متجنبا النظر إلى الجثة، وكان يوجد على أحد الرفوف مجموعة من السكاكين الجراحية المرعبة جدا، إذ كانت حادة جدا لدرجة أنه استطاع الإحساس بملمسها تقريبا بمجرد النظر إليها. وكان يوجد لفائف من الشاش والسرنجات والقوارير التي تحتوي على سوائل متنوعة. ولكن أياً من ذلك لم يبين سبب توظيف باكستر، فأدرك أليكس بأن الأمر ميئوس منه، ولم يكن يعرف أي شيء عن الطب. وقد تكون هذه الغرفة قد استخدمت لأي شيء بدءا من أظافر القدمين الغارزة في اللحم وحتى جراحة القلب المتطورة.

ثم بعد ذلك رأى أليكس الصور الفوتوغرافية، فتعرف على نفسه وهو مستلق على سرير اعتقد بأنه يعرفه أيضاً. إنها باريس! الغرفة رقم ثلاثة عشر في فندق دوموند. لقد تذكر غطاء السرير الأبيض والأسود وكذلك الملابس التي كان يرتديها في تلك الليلة. لقد تمت إزالة الملابس في معظم الصور، وكل بوصة من جسده كان قد تم تصويرها، بعض المرات عن قرب وبعضها الآخر أكبر. وفي كل صورة كانت عيناه مغلقتين. فعرف أليكس وهو ينظر إلى نفسه أنه كان مخدرا فتذكر كيف إنتهى الغداء مع السيدة ستيلينبوش.

أثارت الصور إشمئزازه، فقد تم التلاعب به من قبل أشخاص اعتقدوا بأنه لا يساوي أي شيء على الإطلاق. منذ اللحظة التي قابلهم فيها، كره الدكتور جريف ومساعدته. والآن يشعر باشمئزاز حقيقي، وكان لا يزال لا يعرف ما الذي كانوا يفعلونه. ولكنهم كانوا أشراراً، ويجب إيقافهم.

عاد أليكس إلى وعيه بسبب صوت وقع أقدام قادمة على السلم. إنه فريق التنظيف! نظر حوله وبدأ باللعن. ولم يكن لديه وقت للخروج، ولم يكن هناك مكان للاختباء داخل الغرفة، فتذكّر المصعد وتوجه نحوه وضغط على الزر بسرعة، وكان وقع الأقدام يقترب أكثر فأكثر، فسمع أصواتا ثم إنزلقت الألواح وفتحت. دخل أليكس إلى صندوق فضي صغير كان فيه خمسة أزرار هي: S، R، ١,٢,٣. ضغط على الزر R وتذكر ما يكفي من اللغة

الفرنسية ليعرف أن الحرف R يعني الطابق الأرضي، وسيأخذه المصعد إلى حيث بدأ.

أقفلت الأبواب قبل ثوان من دخول الحراس إلى المسرح، فأحس أليكس بمعدته تتخبط حين تحرك به المصعد نزولاً. تباطأ المصعد فأدرك أن الأبواب قد تفتح في أي مكان، وقد يجد نفسه محاطاً بالحراس، أوبالصبية الآخرين في المدرسة. حسنا، لقد فات الأوان الآن، فقد قام بخياره. وسيكون عليه فقط أن يتماشى مع ما يجد.

ولكنه كان محظوظاً، فقد انزلقت الأبواب وإنفتحت على المكتبة. إفترض أليكس أن هذه هي المكتبة الحقيقية وليست النسخة الأخرى. كانت الغرفة فارغة فخرج من المصعد ثم إستدار حوله. وكان يواجه التجويف الذي في الغرفة. لقد كانت أبواب المصعد تشكل جدران الفجوة، وقد تم تمويهها ببراعة باستخدام بذلة الدرع التي إنقسمت الآن إلى قسمين واحد على كل جانب. وحين أقفلت الأبواب أوتوماتيكياً، عادت أجزاء الدرع معا من جديد متممة التنكر. مستخفاً بنفسه، عرف أليكس أن عليه الاعتراف ببساطة هذا التنكر. لقد كان المبنى بأكمله صندوقاً من الخدع المذهلة.

نظر أليكس إلى يديه، وكانتا لا تزالان وسختين. وكان قد نسي أنه كان مغطى بالسخام تماما. زحف خارجاً من المكتبة محاولا ألا يترك وراءه آثار أقدام سوداء على السجاد، ثم ركض مسرعاً بعد

ذلك إلى غرفته. وعندما وصل إلى هناك، كان عليه أن يذكّر نفسه أنها كانت غرفته فعلاً وليس النسخة التي في الطابق الثاني. ولكن مشغل الأقراص كان هناك ــ وكان ذلك ما احتاج إليه بشدة.

لقد عرف أليكس ما يكفي. وكان الوقت لإستدعاء سلاح الفرسان، فقام بالضغط على زر التقديم بسرعة ثلاث مرات ثم ذهب للإستحمام.

سياسة التأخير

لقد كانت تمطر في لندن مطراً لا يبدوأنه سيتوقف أبداً. وكانت حركة المرور في المساء محتشدة معا ولا تتجه إلى مكان معين. كان ألين بلنت واقفا عند النافذة ينظر خارجا نحو الشارع عندما طرق أحدهم الباب، فاستدار مبتعداً على مضض وكأن المدينة الأكثر رطوبة وكآبة قد فتنته. دخلت السيدة جونز وهي تحمل ورقة. وحين جلس بلنت خلف طاولته لاحظ الكلمات؛ طارئ جدا مطبوعة باللون الأحمر على رأس الورقة.

- " لقد سمعنا من أليكس " قالت السيدة جونز.

- " حقاً؟"

- " لقد أعطاه سميذرز جهاز إرسال يعمل على الأقمار الصناعية الأوروبية مثبت داخل مشغّل أقراص مدمجة محمول، وقد أرسل أليكس لنا إشارة هذا الصباح ... عند الساعة العاشرة والسابعة وعشرين دقيقة بتوقيته هو."

- "وماذا يعني ذلك؟" سأل بلنت.

- "أما أنه في ورطة وأما انه قد اكتشف شيئا ما يكفي لتدخلنا. وفي كلا الحالتين علينا إخراجه من هناك."

- " أتساءل " قال بلنت بينما إنحنى للخلف على كرسيه وهو يفكر بعمق. كان بلنت يافعاً، حصل على المرتبة الشرف الأولى في

الرياضيات في جامعة كامبردج. وبعد ثلاثين سنة، كان لا يزال يرى الحياة وكأنها سلسلة من الحسابات المعقدة، ثم أضاف قائلا: " كم مضى على وجود أليكس في بوينت بلانك؟"

- "أسبوع واحد " ردت السيدة جونز.

- " كما اذكر، لم يكن يريد الذهاب إلى هناك. وبحسب السير ديفيد فريند، فقد كان سلوكه في هافرستوك هول، لنقل على الأقل، مخالفاً اجتماعياً. هل تعرفين بأنه قد ضرب أحد أصدقاء ابنته بضربة قوية فصرعه؟ ومن الواضح أنه كاد يقتلها تقريباً في حادث في إحدى أنفاق سكة الحديد"

- " لقد كان يؤدي دورا. بالضبط كما أخبرته أن يفعل"، قالت السيدة جونز.

- "ربما كان يؤدي دوره بأفضل مما يجب" قال بلنت متمتما ثم أضاف: " ربما لم يعد بالإمكان الإعتماد على أليكس مائة بالمائة."

- " لقد أرسل الرسالة" لم تستطع السيدة جونز أن تكتم إنزعاجها الشديد وتابعت قائلة: " كما نعرف، فإنه قد يكون في مشكلة خطيرة. لقد أعطيناه الأداة باعتبارها إشارة إنذار ليخبرنا إذا إحتاج للمساعدة، وقد استعملها. لا يمكننا الاكتفاء بالجلوس وعدم فعل شيء."

- " لم أكن اقترح ذلك"، قال بلنت في حين نظر إليها بفضول، ثم قال:- " أنت لا يربطك بأليكس رايدر أي نوع من الروابط، أليس كذلك؟"

نظرت السيدة جونز بعيداً وقالت: " لا تكن سخيفاً "

– " أنت تبدين قلقة عليه" رد بلنت.

– " إنه فتى في الرابعة عشر ألين! إنه طفل، بالله عليك!" قالت السيدة جونز.

– " لقد كان لديك أطفال في ما مضى" قال بلنت.

– " نعم" ثم إستدارت السيدة جونز لتواجهه من جديد وتابعت قولها: " ربما يشكل ذلك فرقاً. ولكن مع ذلك عليك أن تعترف بأنه مميز. وليس لدينا عميل آخر مثله، فتى في الرابعة عشر من العمر ! السلاح السري المثالي. وليس هناك علاقة للأمر بشعوري نحوه. ولا يمكننا أن نخسره"

– " أنا فقط لا أريد أن ارتكب خطأً فادحاً في 'بوينت بلانك' بدون أية معلومات أكيدة. أولاً، هذه فرنسا التي نتحدث عنها، وأنت تعرفين كيف هي فرنسا. فإن رأونا نجتاح منطقتهم سيبدؤون بالشكوى. ثانياً، لدى جريف صبية من بعض أغنى العائلات في العالم، وإذا دخلنا إلى هناك بسلاح القوة الجوية الخاصة أومهما يكن، فستحوّل كل شيء إلى حادثة عالمية كبرى"

– "لقد أردت دليلاً على أن المدرسة كان لها علاقة بحادثي موت كل من روزكو وإيفانوف. ولعل أليكس يملك الدليل" قالت السيدة جونز

– " ربما يكون لديه الدليل وربما لا أرى أن تأخير أربعة وعشرين ساعة لن يشكل فرقاً كبيرا"

– " أربعة وعشرون ساعة؟" قالت السيدة جونز.

– "سنضع فرقة على أهبة الإستعداد. بإمكانهم أن يراقبوا الأمور، فإذا كان أليكس في مشكلة فسنكتشف ذلك قريباً. وقد يكون من مصلحتنا إن تمكن من إثارة الأمر، وهذا بالضبط ما نريد. إجبار جريف على كشف نواياه لنا" رد بلنت.

– " وإذا اتصل بنا أليكس من جديد؟" سألته السيدة جونز.

– "عندها سنذهب"، رد بلنت.

– " ربما يكون الأوان قد فات"

– " بالنسبة لأليكس؟" سأل بلنت دون أن تظهر عليه أية مشاعر، ثم أضاف " أنا متأكد أنك لست بحاجة للقلق عليه سيدة جونز. بإمكانه الإعتناء بنفسه."

رنّ جرس الهاتف فأجاب عليه بلنت. لقد انتهت المقابلة، خرجت السيدة جونز وتركت الترتيبات لوحدة المهمات الخاصة لتغادر إلى جنيف. لقد كان بلنت محقا بالطبع، فتكتيكات التأخير تعمل في مصلحتهم. اترك الأمور حسنة مع الفرنسيين، واكتشف ما الذي يجري. لقد كانت أربعة وعشرون ساعة فقط.

لم يكن عليها سوى عليها أن تتمنى أن يتمكن أليكس من النجاة لتلك الفترة.

* * *

وجد أليكس نفسه يتناول إفطاره بمفرده. وللمرة الأولى قرر جايمس سبرنتز أن ينضم إلى الأولاد الآخرين، وصار الأولاد الستة

فجأة أصدقاء. نظر أليكس بحذر إلى الصبي الذي كان مرة صديقه محاولا أن يرى ما الذي تغير فيه، فعرف الإجابة، لقد كان كل شيء ولا شيء. لقد كان جايمس هو نفسه، وهو مختلف تماما في نفس الوقت.

أنهى أليكس طعامه ونهض، صاح عليه جايمس قائلا:- " لم لا تأتي إلى الدرس هذا المساء يا أليكس ؟ إنها اللغة اللاتينية"

هز أليكس رأسه وقال:- " اللاتينية مضيعة للوقت."

- " هل هذا ما تعتقد؟" لم يتمكن جايمس من إخفاء السخرية في صوته، وللحظة كان أليكس فزعا. ولثانية واحدة فقط، لم يكن جايمس من يتكلم على الإطلاق، لقد كان جايمس من حرك فمه ولكن الدكتور جريف هو من قال تلك الكلمات.

- "استمتع أنت بذلك"، قال أليكس ذلك وهو يخرج مسرعا من الغرفة.

لقد مرت أربعة وعشرون ساعة منذ أن ضغط أليكس على مشغل الأقراص المدمجة. لم يكن أليكس متأكدا مما كان يتوقعه، سربٌ من المروحيات ترفرف بالعلم البريطاني قد يبعث على الأطمئنان. ولكن لغاية الآن لم يحدث أي شيء، وتساءل إن كانت إشارة التحذير قد اشتغلت. وفي نفس الوقت، كان منزعجاً من نفسه، فقد رأى جريف يطلق النار على المدعو باكستر في مسرح العمليات وكان مذعورا. لقد عرف أليكس أن جريف كان قاتلاً، وعرف أن الأكاديمية

كانت أكثر من كونها كما تدعي. ولكنه لا زال لا يملك كل الأجوبة. ما الذي كان يفعله الدكتور جريف بالضبط؟ وهل كان مسؤولاً عن موت مايكل روزكو وفيكتور إيفانوف؟ إن كان كذلك، فلماذا؟

وكانت الحقيقة أنه لم يعرف ما يكفي، ومع مرور الوقت ستصل المخابرات البريطانية MI6، وستكون جثة باكستر قد دفنت في مكان ما في الجبال، ولن يكون بالإمكان إثبات أن شيئاً ما قد حدث، وسيبدو أليكس أحمقاً. وكان بإمكانه أن يتخيل القصة من وجهة نظر الدكتور جريف

" نعم. توجد غرفة عمليات هنا. لقد بنيت قبل سنوات. ولم نستعمل أبداً الطابق الثاني والثالث. ويوجد هناك مصعد، نعم. لقد بني قبل مجيئنا، وقد شرحنا الأمر لأليكس بخصوص الحراس المسلحين، فهم هنا لحمايته. ولكن كما ترون يا سادة، ليس هناك شيء سيء يحدث هنا. والأولاد الآخرون بخير. باكستر ؟ لا، لا أعرف أحدا بهذا الاسم. من الواضح أن أليكس كان يعاني من أحلام سيئة. وأنا مندهش من إرساله إلى هنا للتجسس. سأطلب منكم أن تأخذوه معكم عندما تغادرون "

كان على أليكس أن يكتشف المزيد، وهذا يعني العودة إلى الطابق الثاني. أوربما إلى الطابق السفلي. تذكر أليكس الأحرف في المصعد السري؛ R تعني الطابق الأرضي. و S تعني طابق التسوية باللغة الفرنسية.

فتوجه إلى الغرفة الصفية التي فيها درس اللغة اللاتينية ونظر فيها من خلال الباب نصف المفتوح، فكان الدكتور جريف بعيداً عن النظر ولكن أليكس تمكّن من سماع صوته.

" فيليكس كوي بوتويت ريروم كوغنوسير كوساس "

كان هناك صوت الطبشور على اللوح وكان الأولاد الستة هناك يجلسون في مقاعدهم ويستمعون باهتمام وتركيز. وكان جايمس يجلس بين هوغو وتوم ويسجل الملاحظات. نظر أليكس إلى ساعته، سيكونون هنا لساعة أخرى وسيكون هو بمفرده.

عاد أليكس إلى الممر في الأسفل وتسلل داخل المكتبة. وكان أليكس قد استيقظ ولا يزال يشمّ رائحة السخام، لم يكن ينوي العودة إلى المدخنة، وبدلا من ذلك، توجه إلى البذلة المصفحة، وقد عرف الآن أن تجويف الغرفة يخفي زوجا من أبواب مصعد ما، ومن الممكن أن يفتحا من الداخل. ومن المفترض أنه كان يوجد نوع من التحكم في الجهة الخارجية كذلك.

واستغرقه الأمر عدة دقائق فقط ليجد المصعد، إذ كانت هناك ثلاثة أزرار مثبتة صدر الدرع. حتى بالقرب من الدرع، بدت الأزرار وكأنها جزء من البذلة ـ أوشيئاً قد يكون الفارس الذي يعود للعصور الوسطى قد استخدمه لتثبيت شيئا ما فيه. ولكن عندما ضغط أليكس على الزر الأوسط، تحرك الدرع. وبعد لحظة، انقسم إلى نصفين من جديد فوجد أليكس نفسه ينظر داخل المصعد الذي كان في الانتظار.

وفي هذه المرة ضغط أليكس الزر الأخير، فبدا المصعد وكأنه يذهب لمسافة بعيدة وكأن طابق التسوية قد بني على مسافة بعيد جدا تحت سطح الأرض. وأخيراً انزلقت الأبواب وفتحت مرة أخرى. نظر أليكس داخل ممر منحن له جدران مبلطة ذكّرته قليلا بمحطة القطارات في لندن. وكان الهواء بارداً هنا في الأسفل، والممر مضاء بلمبات مكشوفة مثبتة في السقف ضمن مسافات منتظمة.

نظر أليكس إلى الخارج ثم عاد، وكان هناك حارس عند نهاية الممر يجلس على طاولة ويقرأ إحدى الصحف. هل سمع أبواب المصعد عندما فتحت؟ انحنى أليكس للأمام مرة ثانية، كان الحارس مستغرقا في الصفحات الرياضية، ولم يكن يتحرك. تسلّل أليكس خارجاً من المصعد وزحف في الممر متحركاً بعيدا عن الحارس، فوصل إلى الزاوية وانعطف إلى ممر ثان موصد بأبواب معدنية. ولم يكن هناك أحد.

أين كان أليكس؟ لا بد من وجود شيء ما هنا في الأسفل، وإلا ما كانت هناك حاجة إلى الحارس. توجه أليكس إلى أقرب الأبواب، وكان هناك ثقب للمراقبة في الجزء الأمامي فنظر من خلاله داخل قبو أبيض فارغ فيه سريران ومرحاضا ومغسلة. وكان يوجد صبيّان اثنان في القبو، واحد لم يره أليكس من قبل، ولكنه تعرف على الآخر. لقد كان الصبي ذو الشعر الأحمر والمدعو توم ماك مورين. ولكنه كان قد رأى توم في حصة اللغة اللاتينية قبل عدة دقائق! ماذا كان يفعل هنا؟

انتقل أليكس إلى القبو الآخر، وكان فيه أيضا صبيان آخران. كان أحدهما ذوشعر أشقر وحسن الهيئة وعيونه زرقاء ووجهه مليء بالنمش، ومرة أخرى، تعرف على الآخر، لقد كان جايمس سبرنتز، قام أليكس بالتحقق من الباب. كان هناك قفلين، ولكن كما إستطاع أن يرى، لم يكن هناك أي مفتاح. سحب الباب إلى الخلف وحرك مقبضه إلى الأسفل بشدة فانفتح. ودخل أليكس.

وقف جايمس مذهولا لرؤية أليكس وقال:-" أليكس ! ماذا تفعل هنا ؟"

أغلق أليكس الباب وقال: "ليس لدينا الكثير من الوقت"، وكان يتكلم همسا على الرغم من أن الفرصة ضئيلة للتنصت عليهم، ثم أضاف:- " ما الذي حدث لك ؟"

- " لقد جاءوا لأجلي في الليلة قبل الماضية. سحبوني خارج سريري إلى المكتبة. وكان هناك شيء ما مثل المصعد ـ نعم. لم أكن أعرف ما الذي كانوا يفعلونه. اعتقدت بأنهم كانوا سيقتلونني. ولكنهم رموني هنا"، قال جايمس.

- "كنت هنا ليومين ؟" سأله أليكس.

- " نعم."

هز أليكس رأسه وقال: "لقد رأيتك تتناول إفطارك في الأعلى قبل ربع ساعة" قال أليكس.

- "لقد صنعوا نسخا عنا" قال الفتى الآخر وقد تكلم للمرة الأولى، وكانت لديه لكنة أمريكية، ثم أضاف قائلا: - "كلنا ! ولا

أدري كيف قاموا بذلك أولماذا. ولكن هذا ما فعلوه" نظر الفتى إلى الباب بعيون يملؤها الغضب ثم قال :– " أنا هنا منذ شهور. أسمي باول روزكو."

– " روزكو ؟ أبوك ـ "

– " مايكل روزكو "

صمت أليكس إذ لم يتمكن من إخبار الفتى ما الذي حدث لوالده ثم نظر بعيدا عنه وقد خشي أن يعرف باول بالأمر من خلال عيني أليكس.

– " كيف نزلت إلى هنا ؟ " سأله جايمس.

– " اسمعا " قال أليكس وهو يتكلم بسرعة الآن، " لقد أرسلتني المخابرات البريطانية إلى هنا، واسمي ليس أليكس فريند. إنه أليكس رايدر. وسيكون كل شيء على ما يرام.

سيرسلون أشخاصاً إلى هنا وسيطلقون سراحكم جميعاً "

– " أنت جاسوس ؟ " كان جايمس منذهلا بشكل واضح.

أومأ أليكس برأسه وقال:– " شيء من هذا القبيل على ما افترض "

– " لقد فتحت الباب، بإمكاننا الخروج من هنا!" وقف باول روزكو مستعداً للتحرك.

– " لا! " قال أليكس وقد رفع يديه" عليكم الانتظار. ليس هناك طريق إلى أسفل الجبل. ابقوا هنا وسأعود ومعي المساعدة. أعدكم. إنها الطريقة الوحيدة"

– " لا أستطيع ـ "

- "عليك أن تفعل ذلك. ثق بي باول. سأغلق عليكما حتى لا يعرف أحد أنني كنت هنا. ولكن لن يطول الأمر، سأعود!" قال أليكس.

لم يستطع أليكس الإنتظار لمزيد من الجدال. عاد إلى الباب وفتحه. وكانت السيدة ستيلينبوش واقفة في الخارج. وكان لدى أليكس الوقت فقط ليشعر بالصدمة لرؤيتها. وحاول أن يرفع يده ليحمي نفسه، ويدور بجسمه في وضعية لركلة كاراتيه. ولكنه كان متأخراً جداً، فقد انطلقت يدها وضربت وجهه بعقب كفها. وكانت كأنها ضربة بجدار من الطوب. أحس أليكس بكل عظامه تطقطق. وإنفجر ضوء أبيض خلفه ثم خرّ صريعاً.

كيف تحكم العالم؟

- " افتح عينيك يا أليكس، الدكتور جريف يود التحدث إليك."

جاءت الكلمات من عبر المحيط. أنّ أليكس وحاول أن يرفع رأسه. لقد كان جالسا ويداه مكبلتان وراء ظهره، وجانب وجهه بأكمله مصاب بالكدمات وهو متورم ويوجد طعم دم في فمه. فتح عينيه وانتظر حتى رأى الغرفة بوضوح، وكانت السيدة ستيلينبوش واقفة أمامه وقبضة يدها ملتفة بشكل سائب في يدها الأخرى، فتذكّر أليكس قوة الكوع الذي ضربه. وكان رأسه كله ينبض، ومرّ بلسانه على أسنانه ليرى إن كان قد خسر شيئاً منها أم لا. وكان من حسن حظه أن إستدار مع اللكمة، وإلا كانت ستكسر عنقه.

كان الدكتور جريف يجلس في كرسيه الذهبي ويراقب أليكس بشيء يشبه الفضول أو المقت أو ربما كليهما معاً. ولم يكن أحد آخر في الغرفة، وكانت لا تزال تثلج في الخارج، وكانت هناك نار صغيرة تشتعل في الموقد، لكن الشعلات كانت حمراء كعيني الدكتور جريف.

- " لقد سببت لنا إزعاجاً شديداً "، قال الدكتور جريف.

رفع أليكس رأسه وحاول أن يحرك يديه ولكنهما كانتا مربوطتين معا خلف الكرسي.

- " اسمك ليس أليكس فريند. أنت لست أبناً للسير ديفيد فريند، وإسمك هو أليكس رايدر، وأنت موظف من قبل القوات السرية البريطانية"، لقد كان الدكتور جريف في الواقع يقول الحقيقة، ولم تكن ثمة مشاعر على وجهه.

-"لدينا سماعات صغيرة مخفية في القبو" بدأت السيدة ستيلينبوش بالشرح، ثم أضافت "أحياناً من المفيد بالنسبة لنا أن نسمع المحادثات بين الضيوف الصغار. وكل شيء قلته سمعه الحارس الذي إستدعاني."

- " لقد أضعت علينا وقتنا ومالنا. وستعاقب لأجل ذلك. وهو ليس عقاباً ستنجو منه"، قاله الدكتور جريف.

كانت الكلمات باردة وأكيدة، فشعر أليكس بالخوف الذي أثاروه. لقد جرى الخوف في دمه موقفاً دقات قلبه. أخذ أليكس نفساً عميقا وهو يحاول ضبط نفسه، فقد أرسل إشارة للمخابرات البريطانية MI6، وسيكونون في طريقهم إلى 'بوينت بلانك'، وسيظهرون في أية لحظة الآن، وكان عليه فقط أن يراوغ من أجل الوقت.

- " لا تستطيع فعل شيء لي"، قال أليكس.

انهالت السيدة ستيلينبوش عليه بالضرب ودفعته إلى الخلف في حين صفعته بظهر يدها على جانب رأسه. لكن الكرسي فقط أبقاه مستنداً، وقالت:- " عندما تتحدث إلى المدير تخاطبه بالدكتور جريف "

نظر أليكس حوله من جديد وعيناه تقطران دمعاً، وقال: " لا تستطيع فعل شيء لي، دكتور جريف. أنا أعرف كل شيء. أعرف

بشأن مشروع برج الجوزاء، وقد أخبرتهم في لندن بما أعرف. وإن فعلت أي شيء لي فإنهم سيقتلونك. إنهم في طريقهم إلى هنا الآن"

ابتسم الدكتور جريف، وفي تلك اللحظة عرف أليكس أن لا شيء مما قاله سيشكل فرقاً لما سيحدث له. لقد كان الرجل واثقاً للغاية، وكان مثل لاعب البوكر الذي لم يكن قد رأى لأوراق كلها، وإنما سرق الأصات الأربعة لنفسه.

-" قد يكون أصدقاءك في طريقهم، ولكنني لا أظن بأنك أخبرتهم أي شيء. لقد قمنا بتفتيش أمتعتك ووجدنا أداة الإرسال مخفية في مشغل الأقراص، ولاحظت كذلك بأنه كان منشاراً كهربائياً غاية في البراعة. ولكن فيما يتعلق بجهاز الإرسال، فبإمكانه إرسال إشارة ولكن ليس رسالة، كما أن ما تعرفه عن مشروع برج الجوزاء لا يهمني. وإفترض بأنك قد سمعت بالإسم بينما كنت تسترق السمع عند إحدى الأبواب. كان علينا أن نكون أكثر حذراً ــ ولكن أن ترسل المخابرات البريطانية طفلاً فهذا شيء لا يمكننا توقعه.

-" دعنا نفترض إذن أن أصدقاؤك تمكنوا من المجيء، لن يجدوا شيئاً خاطئاً. أنت نفسك ستختفي، سأخبرهم بأنك هربت، وأن رجالي يبحثون عنك، ولكنني أخشى أنك قد تكون متّ برداً وبقيت لفترة طويلة في سفح الجبل. ولن يعرف أحد ما الذي قمت بفعله هنا. وسينجح مشروع برج الجوزاء، لقد نجح أصلاً. حتى وإن قتلني

أصدقاؤك، فإن هذا لن يشكل فرقاً. لا يمكن قتلي أليكس، فالعالم ملكي الآن."

– " أنت تعني أنه يخص الأولاد الذين استأجرتهم لتقوم بعمل نسخ منهم"، قال أليكس.

– "استأجرتهم ؟" قال الدكتور جريف متمتماً بعض الكلمات للسيدة ستيلينبوش بلغة قاسية وخارجة من بلعومه، فافترض أليكس بأنها لا بد وأن تكون لغة افريقية، فتحت السيدة ستيلينبوش فمها وضحكت مظهرة أسناناً تغير لونها بشدة مضيفاً إلى ما قال:– " هل هذا ما تعتقد؟ هل هذا ما تؤمن به؟"

– "لقد رأيتهم"، رد أليكس.

– "أنت لا تعرف ما الذي رأيته. أنت لا تفهم مدى عبقريتي! لا يمكن لعقلك الصغير أن يستوعب ما حققته"، كان الدكتور جريف يتنفس بصعوبة وبدا أنه قد توصل إلى قرار ما وقال: "ويكفيني أن أواجه عدوي وجها لوجه. ما أحبطني دائما هو ألا أكون قادراً أبداً على أن أوصل للعالم ذكاء ما حققت. حسناً، وبما أنك لدي هنا ـ جمهور أسير ـ إذا صح التعبير، سأمنح نفسي متعة وصف مشروع برج الجوزاء. وعندما تذهب إلى حتفك وأنت تصرخ، ستفهم أنه لا أمل لك بالنجاة. وأنه لا أمل لك في مواجهة رجل مثلي والفوز بذلك. ربما سيكون ذلك أسهل بالنسبة لك"، قال الدكتور جريف.

– "سأدخن إن كنت لا تمانع يا دكتور" قالتها السيدة ستيلينبوش وأخرجت سجائرها وأشعلت واحدة، فتراقص الدخان أمام عينيها.

- " أنا، وكما أنني متأكد بأنك مدرك، من جنوب أفريقيا. والحيوانات التي في القاعة وفي هذه الغرفة كلها تحف تذكارية تذكرني بالوقت الذي كنت فيه هناك أصطاد في رحلات الصيد. ولا زلت أفتقد موطني. إنه الأجمل على هذا الكوكب. وما لا تعرفه مع ذلك، هو أنه ولعدة سنوات كنت واحداً من أهم علماء الكيمياء الحيوية في جنوب أفريقيا. لقد كنت رئيس قسم علم الأحياء في جامعة جوهانسبيرغ. وأدرت لاحقا معهد سايكلوبس للأبحاث الجينية في بريتوريا. ولكن ذروة مهنتي جاءت في الستينيات. ومع أنني كنت لا أزال في العشرينيات من عمري آنذاك، إلا أن رئيس وزراء جنوب أفريقيا، جون فورستر، عينني وزيرا للعلوم ـ "

- " لقد قلت بأنك ستقتلني، ولكنني لم اعتقد بأنك بأن ستقتلني مللاً "، قال له أليكس.

سعلت السيدة ستيلينبوش على سيجارتها وتوجهت نحو أليكس، وقد انقبضت قبضتها ولكن الدكتور جريف أوقفها وقال:- " دعي الصبي يقول دعابته الصغيرة. سيكون هناك ألم كاف من أجله لاحقاً "

نظرت المساعدة إلى أليكس شذراً.

تابع الدكتور حديثه قائلا:- " أنا أخبرك بهذا يا أليكس فقط لأنه سيساعدك على الفهم. ولعلك لا تعرف شيئاً عن جنوب أفريقيا. فقد اكتشفت أن طلاب المدارس الانجليز هم الأكثر كسلاً وإهمالاً في العالم. وسيتغير كل ذلك قريباً! ولكن دعني أخبرك قليلاً عن

بلدي كما كان عندما كنت يافعاً. حكم البيض في جنوب أفريقيا كل شيء في ظل القوانين التي صارت تعرف للعالم بالتمييز العنصري، إذ لم يكن مسموحاً للسود بالعيش قريباً من البيض. ولم يتمكنوا من الزواج بالبيض. لم يكن بإمكانهم مشاركة البيض بدورات المياه والمطاعم وصالات الرياضة والحانات. كان عليهم أن يحملوا رخصاً للمرور. لقد عوملوا مثل الحيوانات "

– " لقد كان مثيراً للاشمئزاز " قال أليكس.

– " لقد كان رائعاً!" قالت السيدة ستيلينبوش متمتمة.

– " لقد كان رائعاً بالفعل، ولكن مع مرور السنين، أصبحت مدركاً أنه سيكون قصير الأجل كذلك، فمن خلال ثورة الناس في منطقة سويتو في جوهانسبيرغ وتنامي المقاومة والطريقة التي تحزبت فيها دول العالم أجمع ضدنا ـ بما فيها بلدك النتن ـ عرفت أن جنوب أفريقيا البيضاء كانت تسير نحو حتفها، حتى أنني تنبأت باليوم الذي تنتقل فيه السلطة لرجل مثل نيلسون مانديلا"

– " مجرم! " أضافت السيدة ستيلينبوش قائلة في حين كان الدخان يخرج من فتحات انفها.

لم يقل أليكس شيئا، فقد كان واضحاً بشكل كاف أن الدكتور جريف ومساعدته كانا مجنونين، وكان مدى جنونهما يتضح أكثر وأكثر مع كل كلمة يقولانها.

– "لقد نظرت إلى العالم وبدأت أرى كيف كان يصبح أضعف ويرثى له، وكيف يمكن أن يحدث أن بلداً مثل بلدي قد يعطى

لأناس ليست لديهم أية فكرة عن كيفية إدارته ؟ ولماذا كان بقية العالم قد قرروا له أن يكون كذلك؟ نظرت حولي ورأيت أن الناس في أمريكا وأوروبا قد صاروا أغبياء وضعفاء. وسقوط جدار برلين جعل الأمور أسوأ. لقد أعجبت دوما بالروس، ولكنهم أصبحوا بسرعة مصابين بنفس المرض. وقلت لنفسي، إذا حكمت العالم، فكم سيكون قويا، وكم سيصبح أفضل ـ"

– " بالنسبة لك ربما دكتور جريف. ولكن ليس لأي أحد آخر " قال أليكس.

تجاهله جريف وكانت عيناه من وراء نظارته الحمراء تلمعان، وقال: " لقد كان حلم رجال قلة أن يحكموا العالم كله. هتلر كان أحدهم. نابليون ، ستالين ربما. رجال عظماء! رجال جديرون بالثناء! ولكن حكم العالم في القرن الحادي والعشرين يتطلب أكثر من القوة العسكرية. إن العالم مكان أكثر تعقيدا الآن. وأين تكمن القوة الحقيقية؟ في السياسة. في الرؤساء ورؤساء الوزراء. ولكنك ستجد القوة كذلك في الصناعة والعلم والإعلام والنفط وشبكة الانترنت الحياة الحديثة نسيج عظيم وإن أردت أن تتحكم به فعليك أن توقف كل خيط فيه. وهذا ما قررت فعله أليكس. وكان ذلك بسبب موقعي الفريد في المكان الفريد الذي كان جنوب أفريقيا بحيث أنني كنت قادرا على محاولة تحقيق ذلك." أخذ جريف نفساً عميقاً ثم قال:– " ماذا تعرف عن التخصيب النووي؟"

- " لا أعرف شيئاً. ولكن كما قلت أنت، أنا طالب مدرسة انجليزي. كسول ومهمل" أجابه أليكس.

-" توجد كلمة أخرى لذلك. هل سمعت بالاستنساخ ؟"

انفجر أليكس ضاحكاً وقال:- " أنت تعني .... مثل النعجة دوللي؟"

- " قد تكون نكتة بالنسبة لك أليكس. شيء مثل الخيال العلمي. ولكن العلماء كانوا يقومون بالبحث عن طريقة لخلق نسخة طبق الأصل عن أنفسهم لأكثر من مائة سنة. والكلمة نفسها إغريقية وتعني 'غُصين.' فكر في الغصين كيف يبدأ كفرع واحد ثم ينقسم إلى اثنين. هذا بالضبط ما تم تحقيقه على السحالي وقنفذ البحر والضفادع وصغارها والفئران. ونعم، في الخامس من شهر تموز من عام ألف وتسعمائة وستة وتسعون تم تحقيق ذلك مع نعجة. إن النظرية بسيطة بشكل كاف، التخصيب النووي، إستخراج النواة من البويضة وإستبدالها بخلية مأخوذة من حيوان بالغ. لن أرهقك بالتفاصيل يا أليكس. ولكنها ليست نكتة، فقد كانت النعجة دوللي نسخة تامة عن نعجة ماتت قبل أن تولد دوللي بست سنوات. لقد كانت النتيجة النهائية لتجربة دامت لمائة سنة على الأقل. وفي ذلك الوقت تشارك العلماء في حلم واحد، لاستنساخ رجل بالغ، وقد حققت ذلك الحلم!"

توقف جريف عن الكلام.

- " إن أردت جولة من التصفيق فعليك إزالة القيود عن يدي"، قال أليكس.

– " لا أريد تصفيقاً، ليس منك. ما أريده منك هو حياتك وهذا ما سآخذه "، قال له جريف.

– " إذا من الذي إستنسخته ؟ أرجو ألا تكون السيدة ستيلينبوش. اعتقد أن واحدة منها تكفي"، قال أليكس.

– " من تعتقد ؟ لقد إستنسخت نفسي !" قال الدكتور وقد أمسك بيدي كرسيه وكأنه ملك على عرش من نسج خياله ثم تابع قائلاً:–

" لقد بدأت عملي قبل عشرين عاماً. لقد أخبرتك، كنت وزيراً للعلوم. وكانت لدي كل المعدات والأموال التي إحتجتها. وكذلك كانت تلك جنوب أفريقيا! القوانين التي أعاقت العلماء الآخرين حول العالم لم تنطبق علي. لقد كنت قادرا على استعمال البشر ـ السجناء السياسيين ـ من أجل تجاربي. كل شيء تم تحقيقه بالسر. لقد عملت من غير توقف لمدة عشرين عاماً، وعند ذلك، وعندما كنت جاهزا، سرقت مبلغا كبيراً من المال من حكومة جنوب أفريقيا وانتقلت إلى هنا. لقد كان ذلك عام ألف وتسعمائة وواحد وثمانين. وبعد ست سنوات وقبل عقد من الزمن تقريبا وقبل أن يذهل عالم انجليزي العالم باستنساخ نعجة، حققت ما هو أبعد من ذلك، شيء أكثر من كونه خارقاً للعادة، وهنا في 'بوينت بلانك.' لقد استنسخت نفسي. ليس مرة واحد فقط! ست عشرة مرة. ست عشرة نسخة مطابقة لي بمظهري وقدراتي العقلية وطموحي وعزيمتي."

– " وهل كانوا مجانين مثلك ؟" سأله أليكس فانهالت السيدة ستيلينبوش عليه بالضرب من جديد، وهذه المرة على معدته. ولكنه أراد أن يغضبهم، فإن كانوا غاضبين فقد يرتكبون أخطاء.

– " لقد كانوا أطفالاً ستة عشر طفلا من ستة عشر أماً، كنّ أنفسهن غير مرتبطات من ناحية حيوية. كبروا وأصبحوا نسخاً طبق الأصل عني، وكان علي الانتظار أربعة عشر عاماً حتى يصبح الأطفال أولادا ثم مراهقين. وهنا ايفا تعتني بهم جميعا. لقد قابلت بعضهم–"

– " توم وكاسيان ونيكولاس وهوغو وجوي وجايمس "

لقد فهم أليكس الآن لماذا كانوا بشكل ما يشبهون بعضهم.

– "هل تفهم أليكس؟ هل لديك أي فكرة عما فعلت؟ لن أموت أبداً لأنه حتى عندما ينتهي هذا الجسد، فإنني سأعيش فيهم. أنا هم وهم أنا. نحن كلنا واحد ومتشابهون."

ابتسم جريف من جديد وقال:" لقد ساعدتني في كل هذا ايفا ستيلينبوش والتي كانت تعمل معي في حكومة جنوب أفريقيا. لقد عملت في قواتنا السرية في جنوب أفريقيا، وكانت واحدة من محققيهم الرئيسيين."

– "كانت أياماً سعيدة!" قالت السيدة ستيلينبوش وهي مبتسمة.

– " لقد أنشأنا الأكاديمية معاً، لأنه وكما ترى، كانت تلك خطتي التالية. لقد كنت أصنع ست عشرة نسخة مني. ولكن ذلك لم يكن كافياً، أنت تذكر ما كنت أقول عن خيوط النسيج؟ كان علي أن أحضرهم هنا، لسحبهم معاً–".

– " لإستبدالهم بنسخك!" فجأة فهم أليكس الأمر كله. لقد كان كل هذا جنونا. ولكنها كانت الطريقة الوحيدة لفهم كل ما رآه.

أومأ الدكتور جريف برأسه وقال: " لقد كانت تلك الملاحظة التي انتبهت لها. تلك العائلات الثرية وصاحبة السلطة كانت لديها أطفالا كانوا يسببون المتاعب. آباء ليس لديهم الوقت من أجل أبنائهم. أبناء لا يحبون آباءهم. هؤلاء الأطفال أصبحوا هدفي يا أليكس. لأنك كما ترى فقد أردت ما لدى هؤلاء الأطفال. خذ صبياً مثل هوغو فريس، يوما ما سيتركه أبوه مع حصة خمسين بالمائة من سوق الألماس في العالم. أوتوم ماك مورين؛ لدى أمه صحف في كل أنحاء العالم. أوجوي كانتربيري؛ والده في البنتاغون وأمه سيناتور، يا لها من بداية جيدة في الحياة السياسية؟ يا له من رئيس مستقبلي للولايات المتحدة؟ خمسة عشر من الأطفال الواعدين الذين تم إرسالهم إلى هنا في 'بوينت بلانك'، لقد إستبدلتهم بنسخ مني. تعديل جراحي بالطبع ليبدومثل النسخ الأصلية تماما"

– " باكستر، الرجل الذي أطلقت عليه النار ــ "

– " لقد كنت مشغولاً أليكس" بدا الدكتور جريف لأول مرة متفاجئاً ثم أضاف:– "المرحوم السيد باكستر كان جراح تجميل. لقد وجدته يعمل في هارلي ستريت في لندن. وكانت عليه ديون بسبب المقامرة، وكان من السهل إحضاره إلى هنا تحت سيطرتي

وكانت وظيفته أن يجري عمليات جراحية على عائلتي لتغيير وجوههم ولون بشرتهم ــ وأجسادهم عند الضرورة. ليبدو مشابهين للمراهقين تماماً الذين استبدلتهم. ومن اللحظة التي وصل فيها المراهقون إلى هنا في 'بوينت بلانك'، تم وضعهم تحت المراقبة ــ"

– " مع غرف متطابقة في الطابق الثاني والثالث " قال أليكس.

– " نعم. لقد كان أشباهي قادرين على مراقبة أهدافهم على شاشات التلفاز لنسخ كل اللحظات التي تخصهم. ليتعلموا طريقة الكلام والحركات التي تميزهم. ليأكلوا مثلهم ويتحدثوا مثلهم. باختصار، ليصبحوا هم أنفسهم "

– " لن ينجح الأمر أبدا! " قال أليكس وقد إستدار بكرسيه محاولاً العثور على رافعة ما في القيود. ولكن المعدن كان ضيقا للغاية. لم يستطع الحركة، وقال:– " سيعرف الآباء أن أبنائهم الذين أعدتهم أنهم مزيفون! " وقد أصر أليكس على ذلك، ثم تابع:– " وأي أمّ ستعرف أنه ليس ابنها، حتى وإن بدا يشبهه. "

قهقهت السيدة ستيلينبوش وكانت قد أنهت سيجارتها فأشعلت واحدة أخرى.

– " أنت مخطئ تماما أليكس. أولاً، أنت تتحدث عن آباء منشغلين وغارقين في العمل ليس لديهم وقت لأطفالهم. كما أنك نسيت أن السبب الذي دفع هؤلاء لإرسال أبنائهم إلى هنا هو لأنهم أرادوا لهم أن يتغيروا. إنه السبب الذي دفعهم لإرسال

أبنائهم لمدرسة خاصة. أوه نعم، إنهم يعتقدون أن المدرسة ستجعل أولادهم أفضل وأكثر ذكاء وثقة. وسيخيب أملهم في الواقع إذا رجع أولادهم كما جاءوا.

- "كما أن الطبيعة إلى جانبنا. فالصبي الذي يترك بيته لمدة ست أوسبع أسابيع ستترك الطبيعة أثرها عليه حين يعود. وسيبدو الولد أطول، أسمن أوأنحف. وحتى صوته سيكون قد تغير. كل هذا جزء من البلوغ، وعندما يرى الآباء أبنائهم سيقولون: "آه توم، لقد كبرت" ولن يشككوا في شيء، وسيقلقون إذا لم يتغير الصبي".

- "لكن روزكو عرف بالأمر. أليس كذلك؟" لقد عرف أليكس أنه توصل للحقيقة، السبب الذي من أجله تم إرساله إلى هنا في المقام الأول. لقد عرف لم قتل روزكو وإيفانوف.

- "لقد كان هناك حدثين عندما لم يصدق الآباء ما رأوا" اعترف الدكتور جريف ثم تابع قائلا:- "مايكل روزكو في نيويورك والجنرال فيكتور إيفانوف في موسكو. لم يعرف أيا من الرجلين ما حدث، ولكنهما لم يكونا سعيدين. لقد حققا مع ولديهما وسألا الكثير من الأسئلة"

- "وأخبرك الأبناء ما الذي حدث"

- "بإمكانك أن تقول أنني أخبرت نفسي. فالأولاد بعد كل شيء هم أنا. ولكن نعم، عرف مايكل روزكو أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام فاتصل بالمخابرات البريطانية MI6 في لندن. وافترض أن ذلك ما أنت متورط فيه لسوء حظك. كان علي أن ادفع حتى يتم قتل روزكو

كما فعلت تماماً مع إيفانوف. ولكن كان سيشككوا في الأمر وسيكون هناك مشاكل. إثنان من ستة عشر ليس أمرا مفجعاً. وبالطبع لم يشكل ذلك أي اختلاف على خططي. وقد ساعدني ذلك الأمر بعدة طرق، لقد ترك مايكل روزكو ثروته كاملة لابنه. وعرفت أن الرئيس الروسي يهتم شخصيا بأمر ديمتري إيفانوف بعد موت والده.

– " باختصار، كان مشروع برج الجوزاء ناجحاً للغاية. وفي أيام قليلة سيغادر آخر مجموعة من الأولاد 'بوينت بلانك' ليأخذوا أماكنهم في وسط عائلاتهم. وحين اقتنع أنهم قد قبلوا جميعاً، فإنني أخشى أنني سأتخلص من الأصل، وسيموتون من غير ألم.

– " ولا يمكن أن ينطبق هذا القول بالنسبة لك يا أليكس رايدر. لقد سببت لي الكثير من الإزعاج. واقترح لذلك أن نجعل منك مثالاً يحتذى"، قال الدكتور جريف وهو يخرج من جيبه أداة بدت مثل أداة إتصال شخصية كان لها زر واحد. قام جريف بضغط الزر وقال: " ما هو أول درس غداً صباحاً ايفا؟"

– " حصتي علوم حياة " ردت السيدة ستيلينبوش.

– " كماإاعتقدت. ربما ستذهب لدروس الأحياء حيث يتم تشريح الضفدع أوالفأر يا أليكس. ولبعض الوقت الآن، فقد كان أولادي يطلبون رؤية بشر يتم تشريحه. وهذا لا يفاجئني، عندما كنت في سن الرابعة عشر حضرت تشريح إنسان بنفسي. غداً صباحاً وعند التاسعة والنصف، سيتم تحقيق أمنيتهم. سيتم إحضارك إلى المختبر وسنقوم بفتحك

والنظر إليك. ولن نستعمل مخدراً، وسيكون من الممتع معرفة كم ستقاوم قبل أن يتوقف قلبك. عندها، سنقوم بتشريح قلبك بالتأكيد".

– " أنت مريض!" صرخ أليكس. لقد كان يتلوى في تلك اللحظة في كرسيه محاولا كسر الخشب وتحرير يديه. ولكن ذلك كان دون جدوى، فقد جرحه المعدن واهتّز الكرسي لكنه بقي قطعة واحدة، وقال:– " إنك رجل مجنون!"

– "أنا عالم ! ولهذا السبب أنا أعطيك موتًا علمياً. على الأقل سيكون لدي استعمال فيك في دقائقك الأخيرة." نظر جريف إلى ما وراء أليكس ثم قال: " خذوه من هنا وفتشوه تماماً. ثم أغلقوا عليه طوال الليل. سيكون أول شيء أراه غداً صباحاً" أحمد

كان أليكس قد رأى الدكتور جريف يستدعي الحراس ولكنه لم يسمعهم وهم يدخلون. لقد تم القبض عليه من الخلف، وفتحت الأصفاد وسحب أليكس إلى الخلف خارج الغرفة. كانت مشاهدته الأخيرة للدكتور جريف، وهو يقرّب يداه من النار ليدفئهما وقد انعكست صورة الشعلة الملتفة في نظارته. أما السيدة ستيلينبوش فقد إبتسمت ونفثت الدخان خارجاً.

ثم أغلقوا الباب وسحبوا أليكس أسفل الممر وقد عرف أن بلنت والقوة الخاصة كانوا في طريقهم، ولكنه كان يتساءل فيما إذا كانوا سيصلون قبل فوات الأوان.

سباق المحترفين

احتوت الزنزانة التي تبلغ مساحتها مترين بأربعة أمتار على سرير بلا مفرش عليه، وكرسي أيضاً. سمع أليكس مفتاحاً يدور في القفل بعد أن أغلقوه. لم يعطوه أي شيء للأكل أوالشرب. كانت الزنزانة باردة جداً، ولم تكن هناك ثمة بطانية على السرير.

ولكن عى الأقل، لقد نزع الحرّاس الأصفاد الحديدية من يديه. إذ فتّشوه جيداً وبمنتهى الحذر والخبرة، وأخذوا كل شيء في جيوبه. كما نزعوا حزامه، وخيوط حذائه. ربما يكون الدكتور جريف قد فكّر أنه يمكن أن يشنق نفسه. كان جريف يحتاجه حياً وطازجاً من أجل درس الأحياء.

كانت الساعة حوالي الثانية فجراً، ولكن أليكس لم ينم. حاول أن يخرج من دماغه كلما أخبره جريف به. لم يعد ذلك مهما الآن. عرف أن عليه أن يهرب قبل حلول الساعة التاسعة والنصف، لأنه، شاء أم أبى، عليه أن يعتمد على نفسه فهو بمفرده. فقد مرت أكثر من ست وثلاثون ساعة منذ أن ضغط على زر النجدة الذي أعطاه أياه سميذرز—ولم يحدث شيء. أما أن الآلة لم تعمل، أوأن المخابرات البريطانية **M16** قرروا عدم المجيء لسبب ما. وبالطبع، كان يمكن أن يحدث شيء قبل إفطار الغد. لكن أليكس لم يكن مستعداً للمجازفة. عليه أن يخرج، الليلة.

للمرة العشرين، ذهب قبالة الباب وجثا على ركبتيه وهو يسترق السمع بكل عناية. كان الحرّاس قد سحبوه إلى القبو. وكان في ممر معزول عن بقية السجناء. وعلى الرغم من أن كل شيء قد حدث بسرعة، حاول أليكس أن يتذكر المكان الذي أخذوه إليه. بعد الخروج من المصعد، إتجهوا به يساراً. وحول الزاوية، ثم إلى الأسفل ثانية، مروراً بممر ثان إلى باب في آخر الممر. وبانصاته عبر الباب، كان متأكداً تقريباً من أنهم لم يتركوا حارساً في الخارج.

لا بد أن تكون الآن فترة منتصف الليل. عندما فتشه الحراس، لم يقوموا بأخذ كل شيء منه. إذ لم يلاحظ أي منهما البرغي الذهبي الموجود في أذنه. ما الذي قاله سميذرز؟ – "إنه صغير ولكنه شديد الإنفجار. إن فصل الجزأين سيفعّل الجهاز. ثم أحسب حتى العشرة، وسيفتح حفرة بأي شيء كان "

الآن حان وقت الإختبار.

وصل أليكس إلى البرغي الذي بأذنه وفتحه، وأخرجه من أذنه، وفلّ الجزأين في فتحة المفتاح التي في الباب، وتراجع إلى الخلف، وعدّ حتى العشرة.

لم يحدث شيء. هل كان البرغي مكسوراً، مثل مرسل الديسكمان؟ كان أليكس على وشك اليأس عندما ظهر وهج مفاجئ، ومن ثم صفحة مكثفة من اللهب البرتقالي. ولحسن الحظ، لم تكن مصحوبة بأية ضجة. استمرت النار لحوالي خمس ثوان، ثم إختفت. رجع أليكس إلى الباب، فوجد أن البرغي قد أحدث فتحة فيه بحجم

عملة نقدية بقيمة باونين. لقد ذاب المعدن، لكنه ما زال متوهجاً.
وصل أليكس للباب ودفعه ففتح.

شعر أليكس بدفقة من البهجة المؤقتة، لكنه أجبر نفسه على الهدوء. ربما يكون الآن خارج الزنزانة، ولكنه لا يزال داخل قبو الأكاديمية. كان هناك حرّاس في كل مكان. وكان أليكس على قمة جبل، بلا مزلاجات، ولا طريق واضح للنزول. لم يكن آمناً بعد، ولا هو بقريب من الشعور بالأمن.

خرج من الغرفة، وتبع الممر راجعاً إلى اليسار. شعر بالإغراء للبحث عن الأولاد الآخرين وتحريرهم، لكنه عرف أنهم لا يستطيعون المساعدة. وأن مجرد إخراجهم من زنزاناتهم يعني تعريضهم للخطر. لقد وجد طريق العودة إلى المصعد على أقل تقدير. لاحظ أن منصة الحارس التي شاهدها هذا الصباح فارغة. أما يكون الرجل قد ذهب ليصنع لنفسه قهوة أوأن جريف خفف من الأمن في الأكاديمية. فبوجود أليكس وسائر الأولاد جميعاً في داخل الزنزانات، لم يتركوا أي فرد ليقوم بالحراسة. أوهكذا اعتقدوا. استعجل أليكس في تقدمه. بدا أن الحظ بجانبه.

إستقل المصعد راجعاً إلى الطابق الأول. لقد عرف أن طريقه الوحيد للابتعاد عن الجبل كان في غرفته. لا شك أن جريف فتش كلما كان أليكس قد جلبه معه. ولكن ماذا فعل بحاجياته؟ زحف أليكس عبر الممر المضاء بشكل خافت حتى وصل غرفته. وكانت هناك، ترقد مكدسة على سريره: بذلة التزحلق. والنظارات الواقية

كذلك، حتى آلة الديسكمان وقرص بيتهوفن. تنفس أليكس الصعداء، لأنه سيحتاج إليها كلها.

لقد فكر مسبقاً بما سيفعل. لم يكن بوسعه التزلج نزولاً من الجبل. ما زال لا يعرف أين يجد الزلاجات. ولكن لم يكن هناك سوى طريق واحد يأخذه نحو الثلوج. تجمد أليكس عندما سمع وقع أقدام حارس في الممر خارج الغرفة. إذن ليس كل من في الأكاديمية نياماً! عليه أن يمضي بسرعة. بمجرد أن يكتشفوا أمر الزنزانة المكسورة، سيرتفع صوت الإنذار.

إنتظر حتى مغادرة الحارس، ثم دخل متلصصاً إلى غرفة الغسيل على بعد أبواب قليلة منه. وعندما خرج، كان يحمل شيئاً طويلاً مسطحاً مصنوعاً من الألمنيوم الخفيف الوزن. حمله إلى غرفته، أغلق الباب ثم أضاء أحد المصابيح الصغيرة. كان يخشى أن يرى الحارس الضوء عندما يعود. ولكنه لم يستطع العمل في الظلام. كانت مجازفة لا بد له من القيام بها.

لقد سرق لوح مكواة، توضع عليه الملابس لأجل كيها. لم يقم بالتزلج على الجليد باستخدام اللوح سوى ثلاث مرات في حياته كلها. في المرة الأولى، أمضى معظم النهار وهو يقع أويجلس على رجليه. إن التزلج باستخدام اللوح أصعب بكثير من التزلج بالزلاجات - ولكن بمجرد أن تتعلم الأساسيات، بوسعك أن تتقدم فيها بسرعة. ففي اليوم الثالث، تعلّم

أليكس كيف يركب، وكيف يحدد طريقه ويقطعه على منحدرات المبتدئين. إحتاج أليكس إلى لوح تزلّج الآن. وكان لوح المكواة سيفي بالغرض.

تناول آلة الديسكمان وشغّلها، فخرج سي دي بيتهوفن واندفع للأمام، فظهرت الحافة الماسية، قام أليكس بحساب عقلي، ثم بدأ بالقطع. كان لوح المكواة أعرض مما أراد أليكس، الذي كان يعرف أنه كلما كان اللوح أطول، كلما كان أسرع في التزلج، لكن إذا ما شعر بأن اللوح طويل جداً، حينها سيفقد السيطرة. كان لوح المكواة مسطحاً، وليس فيه أي انحناء في المقدمة - أوالأنف كما كانوا يطلقون عليه - مما سيجعله تحت رحمة جميع المطبات والجذور المقلوبة. لم يكن هناك شيء يمكنه فعله حيال ذلك. ضغط الزر وشاهد القرص وهو يقطع المعدن. وبحذر شديد قام أليكس بسحبه إلى الجهة الأخرى، لكي يشكّل منحنى. سقط حوالي نصف لوح المكواة. أخذ النصف الآخر، وكان يصل إلى صدره تقريباً من حيث الطول، له نقطة في أحد الأطراف ومنحنى في الطرف الأخير. شيء مثالي.

قام الآن بتقطيع الدعامات، تاركاً حوالي ستة سنتيمترات مرفوعة للأعلى. كان يعلم أن الراكب واللوح لا يمكن أن يعملا سوية إلا إذا لم يكن عنده شيء: لا أحذية، ولا أشرطة، ولا مساند عالية تدعم كعبيه. كان على وشك أن يجتهد ويرتجل، فقد قطع شريطين من الشرشف التي على سريره، ثم دخل في بذلة التزلج

خاصته. كان يريد أن يربط أحد كعبيه بما تبقى من دعامات لوح المكواة. كان ذلك الأمر في غاية الخطورة، فلو وقع، سيؤدي ذلك إلى خلع رجله.

ولكنه كان مستعد تماماً تقريباً. وبسرعة شديدة، رفع سحّاب بذلة التزلج. قال له سميذرز إن هذه البذلة مضادة للرصاص، فخطر بباله أنه سيحتاج لمثل هذا الشيء. وضع نظارتيه حول رقبته. لم يكن أحد قد أصلح الشبّاك لحد الآن. رمى لوح المكواة أولا، ثم تسلّق خارجاً من بعد.

لم يكن هناك قمرٌ في السماء الآن. وجد أليكس مفتاح تشغيل نظارتيه، فأداره وشغّلهما. سمع همهمة خفيفة حين تم تفعيل البطارية، وفجأة، توهّج سفح الجبل بلون أخضر مخيف، وكان أليكس قادراً على رؤية الأشجار، ومضمار التزلج المهجور وهو يمتد نازلاً.

حمل لوح التزلج إلى حافة الجليد، واستخدم الشريط لربطه على قدمه. وبحذر شديد، أخذ وضع الأنطلاق، قدمه اليمنى بزاوية أربعين درجة، واليسرى بزاوية عشرين. كان أعسر القدم، يستخدم قدمه اليسرى بدلا عن اليمنى. هذا ما أخبره به مدربه. كان يجب أن تكون قدمه بالعكس. ولكن هذا ليس وقتا للقلق حول التقنيات. وقف أليكس حيث كان، فتأمل ما سيفعله للتو. لم

يكن قد جرّب سوى قفزات المستوى الأخضر والأزرق - وهما اللونان اللذان يتم إعطاؤهما لمنحدرات المبتدئين والمتوسطين. وقد عرف من جايمس أن هذا الجبل بمستوى اللون الأسود للمحترفين من قمته إلى سفحه. ارتفعت أنفاسه غيوما خضر أمام عينيه. هل بوسعه فعلها؟ هل يثق بنفسه وقدراته؟

انفجر جرس إنذار مدوٍّ من خلفه. وأضيئت الأنوار في الأكاديمية. فما كان من أليكس إلا أن أندفع للأمام منطلقاً، وكانت سرعته تزداد في كل ثانية. لقد تم اتخاذ القرار نيابة عنه، فلم يكن أمامه خياراً. الآن، مهما حدث، لن يستطيع العودة.

وقف الدكتور جريف، مرتدياً روباً فضياً، بجانب الشباك المفتوح في غرفة أليكس. وكانت السيدة ستيلينبوش ترتدي روباً أيضاً - كان روبها وردياً حريريا فبدت مرعبة على نحو غريب. ووقف ثلاث حرّاس يراقبونهما، منتظرين الأوامر.

–" من الذي فتّش الصبي؟" سأل الدكتور جريف. كان قد رأى باب الزنزانة مسبقاً، والفتحة الدائرية التي احترقت في القفل.

لم يجب أي من الحراس، ولكن وجوههم أصبحت صفراء شاحبة.

– "ستتم الإجابة عن هذا السؤال في الصباح"، أكمل جريف كلامه، "أما الآن، فأكثر ما يهمني هو أن تجدوه وتقتلوه."

–" لا بد أن يكون الآن ماشياً نحو أسفل الجبل!" قالت السيدة

ستيلينبوش. "ليست لديه مزلاجات. لن يستطيع الابتعاد. يمكننا أن ننتظر حتى الصباح ونلتقطه بالمروحية."

–" أعتقد أن الولد أكثر قدرة على الاختراع مما نتصور." قال الدكتور جريف وهو يلتقط بقايا لوح المكواة. "أترون؟ لقد إبتكر نوعاً من الزلاجة أوالمزلقة. حسناً. " توصل جريف إلى قرار. فرحت السيدة ستيلينبوش وهي ترى التصميم يعود إلى عينيه. "أريد اثنين من الرجال، بعربة التزلج يتبعانه. الآن."

أسرع أحد الحرّاس خارجاً من الغرفة.

–" ماذا عن الوحدة العسكرية التي أسفل الجبل؟" قالت السيدة ستيلينبوش.

–"حقاً." ابتسم الدكتور جريف. فقد أبقى حارساً وغطاساً لدى نهاية الوادي الأخير خشية أن يحاول أي ولد من الأولاد مغادرة الأكاديمية على الزلاجات. كان ذلك تدبيراً احترازياً أوشك ألآن أن يؤتي ثماره. " لا بد أن يصل أليكس رايدر إلى وادي لا فالي دي فير. ومهما كانت الأداة التي يستخدمها للهبوط، لن يستطيع أن يقطع خط السكة الحديدية. يمكن أن نهيأ له ببندقية رشاشة تنتظره. ولنفترض أنه سيتمكن من الوصول إلى تلك النقطة البعيدة، فإنه بعدها سيكون بطة هامدة."

–"ممتاز" تمتمت السيدة ستيلينبوش.

–" أود أن أشاهده وهو يموت. ولكن، نعم هذا الولد رايدر لا يملك أملاً أبداً. ونحن بوسعنا أن نرجع للنوم."

كان أليكس على حافة الفضاء، يدوو كأنه يسقط نحو الموت المحقق. في لغة التزلج على الجليد، كان يقوم بالإمساك بالهواء وهذا يعني أنه قد رُمي من الأرض. كلما تقدم عشرة أمتار نحو الأمام، اختفى سفح الجبل خمسة أمتار أخرى نحو الأسفل. شعر وكأن العالم يدور من حوله. كانت الريح تجلد وجهه جلداً. ثم جاء بنفسه في خط مواز للقسم الآخر من المنحدر وألقى بها نحو الأسفل، ويهو يقود لوح التزلج أبعد وأبعد من 'بوينت بلانك. كان يتحرّك بسرعة مرعبة، وكانت الأشجار والأشكال الصخرية تمرّ من جانبيه في هالة مضيئة خضراء عبر نظارة الرؤية الليلية. كانت المنحدرات الحادة تجعل الأمر أسهل بالنسبة له. في إحدى النقاط، حاول أن يقوم بتوقف على جزء مسطّح من الجبل - كسطح الطاولة -- ليبطئ سرعته قليلا. فضرب الأرض بصدمة تكسّر العظام، أوشكت أن تعتم عليه الرؤية حتى يتوجب عليه أن يمضي العشرين مترا التالية وهو أعمى تماماً.

كان لوح المكواة يرتجف ويهتز بجنون، وكان يستهلك كل قوة أليكس لكي يجعله يستدير قليلاً. كان يحاول أن يتبع خط الانحدار الطبيعي للجبل ولكن كانت هناك الكثير الكثير من العوائق في طريقه. وكان أكثر شيء يكرهه أليكس هو الثلج الذائب. فإذا حط اللوح في بقعة من الطين بهذه السرعة، سيقذف به وسيُقتل. وكان يعرف أيضاً أنه كلما زاد نزولاً، كلما أصبح الخطر أكبر.

ولكنه ما زال مسافراً منذ خمس دقائق ولم يقع إلا مرتين - وكلاهما في حافتين كثيفتين من الثلوج قد قامتا بحمايته. ما مدى المسافة المتبقية نحو الأسفل؟ حاول أن يتذكّر ما قال له جايمس سبرنتز، ولكن التفكير كان مستحيلاً بمثل هذه السرعة. كان معتاداً على استخدام جزيئة من تفكيره الواعي ليبقى منتصباً.

وصل إلى حافة صغيرة كان سطحها مستوياً، وقاد حافة اللوح إلى داخل الثلج، وجلب نفسه إلى توقف في منزلق. كانت الأرض من تحته تتهاوى بشكل مريع. قلّما كان يجرؤ على النظر إلى الأسفل. كانت هناك أجمات شجر كثيفة من اليمين ومن اليسار. وفي الأفق لم يكن هناك سوى الهالة الخضراء. لم تكن النظارة قادرة على الرؤية أبعد من ذلك.

ثم سمع ضجيجاً قادماً من وراء ظهره. صيحات محركات أثنان على الأقل–وربما أكثر. استدار أليكس لينظر خلفه. في اللحظة الأولى لم ير شيئاً، لكنه رأهم فيما بعد - ذباب أسود يسبح في مجال رؤيته. كان هناك اثنان منهم، يمضون باتجاهه بسرعة.

كان رجال جريف يركبون مركبات تزلج من نوع ياماها ماونتين ماكس المحوّرة خصيصاً، وهي مجهّزة بمحرك ثلاثي الاسطوانات سعة 700 سي سي. كانت هذه الدراجات تطير على الثلج على مسارها البالغ 141 إنشاً، وكانت سرعتها تبلغ خمسة أضعاف سرعة أليكس دون أي

عناء. لقد كشفته أضواؤها الأمامية ذات الثلاثمائة واط. الآن، أسرع الرجلان نحوه، وهما يقطعان المسافة بينهما كلما مرة ثانية من الزمن.

قفز أليكس للأمام، فغاص في المنحدر التالي. وفي نفس اللحظة، كانت هناك ثرثرة مفاجئة، وسلسلة من أصوات الإنكسارات البعيدة، ثم ارتفع الجليد من جميع الجهات من حوله. كان لدى رجال جريف مدافع رشاشة مركّبة على مركبات تزلجهم! أطلق أليكس صرخة مدوية اثناء قفزه إلى سفح الجبل، وهو بالكاد يستطيع السيطرة على الصفحة المعدنية التي تحت قدميه. وكان الرابط البديل المؤقت يتمزق لدى ركبته. كان كل شيء يهتزّ بجنون. لم يعد يستطيع أن يرى شيئاً. ولكنه ليس بوسعه إلا أن يواصل التقدم للأمام، محاولاً الحفاظ على توازنه، متمنياً أن يكون الطريق الذي امامه خالياً.

ظهرت الأضواء الأمامية للمركبة الياماها الأقرب، فرأى أليكس ظله على الجليد. إنطلقت ضجة أخرى من الرشاشة الأوتوماتيكية فانحنى أليكس، وهو يكاد يسمع أزيز الطلقات تنثال من فوق رأسه. صرخت الدراجة الثانية، وهي تأتي بمحاذاته. توجب عليه الآن أن ينزل من سفح الجبل. وإلا سيقتل رميا بالرصاص أويسحق، أوربما كلا الأمرين.

ضغط على اللوح حتى حافته، ليقوم باستدارة. رأى فتحة بين الأشجار وتوجه نحوها. أصبح الآن يتسابق عبر الغابة، بينما أغصان الأشجار وجذوعها تجلده لدى مروره كما لو كان في لعبة

متحركة من ألعاب الكومبيوتر. هل تستطيع مركبات التزلج على الجليد أن تتبعه إلى هنا؟ جاءت الإجابة على السؤال برصاص البنادق الرشاشة التي كانت تمزق الأوراق والأغصان. بحث أليكس عن ممر ضيق. أهتز اللوح وأوشك أليكس على الوقوع نحو الأمام رأساً على عقب. أصبح الجليد أقل سمكاً من تحته! ضغط على الحافة ثم استدار متوجهاً نحو اثنتين من اكثف الأشجار. مر من بينهما على بعد مليمترات منهما. الآن -- اتبعني في هذا.

لم يكن لدى مركبة الجليد الياماها أي خيار، حيث أصبح سائقه بلا طريق بديل أمامه، خصوصاً وقد كان يقود بسرعة لم تسمح له بالتوقف. لقد حاول أن يتبع أليكس بين الأشجار، ولكن المركبة كانت عريضة جداً. سمع أليكس الاصطدام. كان هناك ارتطام رهيب، ثم صيحة ثم انفجار. ثم قفزت كرة من لهب برتقالي فوق الأشجار، مرسلة ظلال سوداء في رقصة مجنونة. ورأى أليكس أمامه رابية أخرى، ومن خلفها كانت هناك فتحة أخرى بين الأشجار. حان الوقت للخروج من الغابة.

أندفع منقضّاً إلى أعلى الرابية، ممسكاً بالهواء مرة أخرى. وبينما ترك الأشجار من خلفه، وعلى ارتفاع مترين من الأرض، رأى المركبة الثانية. لقد لحقت به. وللحظة واحدة من الزمن، كانا جنباً إلى جنب. ضاعف أليكس سرعته وأمسك بأنف اللوح الذي كان يركبه. وبينما كان لا يزال وسط الهواء، قام بثني طرف اللوح، مما جعل الذيل

يستدير بسرعة. لقد كان توقيته مثالياً. فضرب الذيل رأس الرجل الذي يمتطي الدراجة برأسه، وأوشك أن يرميه من مقعده. صرخ الرجل وفقد السيطرة. قامت الدراجة بالدوران إلى الجوانب كما لو أنها تحاول القيام باستدارة مستحيلة. ثم غادرت الأرض وهي تنقلب بشكل لولبي في الهواء مراراً وتكراراً. كان راكبها قد سقط، ثم صرخ صرخة مدوّية عندما أكملت الدراجة دورتها النهائية وجثمت على رأسه. وثب الرجل والآلة عبر سطح الثلج ثم رقدا بلا حراك. دهس أليكس الثلج وانزلق لكي يتوقف، وكانت أنفاسه تتراكم كغيمة خضراء أمام عينيه.

وبعد ثانية، دفع نفسه مرة أخرى. وإلى الأمام، كان بوسعه أن يرى أن جميع الزلاجات تقود إلى وادٍ واحد لا غير. لا بد أن يكون هذا هو عنق الزجاجة الذي يطلق عليه اسم 'لا فالي دي فير.' إذن فقد فعلها! لقد وصل إلى قاع الجبل. ولكنه الآن وقع في المصيدة. ليس هناك من طريق بديل أبداً. يمكنه أن يرى الأضواء من بعيد. المدينة. الأمان. ولكنه كان يرى أيضاً خط سكة الحديد ممتداً عبر الوادي تماماً، من اليسار إلى اليمين، محمياً من كلا الجانبين بساتر ترابي وسياج من الأسلاك الشائكة. كان الوهج المنبعث من أضواء المدينة ينير كل شيء. فمن أحد الطرفين، خرجت شاحنة من فم النفق. وسارت حوالي مئة متراً قبل أن يجبرها منعطف حاد على الالتفاف إلى الجانب الآخر من الوادي، لتتوارى بعد ذلك عن الأنظار.

رأى الرجلان اللذان في الشاحنة الرمادية أليكس وهو يتزلج نحوهم. لقد توقفا على الطريق، من الجانب الآخر للسكة الحديدية وكانا ينتظران لحظات قليلة فقط. لقد شاهدا الانفجار، وتساءلا عن مصير الحارسين الآخرين اللذين كانا على متن مركبي الثلوج. لكن ذلك لم يكن شأنهما، حيث كانت الأوامر الصادرة اليهما هي ضرورة قتل الولد. وها هو أمامهما مباشرة في العراء، يتعامل بمهارة عالية مع الدورة السوداء الأخيرة التي في الوادي. كانت كل ثانية تجعله أقرب ثم أقرب منهما. لم يكن لديه أي مكان للإختباء. كانت البندقية الآلية بلجيكية الصنع من نوع **NF MAG** ويمكنها أن تقطعه إلى نصفين.

رأى أليكس الشاحنة، كما رأى البندقية أيضاً وهي تصوّب نحوه. لم يستطع التوقف. كما فات الأوان لتغيير الإتجاه. لقد قطع كل هذه المسافة، لكنه الآن انتهى. شعر بقواه وهي تنهك. أين هم المخابرات البريطانية **M16**؟ لماذا يجب أن يموت، هنا في العراء، لوحده؟

ثم كان هناك دويّ مفاجئ عندما زمجر قطار دخل النفق. كان قطار بضائع، يسافر بسرعة عشرين ميلاً في الساعة تقريباً. كان فيه ثلاثون عربة على الأقل، تسحبه قاطرة ديزل، وقد شكّل القطار حاجزاً متحركاً يحول بين البندقية وأليكس، موفرًا بذلك حماية له. ولكن هذا الحاجز سوف لن يبق لأكثر من ثوانٍ قليلة. عليه أن يتحرّك بسرعة.

كان بالكاد يعرف ماذا يفعل، ولكنه وجد آخر كومة ثلج أمامه، فاستخدمها كنقطة إقلاع، وقفز في الهواء. الآن أصبح بمستوى القطار. الآن فوقه. غيّر مركز ثقله وهبط على سطح إحدى العربات. كان السطح مغطى بالثلج وللحظة اعتقد أنه سيقع على الجانب الآخر، ولكنه تمكن من التأرجح لكي يتمكن من التزلج على طول سطوح العربات، وهو يقفز من عربة إلى أخرى، وفي الوقت ذاته تم أخذه على طول السكة - بعيداً عن البندقية - في ضربة من الهواء القارس البرودة.

لقد فعلها! لقد خرج وابتعد! كان مستمراً في الانزلاق نحو الأمام، كان القطار يضيف سرعة لسرعة أليكس. لم يسبق لأي متزلج على الجليد أن تحرك بسرعة كهذه. لكن القطار وصل إلى انحراف في السكة. لكن ليس للوح قدرة أوسيطرة على السطوح الثلجية. ولما انحرف القطار نحو اليسار، أدت قوة الطرد المركزية إلى قذف أليكس إلى جهة اليمين. فطار مرة أخرى في الهواء. ولكنه في الأخير لم يجد مزيدا من الجليد.

ضرب أليكس الأرض كدمية من الخرق. وقد تمزق اللوح وطار من قدمه. قفز مرتان، ومن ثم ضرب سياج الأسلاك، واستقر به الحال والدم ينتشر من جرح بليغ في رأسه. عيناه مغمضتان.

حينها كان القطار يواصل مسيره عبر الليل، وكان أليكس راقدا بلا حراك.

بعد الجنازة

أسرعت سيارة الإسعاف في شارع ماكوس دي غريسيفاوودان في شمال غريبوبل، متوجهة نحو النهر. كان الساعة الخامسة فجراً، ولم يكن هناك زحام مروري حتى الآن، ولم تكن هناك حاجة لإطلاق صافرة الإسعاف. وقبل النهر مباشرة، استدارت السيارة نحو مجمع من الأبنية الحديثة القبيحة. كان هذا ثاني أكبر مستشفى في المدينة. توقفت سيارة الإسعاف عند باب خدمة الطوارئ، فهرع المسعفون نحوها حين فتح الباب الخلفي.

خرجت السيدة جونز من سيارتها المستأجرة وراقبت الجسد المترنّح الهامد وهم ينزلونه على النقّالة، ثم نقلوه إلى عربة وأسرعوا به عبر البوابة المزدوجة. لقد وضعوا في ذراعه مسبقاً محلولاً مغذياً، كما وضعوا على وجهه قناعاً للأوكسجين. لقد كان الثلج يتساقط في الجبال، ولكن هنا في الأسفل، لا يوجد سوى المطر الخفيف الرتيب، ينثال على الأرصفة. كان هناك طبيب بمعطف أبيض ينحني على النقّالة، تنهد ثم هز رأسه. شاهدت السيدة جونز كل هذا، فعبرت الشارع وتبعت النقّالة إلى الداخل.

وكان هناك رجل نحيف ذو شعر قصير جداً، يرتدي كنزة صوفية سوداء وصدرية مبطنة. كان يراقب المستشفى أيضاً. لقد رأى السيدة جونز لكنه لم يعرف من تكون. كما أنه شاهد

أليكس أيضاً. أخرج هاتفاً نقالاً وأجرى أتصالاً فالدكتور جريف يحتاج أن يعرف أيضاً.

بعد ثلاث ساعات، أشرقت الشمس على المدينة. مدينة غرينوبل عصرية إلى حد كبير، وبالرغم من موقعها الجبلي، فهي تصارع لأن تكون جذابة. ولكنها في هذا اليوم الرطب الغائم، لا تنجح في سعيها هذا.

خارج المستشفى، توقفت سيارة فخرجت منها إيفا ستيلينبوش، وكانت ترتدي بذلة فضية وبيضاء تشبه رقعة الشطرنج، وقبعة جاثمة على شعرها الذي يشبه الزنجبيل. وكانت تحمل أيضاً حقيبة جلدية، وللمرة الأولى في حياتها، كانت تضع بعض المكياج على وجهها. أرادت أن تبدو نيقة. ولكنها بدت مثل رجل في زي أمرأة.

سارت في المستشفى إلى أن وجدت طاولة الاستقبال الرئيسة. كانت هناك ممرضة شابة تجلس خلف مجموعة من الهواتف وشاشات الكومبيوتر. خاطبتها السيدة ستيلينبوش بلغة فرنسية طليقة.

-" من فضلك"، قالت ستيلينبوش. "عرفت أن صبياً صغيراً قد جيء به إلى هنا هذا الصباح. أسمه أليكس فريند."

- "لحظة واحدة." أدخلت الممرضة الاسم على كمبيوترها، فقرأت المعلومات التي على الشاشة، وأصبح وجهها أكثر جدية. "هل لي أن أسأل من تكونين؟"

–" أنا مساعدة مدير أكاديمية 'بوينت بلانك'، والفتى أحد طلبتنا."
–"هل أنت مدركة لمدى خطورة جروحه يا سيدتي؟"
–"أخبروني أنه تورط في حادثة تصادم من جراء التزلج على الجليد." أخرجت السيدة ستيلينبوش منديلاً لتجفف عينيها.
–"لقد حاول التزلج إلى أسفل الجبل ليلاً. ثم اصطدم مع قطار. إصابته بالغة جداً، سيدتي، والأطباء يجرون له عملية في هذه الأثناء."
هزّت السيدة ستيلينبوش رأسها، وهي تبتلع دموعها، وقالت: "أسمي أيفا ستيلينبوش. هل يمكنني أن أنتظر الأخبار؟"
–"بالطبع سيدتي."
جلست السيدة ستيلينبوش على كرسي في صالة الاستقبال. وخلال الساعة التالية، كانت تراقب الناس الذين يدخلون ويخرجون، بعضهم ماشياً، وبعضهم على كرسي متحرك. كما كان هناك أناس ينتظرون أخباراً عن مرضى آخرين. ومن بين هؤلاء الناس، كما لاحظت ستيلينبوش، كانت هناك أمراة جدية المظهر بشعر أسود لم يقص بشكل جيد، وعينين سواداوين جداً. كانت من انكلترا حيث أنها بين الحين والآخر كانت تلقي نظرة على جريدتها اللندنية 'التايمز.'
ثم فتح الباب فخرج أحد الأطباء. إن لدى الأطباء وجه معين عندما يريدون الإفصاح عن أخبار سيئة. وهذا الطبيب لديه خبر سيء الأن. "السيدة ستيلينبوش؟" سأل الطبيب.
–"نعم."

-"أنت مديرة المدرسة. ؟"

- "مساعدة المدير، نعم."

جلس الطبيب إلى جوارها. "أنا جداً آسف، سيدتي. لقد توفي أليكس فريند قبل دقائق." إنتظر حتى استوعبت الخبر. "كان يعاني من كسور مضاعفة. يداه، وعظم رقبته، وساقه. كما كان لديه كسر في الجمجمة. لقد أجرينا عملية له، ولكن للأسف كان هناك نزف داخلي حاد. لقد دخل في غيبوبة ولم نستطع إعادته للحياة."

هزّت السيدة ستيلينبوش رأسها، وناضلت من أجل أن تجد الكلمات المناسبة. "عليّ أن أخبر عائلته،" قالتها بصوت هامس.

- "هل هو من هذا البلد؟"

-"كلا. هو أنجليزي. والده هو السير ديفيد فريند. عليّ أن أخبره. وقفت السيدة ستيلينبوش على قدميها. "شكرًا لك، دكتور. أنا واثقة من أنكم قمتم بكل ما تستطيعون."

ومن زاوية عينها، لاحظت السيدة ستيلينبوش أن المرأة ذات الشعر الأسود قد وقفت أيضاً، وسقطت جريدتها من يدها. كما أنها انصتت لكل الحوار. وقد بدت عليها الصدمة أيضاً.

غادرت السيدتان المستشفى في نفس الوقت. ولكن أياً منهما لم تتفوه ولا حتى بكلمة.

كانت الطائرة المنتظرة على المدرج من نوع مارتن سي ١٣٠ هيركيوليس. لقد حطّت بعد منتصف النهار بقليل. هي الآن تنتظر

تحت الغيوم، بينما كانت ثلاث عجلات تتجه نحوها. كانت أحداها سيارة شرطة، وأخرى سيارة جيب، أما الثالثة فكانت سيارة إسعاف.

لم يكن مطار سانت غريورس في مدينة غرينوبل يشهد العديد من الرحلات الدولية، ولكن هذه الطائرة قدمت من انجلترا ذلك الصباح. ومن الجانب الآخر لسياج المطار الخارجي، وقفت السيدة ستيلينبوش تراقب من خلال زوج من المنظار العالي الكفاءة. كان هناك بعض من المرافقة العسكرية الصغيرة. أربعة رجال بزي رسمي فرنسي رفعوا تابوتاً بدا صغيراً على نحو مثير للشفقة عندما وضعوه على أكتافهم العريضة. كان التابوت بسيطاً، مصنوعاً من خشب الصنوبر وله مقابض فضية اللون. كما وضعوا علماً بريطانياً في مربع في وسط التابوت.

كانوا يسيرون مسيراً عسكرياً دقيقاً، يحملون التابوت نحو الطائرة المنتظرة. ركّزت السيدة ستيلينبوش منظارها ورأت المرأة التي من المستشفى. لقد كانت على متن سيارة الشرطة. وقفت تراقب حتى وضع التابوت في الطائرة، ثم عادت للسيارة التي سارت مبتعدة. الآن، عرفت السيدة ستيلينبوش من هي تلك المرأة. لقد حفظ الدكتور جريف ملفات موسعة وسرعان ما عرّفها بالسيدة جونز، نائبة الين بلنت، رئيس قسم العمليات الخاصة التابع للمخابرات البريطانية .M16

بقيت السيدة ستيلينبوش حتى النهاية. أغلقت أبواب الطائرة. غادرت سيارة الجيب وسيارة الإسعاف. بدأت مروحات الطائرة

بالدوران، فتقدمت نحو المدرج. وبعد ذلك بدقائق، أقلعت الطائرة. وعندما زمجرت متوجهة نحو الهواء، فُتحتْ الغيوم كما لو أنها استقبلتها، وللحظة من الزمن، اغتسل جناحاها الفضيان بضوء الشمس اللامع. ثم التمت الغيوم ثانية واختفت الطائرة.

أخرجت السيدة ستيلينبوش هاتفها النقّال. زوّلت رقماً وانتظرت حتى تم ربطها. "الخنزير الصغير قد ولّى"، قالت. ثم عادت إلى سيارتها وانطلقت مسرعة.

* * *

بعد أن غادرت السيدة جونز المطار، رجعت إلى المستشفى وصعدت السلّم نحو الطابق الثاني. وصلت إلى باب ثنائي يحرسه رجلان من الشرطة هزّا رأسيهما لها وهي تمر من بينهما. كان هناك ممر من الجانب الآخر يقود إلى جناح خاص. سارت نحو باب كانت عليه حراسة هو الآخر. لم تطرق الباب، دخلت مباشرة.

كان أليكس رايدر واقفاً عند الشبّاك، ينظر للخارج، يشاهد منظر غرينوبل من الجانب الآخر لنهر إسيري. في الخارج، فوقه بمسافة عالية، خمس فقاعات من الحديد والزجاج تتحرك ببطء على سلك حديدي، تنقل السيّاح إلى حصن الباستيل. استدار أليكس للوراء عندما وصلت السيدة جونز. كانت هناك ضمادات وأشرطة من الشاش حول رأسه، وفيما عدا ذلك، لم يبد عليه الأذى.

–" إنك محظوظ لكونك على قيد الحياة" قالت.

– "اعتقدت أني كنت ميتاً" أجاب أليكس.

– "نتمنى أن يعتقد الدكتور جريف بهذا الأمر." ورغماً عنها، لم تكن السيدة جونز تخفي القلق البادي في عينيها. ثم قالت: "لقد كانت معجزة، كان يمكن أن ينكسر شيء فيك على أقل تقدير."

–"لقد حمتني بذلة التزلج"، قال أليكس. حاول التفكير بتلك اللحظة الدوّارة اليائسة التي سقط فيها من القطار. "كانت هناك شجيرات صغيرة. كما أن السياج أمسكني نوعاً ما." مسح رجله وجفل. "حتى وإن كان السياج من الأسلاك الشائكة."

رجع إلى سريره وجلس. وبعد أن انتهى الأطباء الفرنسيون من فحصه، جلبوا له ملابس جديدة. ملابس عسكرية، كما لاحظ. سترة ميدان قتالية وبنطلون. كان يتمنى أنهم بهذا الأمر يحاولون أن يخبرونه شيئاً ما.

–"لدي ثلاثة أسئلة"، قال أليكس. "ولكن لنبدأ من السؤال الكبير. طلبت المساعدة قبل يومين، أين كنتم؟"

–"أنا متأسفة يا أليكس" قالت السيدة جونز. "كانت هناك بعض المشكلات اللوجستية."

–"نعم؟ حسنٌ، وبينما كنتم تعانون من مشكلاتكم اللوجستية، كان الدكتور جريف يستعد لتقطيعي أرباً."

–"نحن لا نستطيع أن نعصف بالأكاديمية. ربما يؤدي ذلك إلى قتلك. يمكن أن تُقتَلوا جميعاً. كان يجب أن نتحرك ببطء. حاول

أن تفكّر بما كان يجري. كيف باعتقادك وجدناك بهذه السرعة؟"
-" كان هذا هو سؤالي الثاني."
هزّت السيدة جونز كتفيها. "وضعنا بعض الرجال في الجبال منذ أن تلقينا إشارتك. كانوا يقتربون من الأكاديمية. سمعوا صوت رصاص البندقية الرشاشة عندما كانت الدراجات الجليدية تطاردك، وتبعك رجالنا وانت تنزل. وشاهدوا ما حصل لك مع القطار فنادوا طلباً للمساعدة عبر جهاز اللاسلكي."
- "حسناً. إذن لماذا كل هذه التدابير والجنازة؟ لماذا تريدون أن يعتقد الدكتور جريف أنني ميت؟"
- "هذا سهل جداً يا أليكس. عرفنا مما أخبرتنا به أنه يحتجز خمسة عشر ولداً كسجناء في الأكاديمية. وهم الأولاد الذين يخطط لاستبدالهم." هزّت رأسها. "عليّ أن اعترف أن هذا الأمر هو الأغرب والأكثر لا معقولية مما سمعت في حياتي. وأنني ما كنت لأصدقه لو أنني سمعته من أحد غيرك."
-"إنك لطيفة جداً"، تمتم أليكس.
-"لو اعتقد الدكتور جريف أنك على قيد الحياة، وأنك نجوت ليلة البارحة، فإن أول شيء سيقوم به هو قتل جميع الأولاد. أوربما يستخدمهم كرهائن. ولكننا نمتلك أملاً واحداً فقط في أن نباغته. لا بد أن يعتقد أنك ميت."
-" وهل ستباغتونه؟"
-"سنذهب إليه الليلة. لقد أخبرتك أننا جمعنا فرقة هجومية هنا

في غرينوبل. وكانوا فوق في الجبال الليلة البارحة. وقد خططوا للانطلاق فور حلول الظلام. وهم مسلحون ومحترفون."

رددت السيدة جونز وقالت: ولكن هناك شيء واحد فقط لا يمتلكونه."

-"وما هو ذلك الشيء؟" سألها أليكس وهو يشعر بحالة مفاجئة من عدم الارتياح.

-"إنهم يحتاجون إلى شخص يعرف البناية"، قالت السيدة جونز. "المكتبة، المصعد السري، مواضع الحراس، الممر والزنزانات ———"

-"مستحيل!" تعجّب أليكس. الآن فهم القصد من الملابس العسكرية. "أنسوا الأمر! لن أذهب إلى هناك ثانية! كدتُ أقتل وأنا أحاول الهرب! هل تظنون أنني مجنون؟"

-"أليكس، سيتم الاعتناء بك. ستكون في أمان تام ———."

-"كلا!"

هزّت السيدة جونز رأسها. "حسنٌ جداً، أنا اتفهم مشاعرك. ولكن هناك شخص أريدك أن تقابله."

وكما لو أنهم كانوا في طابور انتظار، دُقّ الباب، وفُتح ليكشف عن شابٍ يرتدي بذلة قتال عسكرية أيضاً. كان جسده قوياً متناسقاً وكان شعره أسود، له كتفان مربعان ووجه أسمر مترقب. كان في أواخر العشرينيات من العمر. رأى أليكس وهزّ رأسه. "حسناً، حسناً، حسناً. يبدو أن هناك ابتعادٌ عن الكتب. كيف الحال أيها الشبل؟"

عرفه أليكس فوراً. لقد كان هذا الرجل هو الجندي الذي عرّفه على أنه الذئب. عندما أرسلته المخابرات البريطانية M16 ليتدرب مع قوات المهمات الخاصة SAS في ويلز، كان الذئب هو المسوؤل عن وحدته. إذا كان التدريب هو الجحيم بعينه، فأن الذئب هو الذي جعله أسوأ، حيث كان يعتدي على أليكس منذ البداية وقد أوشك أن يلقي به كالقمامة. وعلى الرغم من ذلك، في النهاية، كاد الذئب يفقد مكانه في قوات المهمات الخاصة لولا أن أليكس هو الذي أنقذه. لكن أليكس لا يزال غير متأكد من نتيجة ذلك الفعل عليه، كما أن الرجل الآخر بدوره لم يكن ليتنازل عن أي شيء.

-"الذئب!" قال أليكس.

-"سمعت أنك قد هلكت." قال الذئب ساخراً. "أعتذر لأنني نسيت الأزهار وعنقود العنب."

-"ماذا تفعل هنا؟" سأله أليكس.

-"لقد طلبوني لكي أنظف الفوضى التي تركتها خلفك"

-"إذن أين كنت عندما كانوا يطاردونني على سفح الجبل؟"

-"بدا أنك كنت تبلي بلاءً حسناً لوحدك."

تولت السيدة جونز الحديث قائلة: "في الواقع أن أليكس قام بعمل جيد جدا حتى هذه اللحظة، ولكن في الحقيقة هناك خمسة عشر ولداً مسجونين في 'بوينت بلانك'، وأولى أولوياتنا هي أن ننقذهم. عرفنا من أليكس أن هناك ثلاثون حارساً داخل المدرسة

وحولها. إن الفرصة الوحيدة التي يمتلكها الأولاد هي أن تقوم وحدة المهمات الخاصة بالاقتحام. وهذا ما سيحدث الليلة." التفتت نحو أليكس وقالت: "إن الوحدة ستكون بأمرة الذئب."

وحدة المهمات الخاصة لم تستخدم الرتب والألقاب العسكرية مطلقاً أثناء الخدمة الفعلية. كانت السيدة جونز حذرة جداً وهي تتكلم فلم تستخدم سوى الاسم الحركي للذئب.

-"أين يأتي دور هذا الولد في القضية؟" إستفسر الذئب.

-" هو يعرف المدرسة. يعرف مواقع الحرّاس وموقع زنزانات السجن. يمكنه أن يدلك على المصعد ------."

قاطعها الذئب قائلا: -"يمكنه أن يخبرنا كل شيء نحتاج إلى معرفته الآن وهنا." ثم استدار إلى السيدة جونز وقال: "لا نحتاج صبياً. سيكون مجرد عبء. سنذهب إلى هناك متزلجين على الجليد، وربما تسيل هناك دماء. وأنا لا أستطيع التضحية بواحد من رجالي ليقوم بمسك يده -----"

-"لا أحتاج أحداً ليمسك بيدي"، ردّ أليكس بغضب. "إنها على حق. أنا أعرف عن 'بوينت بلانك' أكثر من أي واحد منكم. لقد كنت هناك --- وخرجت من هناك، ليس بفضل أي واحد منكم. أيضاً، لقد قابلت بعضاً من هؤلاء الفتيان. أحدهم صديق لي. وقد وعدته بأن أساعده، وسأفعل."

-"ليس وأنت مقتول."

-"بوسعي أن أعتني بنفسي."

-"إذن اتفقنا." قالت السيدة جونز. "سيقودكم أليكس إلى هناك، ولكن بعدئذ لا يشارك في العملية نهائياً. أما بالنسبة لسلامته، فأنا أعتبرك يا أيها الذئب مسؤولاً بشكل شخصي عنها."

-"مسؤول بشكل شخصي. صحيح"، تمتم الذئب متذمراً.

لم يستطع أليكس أن يقاوم الابتسامة. لقد أستعاد أليكس مكانته، وها هو يعود الآن إلى وحدة المهمات الخاصة. الآن أدرك الحال. فقبل دقائق خلت، كان يجادل بعنف ضد فكرة القيام بهذا العمل. نظر إلى السيدة جونز. لقد تلاعبت به، بلا شك، من خلال جلب الذئب على غرفته. وكانت هي أيضاً تعرف هذا.

هزّ الذئب رأسه وقال: "حسناً أيها الشبل، يبدو أنك الآن معنا. هيا للعب إذن."

-"بالتأكيد أيها الذئب" قالها أليكس متنهداً، "هيا للعب."

غارة ليلية

جاءوا يتزلجون نزولاً من قمة الجبل. كانوا سبعة فقط. كان الذئب قائدهم، وكان أليكس إلى جانبه. أما الخمسة الآخرون فكانوا يتبعونهم. لقد غيّروا ملابسهم إلى سراويل، ومعاطف وقبعات بيضاء - كنوع من التمويه الذي من شأنه أن يساعدهم على الاختلاط بلون الجليد. كانت طائرة مروحية قد أنزلتهم على بعد كيلومترين إلى شمال 'بوينت بلانك' وعلى ارتفاع مئتي متر فوقها، وسرعان ما سلكوا طريقهم نزولا، مزودين بنظارات الرؤية الليلية. استقر الجو ثانية. كان القمر قد غاب. وكان أليكس، رغما عن نفسه، يستمتع بالرحلة، حفيف الزلاجات وهي تقطع الجليد، وسفح الجبل الخالي الذي يستحم بالضوء الأبيض. وها هو الآن عضواً في فصيل من وحدة المهمات الخاصة. كان يشعر بالأمان.

ولكن الأكاديمية ظهرت في الأفق تحته، فارتعش مرة أخرى. قبل أن ينطلقوا، طالب أليكس ببندقية - لكن الذئب هزّ رأسه.

–"أنا آسف أيها الشبل. إنها أوامر. عليك فقط أن تدخلنا، ثم تختفي عن الأنظار."

لم تكن هناك أنوار في البناية. وكانت المروحية تجثم على مهبط المروحيات كحشرة لامعة. وكان مقفز التزلج يقف إلى أحد

الجوانب، مظلم ومنسي. لم يكن هناك أي شخص في مرمى البصر. رفع الذئب يده فتوقفوا بسرعة.

-"حرّاس؟" همس الذئب.

-"إثنان منهم في دورية، وواحد على السطح."

-"دعونا نخرجه أولاً."

كانت السيدة جونز قد أعطت أوامرها بشكل واضح جداً. ليست هناك دواعٍ لسفك الدماء، إلا في الضرورة القصوى. كانت المهمة لغرض تحرير الأولاد وإخراجهم. ويمكن لوحدة المهمات الخاصة أن تعتني بأمر الدكتور جريف والسيدة ستيلينبوش، والحراس، في موعد آخر.

الآن مد الذئب يده، فناوله الرجال الآخرون شيئاً. كان قوساً لرمي السهام - لكنه لم يكن من نوع تلك التي تعود للقرون الوسطى، بل قوساً معقداً، سلاحاً تكنولوجيا حديثاً بماسورة من الألمنيوم الخفيف، وتلسكوب ليزري. قام الذئب بحشوه بسهم مخدر ثم صوّب نحو هدفه. رأه أليكس وهو يبتسم مع نفسه، ثم عكف أصبعه، فلمع السهم عبر الليل، مسافراً بسرعة مئة متر في الثانية. سُمع صوت خافت من سطح الأكاديمية، كأنه صوت السعال. خفض الذئب القوس، وقال:

-"سقط واحد منهم."

-"بدون شك،" تمتم أليكس. "بقي هناك تسعة وعشرون واحداً."

أعطاهم الذئب إشارة فواصلوا الهبوط، ولكنهم الآن أبطأ بكثير. كانوا على مقربة عشرين متراً من المدرسة عندما شاهدوا باب المدرسة يفتح. خرج رجلان من الباب وهما يحملان بندقيتين رشاشتين تتدليان من كتفيهما. وبحركة رجل واحد، إنحرف رجال المهمات الخاصة نحو اليمين، واختفوا حول جانب المدرسة. توقفوا قرب الجدار، ثم انحنوا حتى رقدوا على بطونهم، بينما تحرك اثنان منهم للأمام قليلاً. لاحظ أليكس أنهم خلعوا زلاجاتهم تماماً في اللحظة التي توقفوا فيها أول الأمر.

اقترب الحارسان. كان أحدهما يتكلم بهدوء باللغة الألمانية. كان وجه أليكس نصف مدفون في الجليد. كان يعرف أن بذلة القتال هذه جعلته غير مرئي. رفع رأسه قليلاً في الوقت المناسب تماماً ليرى مخلوقين ينهضان من الأرض مثل أشباح تخرج من القبر. وارتفعت هراوتان في ضوء القمر، فتكوّم الحارسان. وفي ثوان قليلة تم ربطهم وتكميم أفواههم. سوف لن يذهبا إلى أي مكان هذه الليلة.

أعطى الذئب إشارة أخرى، فنهض الرجال وركضوا نحو الأمام، متجهين إلى الباب الرئيس. نزع أليكس زلاجتيه بسرعة ولحق بهم. وصلوا إلى الباب وهم في خط واحد، وكانت ظهورهم للحائط. نظر الذئب إلى الداخل ليتأكد أن الوضع آمن. هزّ رأسه، فدخلوا.

وصلوا إلى القاعة ذات التنانين الحجرية ورؤوس الحيوانات. وجد أليكس نفسه إلى جوار الذئب وأعطاه الإتجاهات بسرعة، مؤشراً إلى غرف مختلفة.

–"المكتبة؟" همس الذئب. كان جاداً تماماً الآن. كان أليكس يستطيع أن يرى التوتر في عينيه.

–"من هنا."

أخذ الذئب خطوة إلى الأمام، ثم جثم على الأرض، فصدر عن يده التي ضربت أحد جيوب سترته صوتاً. لقد ظهر حارس آخر، يقوم بدورية في الممر السفلي. لم يكن الدكتور جريف يحظى بأية فرصة. انتظر الذئب حتى مرّ الرجل، ثم هزّ رأسه. لحق أحد رجال المهمات الخاصة به، فسمع أليكس صوت ارتطام وقعقعة بندقية تسقط.

–"لحد الآن كل شيء على ما يرام." همس الذئب.

دخلوا إلى المكتبة. بيّن أليكس للذئب كيفية جلب المصعد، فصفّر الذئب بصوت خافت عندما انقسم إلى قسمين. "ياله من مكان،" تمتم قائلاً:

–" أتريد الصعود للأعلى أم النزول للأسفل؟"

–"للأسفل. لنتأكد من أن الأولاد على مايرام."

كان المصعد بالكاد يكفيهم هم السبعة. حذّر أليكس الذئب من الحارس الذي عند الطاولة، في مرأى المصعد، لم يكن الذئب ليفوّت الفرصة - خرج من المصعد يطلق النار. في الواقع، كان هناك حارسان لدى الطاولة. كان أحدهما يحمل كوباً من القهوة، والآخر يشعل سيجارة. أطلق الذئب النار مرتين. عبوتان أخرتان

من المخدر سافرتا مسافة قصيرة عبر الممر، فوجدتا هدفيهما. مرة أخرى، حدث الأمر برمته بصمت تام. انهار الحارسان وبقيا جاثمين. خرج رجال المهمات الخاصة إلى الممر.

فجأة تذكّر أليكس. كان غاضباً من نفسه لأنه لم يذكر ذلك من قبل. "لا تستطيعون الذهاب إلى الزنزانات،" همس قائلاً: "لقد وضعوا إسلاكاً للتنصت."

هزّ الذئب رأسه. "أرني!"

أرى أليكس الذئب الممر ذوالأبواب الحديدية. أشار الذئب إلى أحد الرجال. "أريدك أن تبقى هنا. إذا ما وجدونا، فهذا هو أول مكان سيأتي إليه أليكس."

هزّ الرجل رأسه. لقد فهم القصد. بينما رجع باقي الرجال للمصعد، وصعدوا للمكتبة، ثم خارجاً نحو القاعة.

التفت الذئب لأليكس. "يتوجب علينا أن نعطل الإنذار،" أوضح له ثم قال: "هل لديك أية فكرة --؟"

-"من هنا. غرف جريف الخاصة في الجانب الآخر. "

ولكن قبل أن ينهي كلامه، ظهر ثلاثة حرّاس آخرون، يسيرون في الممر. أطلق الذئب على واحد منهم - سهماً مخدرا آخر- وتدبّر أحد رجاله أمر الحارسين الآخرين. ولكن هذه المرّة، كان هناك تأخر بجزء من الثانية. فقد شاهد أليكس أحد الحراس وهو يسحب بندقيته للأمام. يمكن أن يكون قد غاب عن الوعي قبل أن يتمكن من التصويب. ولكن في اللحظة الأخيرة، انسحب أصبعه

بشدة على الزناد. فانطلقت الرصاصات للأعلى، مهشمة السقف، متسببة بتساقط اللاصق ونتف من الصوف. لم يصب أي شخص. ولكن الأنوار أضيئت، وانطلق صوت الإنذار.

وعلى بعد عشرين متراً، فُتح باب، وظهر المزيد من الحراس.

-"إنخفضوا!" صرخ الذئب.

أخرج قنبلة يدوية، وسحب الصاعق ثم رماها. ضرب أليكس الأرض، وبعد ثانية، كان هناك انفجار خافت وغيمة كبيرة من الغاز تملأ الطرف الآخر من الممر. أخذ الحرّاس يترنحون، مثل عميان عديمي الحيلة، فقام رجال المهمات الخاصة بأخذهم للخارج بسرعة.

أمسك الذئب بأليكس وسحبه قريباً منه وصرخ: "جد مكاناً للأختباء!" "لقد أدخلتنا، وسنتدبر الباقي الآن."

-"أعطني مسدساً!" صرخ أليكس مجيباً. لقد وصل إليه بعض الغاز، وبدأ يشعر بعينيه تحترقان.

-"كلا. لدي أوامر. عند أول بوادر المصاعب، عليك الخروج من الطريق. جد لنفسك مكاناً آمناً واختبأ. سنأتي لك لاحقاً."

-"يا ذئب !"

لكن الذئب كان قد وثب وركض. سمع أليكس صوت بندقية آلية يأتي من مكان في الأسفل. لذا كان الذئب محقاً. فقد أرسلوا حارساً ليعتني بأمر السجناء-- لكن كان هناك أحد رجال المهمات الخاصة بانتظاره. الآن، تغيرت القواعد. لم تكن وحدة

المهمات الخاصة تستطيع أن تعرّض حياة السجناء للخطر. سيكون هناك سفك دماء. لم يكن بوسع أليكس إلا أن يتخيل المعركة التي لا بد أنها ستحدث الآن. ولكنه لن يكون جزءاً منها. فعمله أن يختبأ.

المزيد من الإنفجارات. المزيد من صوت الرصاص. كان هناك طعم مرارة في فمه وهو يتجه نحو السلالم. هذا ما عرف عن المخابرات البريطانية. لنصف الوقت كانوا فرحين بإرساله إلى حتفه، وفي النصف الآخر كانوا يعاملونه مثل طفل.

وفجأة ظهر أحد الحراس، يركض نحو الطابق الثاني. عينا أليكس لا تزالان تدمعان من الغاز، والآن استغلّهما. جلب يده نحو وجهه، زاعماً أنه يبكي. رأى الحارس ولداً بعمر أربعة عشر عاماً وهو يبكي. توقف الحارس. في تلك اللحظة انثنى أليكس على رجله اليسرى، ساحباً الجزء الأيمن من جانبي رجله اليمنى نحو معدة الرجل - الركلة المستديرة أوالماواشي كيري التي تعلمها في الكاراتيه. لكن الحارس لم يجد وقتاً حتى للصراخ. استدارت عيناه وترنح ساقطاً. شعر أليكس بقليل من الارتياح بعد ذلك.

ولكن الآن لم يعد هناك شيء آخر ليعمله. كانت هناك جولة أخرى من الإطلاقات النارية، ثم انفجار خافت آخر لقنبلة غاز أخرى. ذهب أليكس نحو غرفة الطعام. من هناك، يمكنه أن ينظر من خلال الشبابيك إلى جانب البناية وإلى مهبط المروحيات في الأعلى. لاحظ أن ريش مروحة الطائرة كانت تدور. كان في

داخلها شخص. اقترب من الشباك أكثر. إنه د. جريف! عليه أن يخبر الذئب.

التف إلى الوراء.

كانت السيدة ستيلينبوش تقف أمامه. لم يسبق له أن رأها تبدوأقل شبهاً بالبشر كما هي الآن. كان وجهها بالكامل ملتوياً بغضب، وشفتاها مكورتان مندفعتان نحو الخارج، وعيناها تبرقان.

"ألم تمت!" قالت باستغراب. "ما زلت على قيد الحياة." كان صوتها يكاد يعوي، كما لو أن شيئاً حسناً لم يكن فيه البتة. "انت جلبتهم هنا. أنت دمرت كل شيء!"

-"كان ذلك عملي،" قال أليكس.

-"مالذي كنت أفتش عنه هنا؟" تمتمت السيدة ستيلينبوش مع نفسها. كان بوسع أليكس أن يرى كيف أن القليل من العقل المتبقي لديها بدأ يتلاشى. "حسناً، على الأقل، هذا أيضاً جزء من العمل الذي سأتمكن أخيراً من إتمامه."

شد أليكس نفسه، مباعداً بين قدميه، جاعلاً مركز ثقله واطئاً جداً. كما علموه. ولكن بلا جدوى، حيث تمايلت السيدة ستيلينبوش نحوه، متحركة بسرعة مخيفة. وكما هو حال من يدهسه باص، شعر أليكس بكامل تأثير وزن جسدها، ثم صرخ عندما أمسكت يداها الضخمتان به ورمته رأساً على عقب عبر الغرفة. سقط على طاولة، فارتطم بها، ثم تدحرج خارج الطريق

عندما قامت تابعت السيدة ستيلينبوش هجومها الأول، وهي تضربه بركلة كادت تقطع رأسه وتفصله عن كتفيه لو لم تخطئ رأسه بأقل من سنتيمتر واحد.

بذل ما بوسعه للوقوف على قدميه، ووقف هناك، محاولاً التنفس جهد إمكانه. وللحظة، تشوشت قدرته على النظر. وكان الدم يخرج من زاوية فمه. هجمت السيدة ستيلينبوش ثانية. رمى أليكس نفسه للأمام، مستخدماً طاولة أخرى لترفعه. تأرجحت قدماه، وقطعتا الهواء، التف كعباه على رأسها وأمسكاه من الخلف. لو كان أي شخص آخر لوقع من أثر الضربة. لكن على الرغم من أن أليكس شعر بصدمتها تجري في كل جسده، لم تتأثر السيدة ستيلينبوش وبالكاد ترنحت. وعندما ترك أليكس الطاولة، تأرجحت يداها، وارتطمتا بالخشب الصقيل. سقطت الطاولة، فسارت ستيلينبوش عليها، لتمسكه مرة أخرى، ولكن هذه المرة من عنقه. وأطلقت صوت نخير كصوت الخنزير، قذفت به إلى الحائط. صرخ أليكس، وتساءل ما إذا كان ظهره قد كُسر. إنزلق إلى الأرض، ولم يتحرك.

توقفت السيدة ستيلينبوش وهي تلهث. نظرت إلى الخارج عبر النافذة. كانت مروحة الطائرة على أقصى سرعتها الآن. تحركت المروحية للأمام قليلاً ثم إرتفعت في الهواء. إنه وقت الرحيل.

إنحنت للأسفل وتناولت حقيبة يدها. أخرجت مسدساً وصوبت نحو أليكس. حدّق أليكس فيها. لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله.

ابتسمت السيدة ستيلينبوش وقالت: "وهذا هو عملي أنا."

فتح باب غرفة الطعام.

-"أليكس!" وصل الذئب حاملاً بندقية آلية.

رفعت السيدة ستيلينبوش مسدسها وأطلقت ثلاث إطلاقات، فوصلت كل واحدة منها هدفها. أصيب الذئب في كتفه وذراعه وصدره. ولكن حتى وهو يسقط للوراء، فتح النار عليها. رشقت إطلاقاته الثقيلة السيدة ستيلينبوش، فقذفت بها إلى الشباك الذي تهشم من ورائها. ومع صرخة مدوية، اختفت في ظلمة اليل والجليد، رأسها أولاً، ثم قدماها بجواربهما الثقيلة.

أعطى هول ما جرى أليكس قوة جديدة. وقف على قدميه وركض على الذئب. لم يكن رجل المهمات الخاصة ميتاً، لكنه أصيب بشكل جسيم، وكانت انفاسه تخشخش.

-"انا بخير،" استطاع أن يقول. "جئت باحثاً عنك. سعيد لأني وجدتك."

-"أيها الذئب..."

-"حسناً." نقر على صدره، فرأى أليكس أنه يرتدي درعا تحت سترته. كان هناك دم ينبعث من ذراعه ولكن الرصاصتين الباقيتين لم تصيباه. "جريف. " قال الذئب.

أشار الذئب بيده فنظر أليكس إلى الوراء. كانت المروحية قد غادرت مكانها. كانت تحلق واطئة خارج الأكاديمية. رأى أليكس جريف في كرسي الطيّار. كانت لديه بندقية. أطلق النار. كانت

هناك صرخة وسقط جسدٌ من مكان ما في الأعلى. كان أحد رجال المهمات الخاصة.

فجأة، شعر أليكس بالغضب. كان جريف مجنوناً، وحشاً. كان مسؤولاً عن كل هذا - وها هو الآن يهرب. لم يكن أليكس يعرف ماذا يفعل، فالتقط بندقية الذئب وركض عبر الشباك المكسور، فوق جثة السيدة ستيلينبوش، ثم دخل عتمة الليل. حاول التصويب. لكن ريش المروحة كان يضرب سطح الثلج، مما يفقدهم القدرة على الرؤية، ولكنه صوّب البندقية نحو الأعلى وأطلق. لم يحدث شيئاً. سحب الزناد ثانية. لا شيء أيضاً. أما أن الذئب قد استنفذ كل ذخيرته أوأن البندقية قد تعطلت.

سحب جريف عتلة السيطرة وذهبت المروحية بعيداً، تابعة منحدر الجبل. كان الوقت متأخرٌ جداً. لا شيء يمكنه إيقافه.

ما لم.

رمى أليكس البندقية وركض للأمام. كانت هناك مركبة تزلج تجثم على بعد أمتار منه، كان محركها لا يزال يعمل. أما الرجل الذي كان يمتطيها فممدد ووجهه في الثلج. قفز أليكس على مقعدها وأدار عتلة الوقود حتى أقصاها. زمجرت المركبة مبتعدة، تنساب فوق الثلج، تتبع طريق المروحية.

رآه الدكتور جريف. فتباطأت المروحية وعادت. رفع جريف يده ملوحاً بالوداع.

رأى أليكس نظارته الحمراء، ارتفعت أصابعه النحيفة بتلويحة أخيرة للاستخفاف. وبينما كانت يداه تمسكان بعتلتي القيادة، وقف أليكس على أطراف قدميه، مهيأ نفسه لشيء يعرف أن عليه القيام به. تحركت المروحية مغادرة مرة أخرى، وهي ترتفع شيئاً فشيئاً. وأمام أليكس، بدت وثبة التزلج. كان يقود بسرعة سبعين، ثمانين كيلو متراً في الساعة، والثلج والريح يسرعان خلفه. ومن الأمام، كان هناك حاجز خشبي على شكل صليب.

حطمه أليكس، ورمى بنفسه. سقطت مركبة التزلج نحو الأسفل، وأخذ محركها يزمجر. أخذ أليكس يدور ويدور على الجليد، والثلج ونشارة الخشب في عينيه وفمه. ثم تمكّن أخيراً من يقف على ركبتيه.

وصلت مركبة التزلج إلى نهاية وثبة التزلج. نظر أليكس إليها وهي تنطلق إلى الفضاء، مدفوعة بالزلاجة المعدنية الضخمة.

وفي المروحية، كان لدى الدكتور جريف بعض الوقت ليرى 225 كيلو غراماً من الحديد الصلب تنقذف نحوه من جوف الليل، كانت الأضواء الأمامية تشع، ومحركها لا زال يزمجر. كانت عيناه مفتوحتان على اتساعهما من الصدمة.

أضاء الانفجار الجبل كله. أصبحت مركبة التزلج مثل طوربيد ضرب هدفه بدقة متناهية. اختفت المروحية في كرة جسيمة من اللهب، ثم سقطت. كانت لا تزال مشتعلة عندما ضربت الأرض.

ومن الخلف، أدرك أليكس أن إطلاق النار قد توقف. انتهت المعركة. تمشى ببطء نحو الأكاديمية، وهو يرتعش من البرد، فجأة، في هواء الليل القارس. عندما اقترب، رأى رجلاً يلوّح من خلال النافذة المكسورة. كان ذلك هو الذئب، يقف مستعيناً بالحائط، لكنه لا يزال مفعماً بالحيوية. ذهب أليكس نحوه.

-"ما الذي حصل لجريف؟" سأل الذئب.

-"يبدو أنني زلّجته،" أجاب أليكس.

وعلى المنحدرات، تناثر حطام المروحية واحترق، بينما كانت أشعة شمس الصباح قد بدأت بالبزوغ.

الشبيه

بعد أيام قليلة، وجد أليكس نفسه جالساً أمام ألين بلنت في نفس المكتب العديم الملامح في شارع ليفربول، مع السيدة جونز التي كانت تعصر قطعة حلوى أخرى بين أصابعها. كان اليوم هو الأول من أيار (مايو)، وهو عطلة للبنوك في انجلترا، ولكنه عرف نوعاً ما أن العطل الرسمية لم تأت يوماً للبناية التي تطلق على نفسها إسم بنك 'رويال وجنرالز' حتى الربيع بدا وكأنه توقف عند الشباك. ففي الخارج، كانت الشمس مشرقة. أما في الداخل فليس هناك سوى الظلال.

—"يبدوأننا مرة أخرى ندين لك بالشكر" قالها بلنت.

—"أنتم لا تدينون لي بشيء" أجاب أليكس.

بدا بلنت مستغرباً تماماً. "يمكن أن تكون قد غيرت مستقبل هذا الكوكب" قال بلنت. "لا شك أن خطة جريف كانت وحشية ومجنونة. ولكن الحقيقة التي تبقى هي أن. " بحث عن الكلمة التي تصف مخلوقات أنابيب الإختبار الذين تم إرسالهم خارج 'بوينت بلانك'، "

نسله يمكن أن يخلقون العديد من المشكلات. على الأقل كانوا سيحصلون على المال. والله يعلم ما الذي كانوا سيحصلون عليه لو أنهم بقوا غير مكتشفين ولم يعرف أحد بأمرهم."

—"ما الذي حصل لهم؟" سأل أليكس.

—"لقد تعقبنا الخمس عشرة نسخة منهم جميعاً، ونحن الآن نحتفظ

بهم تحت القفل والمفتاح"، ردت السيدة جونز. لقد تم اعتقالهم بهدوء في جميع البلدان التي يعيشون فيها. وسنعتني بهم جميعا."

ارتجف أليكس. كان لديه شعوراً بما كانت السيدة جونز تقصده بهذه الكلمات. وكان متأكداً من أن أحداً لن يرى نسخ جريف الخمس عشرة مرة أخرى.

-"مرة أخرى، علينا أن نبقي هذا الأمر طي الكتمان،" واصل بلنت كلامه. "كل ما يتعلق بمسألة ... الاستنساخ هذه. إن هذا الأمر سيتسبب في الكثير من الفوضى والإزعاج بين أوساط العامة. النعجة شيء مختلف، ولكن البشر!" ثم سعل، وقال: "العائلات المتدخلة بهذه المسألة لا ترغب في إعلان هذا الأمر، لذا سوف لن يتكلمون به. إنهم سعداء فقط لعودة ابناءهم الحقيقيين إليهم. والأمر نفسه ينطبق عليك أنت يا أليكس. فأنت وقعّت مسبقًا على قانون الأسرار الرسمية. وأنا متأكد من أنه يمكننا الوثوق بك لكونك كتوم للأسرار."

كانت هناك دقيقة من الصمت. نظرت السيدة جونز إلى أليكس بعناية. كان عليها أن تقرّ بأنها قلقت عليه. كانت تعرف كل شيء عما جرى في 'بوينت بلانك- ' كيف أنه كان على وشك أن يموت ميتة شنيعة، ليُرسل مرة أخرى على الأكاديمية. فالولد الذي رجع من جبال الألب كان مختلفاً عن الولد الذي ذهب اليها. كان هناك برود يخيم عليه، يمكن لمسه كما يُلمس جليد الجبل.

-"لقد قمت بعمل جيد جداً، يا أليكس" قالت له.

-"كيف حال الذئب؟" سألها أليكس.

-"إنه بخير. ما زال في المستشفى، ولكن الأطباء قالوا إنه سيتماثل للشفاء بشكل تام. نأمل أن يعود للعمليات في غضون أسابيع قليلة."

-"هذا جيد."

-"خسرنا قتيلاً واحدًا في 'بوينت بلانك'، هو الشخص الذي شاهدته يسقط من السقف. وجُرح الذئب ورجل آخر، في خلاف ذلك، كانت العملية ناجحة تماماً." توقفت قليلا، ثم سألته: "هل هناك شيء آخر تريد أن تعرفه؟"

-"كلا." هزّ أليكس رأسه. نهض وقال: "لقد تخليتم عني هناك، ارسلت لكم طالباً المساعدة ولم يأت أحد. كان جريف سيقتلني، ولكنكم لم تهتموا."

-"هذا ليس صحيحاً يا أليكس!" نظرت السيدة جونز إلى بلنت طلباً للدعم، ولكنه تجنب عيناها. "كانت هناك صعوبات. "

-"هذا لا يهم. أردت فقط أن أعرف أنني اكتفيت، وتلقيت من المتاعب ما فيه الكفاية. لا أريد أن أكون جاسوساً لكم إذا طلبتم مني ذلك بعد اليوم، سأرفض ذلك. أعرف أنكم تعتقدون أن بوسعكم ابتزازي. ولكني الآن أعرف الكثير عنكم، لذا سوف لن ينجح ذلك معي ثانية." سار نحو الباب. "إعتدت على الإعتقاد أنه إذا أصبحت جاسوساً فإن الأمر سيكون مثيراً وفريداً. كما في الأفلام. ولكنكم قمت باستغلالي فقط. وبطريقة ما، أنتم الاثنان سيئان مثل جريف. فانتما مستعدان للقيام بأي شيء من أجل تحقيق

ما تريدان. حسناً، أريد أن أعود إلى المدرسة. في المرة الثانية، يمكنكم العمل بدوني."

كان هناك صمت طويل بعد أن غادر أليكس. أخيراً، تكلّم بلنت، وقال: "سيعود."

رفعت السيدة جونز أحد حاجبيها وقالت: "هل تعتقد ذلك حقاً؟"

-"إنه جيد جداً فيما يفعل جيد جداً في العمل. وهو شيء يسري في دمه." نهض بلنت وقال: "إنه شيء غريب فعلاً. معظم فتيان المدارس يحلمون في أن يكونوا جواسيس. ولكن أليكس هو جاسوس يحلم في أن يكون تلميذ مدرسة."

-"وهل ستقوم باستخدامه مرة أخرى؟"، سألته السيدة جونز.

-"بالطبع. فقد وصلني ملف صباح هذا اليوم. موقف ممتع في جبال زاكروس في العراق. وأليكس هو الحل الوحيد." إبتسم بلنت لمساعدته. "سنعطيه فترة من الوقت ليهدأ ونتصل به."

-"سوف لن يجيب."

-"سنرى"، قال بلنت.

سار أليكس للبيت من موقف الباص، ليدخل إلى بيته التشيلسي الأنيق الذي يتقاسمه مع مدبرة منزله وصديقته المفضلة جاك ستاربرايت. أخبر أليكس جاك أين كان، وماذا كان يفعل، ولكنهما اتفقا على عدم مناقشة مسألة تورطه مع المخابرات البريطانية نهائياً. لم يعجبها هذا الأمر وكانت قلقة على أليكس كثيراً. ولكن في نهاية النهار كلاهما كان يعرف أنه لم يعد لديهما ما يقولانه.

بدا عليها الاستغراب عندما رأته، فقالت: "اعتقدت أنك خرجت."

-"كلا."

-"هل سمعت الرسالة الصوتية على الهاتف؟"

-"اية رسالة؟"

-"السيد براي يريد رؤيتك عصر هذا اليوم. الساعة الثالثة في المدرسة."

كان هنري براي مدير المدرسة في بروكلاند. لم يستغرب أليكس لإستدعائه. كان باري ذلك النوع من المدراء الذين يستطيعون إدارة العديد من المشاغل الشاملة، ويجدون رغم ذاك وقتاً ليحرصوا حرصاً شخصياً على مصلحة كل تلميذ من تلاميذ المدرسة. كان قلقاً من فترات غياب أليكس الطويلة، لذا طلبه لأجتماع.

-"هل تريد أن تتناول الغداء؟" سألته جاك.

-"كلا شكراً." عرف أليكس أن عليه أن يدّعي المرض ثانية. لا شك أن المخابرات البريطانية ستقدّم تقريرا طبياً آخراً وفي الوقت المناسب. ولكن فكرة الكذب على مدير مدرسته سدّت شهيته للطعام.

إنطلق بعد ساعة، أخذ دراجته الهوائية، التي كان الشرطة قد أعادوها على البيت. قاد الدراجة على مهل. كان الأمر جيداً في أن يعود إلى لندن، أن يحاط بالحياة الأعتيادية. التف إلى شارع 'كينغ' ومرّ بدراجته على الرصيف الجانبي الذي استخدمه - قبل شهر من الآن كما كان يشعر—في ملاحقة الرجل في سيارة

السكودا البيضاء. بدت المدرسة أمامه. كانت فارغة تماماً الآن، وستبقى فارغة حتى الفصل الدراسي الصيفي.

ولكن عندما وصل أليكس، رأى شخصاً يمشي عبر الساحة نحو بوابة المدرسة فعرف أنه السيد لي، فرّاش المدرسة الكبير في السن.

–"أنت ثانية!"

–"أهلاً بيرني." قال له أليكس. وذلك هو الأسم الذي يناديه به الجميع.

–" في طريقك لمقابلة السيد براي؟"

–"نعم."

هزّ الفرّاش رأسه. "لم يخبرني أنه سيكون هنا اليوم. ولكنه لم يخبرني أي شيء! سأذهب الآن إلى الدكاكين. سأعود في الساعة الخامسة لأغلق المدرسة - لذا أرجو أن تخرج قبل ذلك الموعد."

–"حسناً، بيرني."

لم يكن هناك أحد في ساحة اللعب. كان ذلك غريباً، أن يمشي عبر المدرج لوحده. بدت المدرسة أكبر عندما لم يكن فيها أحد، إمتد الفناء بشكل واسع جدا بين البنايات ذات الطابوق الأحمر، حيث الشمس تضربها بأشعتها التي تنعكس في الشبابيك. تحيّر أليكس، إذ لم يسبق له أن شاهد هذا المكان فارغاً وهادئاً على هذا النحو. حتى العشب الذي في ساحة اللعب بدا أكثر خضرة. كل مدرسة بلا تلاميذ سيكون له جوّها الغريب الخاص بها، وليست بروكلاند بالاستثناء عن ذلك.

كان مكتب السيد براي في المبنى (د)، الذي يقع بجوار مبنى العلوم. وصل أليكس إلى الأبواب المتأرجحة وفتحها. عادة ما تكون

الجدران مغطاة بالملصقات، ولكنها نزعت جميعاً عند نهاية الفصل. كان كل شيء فارغاً بلون يميل إلى البياض. كان هناك باب آخر مفتوحا نحو الجانب الآخر. كان بيرني ينظف المختبر الرئيس. أسند ماسحته ودلـوه إلى أحـد الجدران وذهب عـلـى الـدكـاكين - ليشتري علبة سجائر–كما افترض أليكس. كان الرجل يدخن كثيراً طيلة حياته، وكان أليكس يعتقد دائماً أنه سيموت يوماً والسيجارة بين شفتيه.

صعد أليكس السلالم، وكانت قدماه تطرقان على الأرضية الحجرية فتصدران صوتاً مسموعاً. وصل إلى الممر يؤدي إلى علم الأحياء يساراً، وإلى الفيزياء يميناً - ولكنه تابع سيره نحو الأمام. ممر ثان، بشبابيك تمتد على طوله من الجانبين، قاده إلى المبنى (د). كان مكتب السيد براي أمامه مباشرة. وقف عند الباب، وتساءل ما إذا كان عليه أن يتأنق أكثر للمقابلة. كثيراً ما كان براي يوبّخ التلاميذ الذين تتدلى قمصانهم أو الذين يعقفون أربطة العنق. كان أليكس يرتدي جاكيت دينيم، مع تي شيرت وبنطلون جينز وزوج من الحذاء الرياضي من ماركة نايك–نفس الملابس التي كان يرتديها هذا الصباح في المخابرات البريطانية. كان شعره لا يزال قصيراً جداً، رغم أنه قد بدأ بالنمو مجدداً. وعلى العموم، كان لا يزال يبدو من الأحداث الجانحين - ولكن فات الأوان الآن. على كل حال، إن براي لا يريد اللقاء به ليناقش مظهره. فعدم ظهوره في المدرسة كان هو المسألة الأكثر علاقة باللقاء.

طرق أليكس الباب.

"أدخل!" نادى عليه صوت من الداخل.

فتح أليكس الباب وسار إلى مكتب المدير، وهي غرفة مبعثرة تطل على ساحات اللعب. كانت هناك طاولة، عليها أكداس من الأوراق، وكرسي جلدي أسود استدار للخلف وكان ظهره باتجاه الباب. وكانت هناك خزانة مليئة بالكؤوس والجوائز تقف بمحاذاة أحد الجدران. أما الجدران الباقية فكانت مغطاة برفوف من الكتب.

"أردت أن تراني"، قال أليكس.

إستدار الكرسي ببطء.

تجمد أليكس في مكانه.

لم يكن هنري براي هو الذي يجلس خلف الطاولة، بل كان أليكس نفسه.

كان ينظر نحو الفتى البالغ أربعة عشر عاماً، بشعره الأشقر القصير جداً، وعينيه الداكنتين ووجهه النحيف الشاحب. حتى أنه كان يرتدي نفس ملابس أليكس. لقد استغرق الأمر دهراً بالنسبة لأليكس ليتقبل ما كان يشاهد. كان يقف في الغرفة ينظر إلى نفسه وهو يجلس على الكرسي. الولد الآخر كان هو.

كان هناك فرق واحد فقط. كان الولد يحمل مسدساً.

-"إجلس" قال الولد.

لم يتحرك أليكس. كان يعرف ما الذي يواجهه، وكان مستاءاً من نفسه لأنه لم يتوقع ذلك. عندما كان مربوط الفم في الأكاديمية، أخبره الدكتور جريف متفاخراً أنه استنسخ نفسه ست عشرة مرة. ولكن السيدة جونز أخبرته هذا الصباح أنهم تتبعوا جميع النسخ الخمس

عشرة. وهذا يعني أن نسخة احتياطية قد تُركت–ولد ينتظر أن يأخذ مكانه في عائلة ديفيد فريند. كان أليكس لَمَحَه عندما كان في الأكاديمية. الآن تّذكر الشخص ذوالقناع الأبيض، الذي كان يراقبه من الشباك عندما كان يسير نحو مقفز التزلج. كان القناع الأبيض هو لفاف الشاش. كان الـ(أليكس الجديد) يتجسس عليه وهو يتماثل للشفاء من عملية التجميل التي جعلت منهما متطابقين.

وحتى اليوم كانت هناك بعض الإشارات. ربما كانت حرارة الشمس - أوالشجار الذي قام به في دائرة المخابرات البريطانية. ولكنه كان أكثر انشغالاً بافكاره الخاصة من أن يستطيع رؤية تلك الإشارات: فجاك قالت له عندما وصل إلى البيت - "إعتقدت أنك قد خرجت"؛ وبيرني قال له عند بوابة المدرسة: "أنت ثانية!"

كان كلاهما يعتقدان أنهما شاهداه للتو. والواقع أنهما شاهداه نوعاً ما. لقد شاهدا الولد الذي يجلس أمامه الآن. الولد الذي يصوّب مسدسه نحو قلبه الآن.

–"لقد كنت أنتظر هذه اللحظة" قال الولد الآخر. وعلى الرغم من الكراهية البادية في صوته، لم يستطع أليكس أن يخفي إندهاشه. لم يكن الصوت يشبه صوته. لم يكن لدى الولد متسع من الوقت ليتعلمه على أكمل وجه. ولكنه فيما عدا ذلك كان نسخة طبق الأصل.

–" ماذا تفعل هنا؟" قال أليكس. "لقد انتهى الأمر كله. مشروع برج الجوزاء قد انتهى. وعليك أنت أيضاً أن تختفي في مكان ما. أنت بحاجة للمساعدة."

-" أنا بحاجة إلى شيء واحد فقط" قال أليكس الثاني بازدراء. "أحتاج أن أراك ميتاً. سأرميك بالرصاص. سأقتلك الآن. لقد قتلت والدي!"

-" كان والدك أنبوب الاختبار" قال له أليكس. "إنك مسخ، مصنوع يدوياً في جبال الألب مثل ساعة الوقواق. ما الذي ستفعله بعد أن تقتلني؟ تأخذ مكاني؟ لن تستطيع الإستمرار أسبوعاً. ربما تبدو مثلي، ولكن العديد من الناس يعرفون ما الذي كان جريف يحاول أن يفعل. وأنا آسف، فأن عبارة (مزيّف) مكتوبة عليك من رأسك حتى قدميك."

-"سنأخذ كل شيء! سنمتلك العالم كله!" أوشك أليكس النسخة أن يصرخ صراخاً بهذه الكلمات، واعتقد أليكس للحظة أنه سمع الدكتور جريف في مكان ما هناك، يلومه من تحت القبر. ولكن المخلوق الذي يقف أمامه كان هو الدكتور جريف، أوجزءاً منه. "لا أهتم بما سيحدث لي طالما أنك ستموت" تابع قائلاً.

إمتدت يده التي تحمل المسدس. كانت الماسورة تتجه نحوه. كانا متشابهين جداً. نفس الطول، نفس البنية، نفس الوجه. كان الأمر بالنسبة للفتى الآخر مثلما يقتل نفسه. لم يكن أليكس قد أغلق الباب لحد الآن. ألقى بنفسه للوراء، ثم خرج نحو الممر. في الوقت نفسه، أنطلقت الرصاصة من المسدس، وانفجرت على بعد ميلمترات من رأسه، وضربت الحائط. ضرب أليكس الأرض بظهره وتدحرج خارجاً من المدخل عندما ضربت الرصاصة

الثانية الأرض. ثم تابع الجري، محاولاً أن يترك أكبر مسافة ممكنة فيما بينه وبين نسخته.

أنطلقت رصاصة ثالثة عندما انطلق أليكس عبر الممر، فتحطم الشباك القريب منه، وتناثر الزجاج من حوله. وصل أليكس للسلالم، وبدأ ينزل كل ثلاث درجات مرة واحدة خشية أن تزلّ قدمه وينكسر كاحله. ولكنه وصل للأسفل، متجهاً نحو الباب الرئيس، وإنحرف عندما أدرك أنه إذا ما قطع ساحة اللعب فإنه سيكون هدفاً سهلاً. وبدلاً عن ذلك، اندفع نحو المختبر، وأوشك أن يقع على رأسه وفق ماسحة بيرني ودلوه.

كان المختبر طويلاً مستطيلاً، مقسماً إلى محطات عمل عليها مصابيح بنزن، وقوارير وأعداد كبيرة من الزجاجات الكيميائية المنتشرة على طول الغرفة كان هناك باب آخر في الطرف البعيد. غاص أليكس خلف المنضدة البعيدة. هل رأه النسخة وهو يدخل إلى هنا؟ وهل يمكن أن يكون الآن يبحث عنه في الساحة؟

وبحذر شديد، رفع أليكس رأسه فوق السطح ليرى، ولكنه أرجعه بسرعة عندما انطلقت أربع رصاصات حوله، لتشقق الخشب وتدمر إحدى أنابيب الغاز. سمع أليكس صوت هسيس الغاز المتسرب، ثم كان هناك صوت إطلاقة أخرى وانفجار قذف به للخلف، وتمدد على الأرض. لقد أشعلت الإطلاقة الأخيرة الغاز. تقافزت شعلات النار، وأخذت تلعق السقف. بدأ نظام رش الماء بالعمل وأخذ يرش الغرفة بكاملها. زحف أليكس على قدميه ويديه، مفتشاً عن ملجأ له خلف النار والماء، متمنياً أن يكون أليكس الآخر قد فقد القدرة على الرؤية. ضرب

الباب البعيد بكتفه، ووقع على قدميه. ثم جاءت رصاصة أخرى. ولكنه حينها قد أتم الخروج–نحو ممر آخر وسلّم آخر أمامه مباشرة.

لم يكن السلم يؤدي إلى أي مكان. كان في منتصف الطريق للأعلى عندما تذكّر ذلك. ليس هناك سوى قاعة واحدة فقط في الأعلى، كانت تستخدم لعلم الأحياء. وكان فيها سلّم حلزوني يقود إلى السقف. كانت أرض المدرسة صغيرة بحيث أنهم خططوا لبناء حديقة على السطح. ولكن نقودهم نفدت، لذا ليس هناك سوى زوج من البيوت الزجاجية، ولا شيء آخر.

لم يكن هناك طريق للأسفل! نظر أليكس من فوق كتفه فرأى أليكس الآخر وهو يعيد حشو مسدسه، وهو يتقدم نحو الأعلى. لم يكن لديه أي خيار. لا بد له من الإستمرار حتى وأن عرف بأنه سرعان ما يقع في المصيدة.

وصل إلى قاعة الأحياء وأغلق الباب من خلفه. لم يكن هناك قفل وكانت الرحلات مثبتة في الأرضية، وإلا كان بوسعه أن يجمعها ويعمل ساتراً منها. كان السلّم الحلزوني أمامه، ركض ليصعده بدون توقف، من خلال باب آخر في السقف. توقف أليكس ليلتقط أنفاسه ويرى ما يمكن فعله بعد ذلك.

كان يقف وسط منطقة واسعة منبسطة مع سياج يحيط بها. كانت هناك مجموعة من الأواني الفخارية المليئة بالتربة، فيها بعض النباتات التي تبدو ميتة أكثر منها حية. استنشق أليكس الهواء. كان الدخان

يخرج ملتفاً من الشبابيك من الطابق السفلي، فأدرك أليكس أن نظام الرش لم يفلح في أخماد الحريق. ففكر في الغاز المنبعث في الغرفة والمواد الكيمياوية المخزونة على الرفوف. يمكن أن يكون واقفاً على قنبلة موقوتة! عليه أن يجد لنفسه طريقاً للنزول.

ولكنه سمع وقع أقدام على المعدن وعرف أن شبيهه قد وصل إلى قمة السّلم الحلزوني. اختبأ أليكس خلف أحد البيوت الزجاجية، ففتح الباب.

خرج الدخان من خلف أليكس المزيّف، الذي تقدّم خطوة للأمام. كان أليكس خلفه مباشرة.

—"أين أنت؟" صرخ الشبيه. كان شعره مبللاً ووجهه يعلوه الغضب.

عرف أليكس أن لحظته المناسبة قد حانت، وأنه سوف لن يجد فرصة أفضل. اندفع راكضاً نحو الأمام. التوى أليكس الآخر وأطلق النار. أصابته الطلقة في كتفه، أحس أن سيفاً مصهوراً قد اخترق لحمه. ولكنه الآن قد وصل إلى شبيهه، فأمسكه من حول رقبته بيد، وأمسك برسغه اليد الأخرى ليجعل المسدس يفلت من يده. دوّى إنفجار كبير في المختبر في الأسفل، واهتزت البناية برمتها، ولكن أياً من الولدين لم يبد عليه أنه لاحظ ذلك. لقد تماسكا بشكل عنيف، مثل انعكاسين لصورة في المرآة، والمسدس لا يزال فوق رأسيهما، وهما يتصارعان للسيطرة عليه.

كانت ألسنة اللهب تلتهم البناية. ولأنها تغذت على مختلف أنواع المواد الكيمياوية، فقد انفجرت خلال السقف، مذيبة

الأسفلت. ومن بعيد تخلل صوت سيارات الأطفاء الأفق المشمس. سحب أليكس بكل قوته، محاولاً أن ينزل المسدس. ولكن أليكس الآخر تمسك به بكل قوته هو يشتم - ليس باللغة الإنجليزية بل بلغة افريقية.

وسرعان ما جاءت النهاية. إنحرف المسدس ووقع للأرض. اندفع أحدهما للخارج، وضرب الآخر وأسقطه للأسفل، فنزل محاولاً التقاط المسدس.

وقع إنفجار آخر وارتفعت صفحة من اللهب الكيمياوي. فحدثت حفرة كبيرة في السقف، وابتلعت المسدس. ولكن الولد رآها متأخراً جداً فسقط في الحفرة هو الآخر. واختفى في الدخان والسنة النار وهو يصرخ.

وبقي أليكس رايدر واحد فوق الفتحة ونظر للأسفل.

بينما استلقى أليكس رايدر الآخر على ظهره، تحته بطابقين. لم يكن يتحرك. وكانت النيران تنحسر.

وصلت أول سيارات الإطفاء إلى المدرسة، وارتفع سلّم منها نحو السقف.

وسار ولد له شعر أشقر قصير وعينان قهوائيتان، يرتدي جاكيت دينيم وتي شيرتا وبنطلون جينز نحو الحافة ليتسلق السلّم وينزل.

سيرة الكاتب:

أنتوني هورويتز

أنتوني هورويتز: واحد من أبرز كُتّاب الأطفال الذين يتمتعون اليوم بشعبية و غزارة في الإنتاج. فقد بيعت من سلسلة أليكس رايدر، الناجحة بشكل استثنائي، ملايين النسخ على مستوى العالم. كما أن هورويتز حصل على جوائز عديدة منها؛ جائزة Bookseller Association / Nielsen لمؤلف العام 2007، و جائزة العام لكتب الأطفال ضمن جوائز الكتب البريطانية لعام 2006 و ذلك عن كتابه Ark Angel، و جائزة Red House لكتب الأطفال، و ذلك عن كتابه Skeleton Key. أما 'ستورم بريكر': المهمة الأولى لأليكس رايدر، فقد تم تحويلها إلى فيلم حقق نجاحا كاسحا قام بدور البطولة فيه أليكس بيتيفير، الجاسوس المراهق الخارق، وكذلك كان إيوان ماك جريجور و بيل نيجي و روبي كولترين من بين الممثلين البارزين.

و من مؤلفات أنتوني الأخرى التي نشرتها ووكر بوكس Walker Books: كتاب (The Power of Five)، و هي سلسلة من الأعمال الفنية المشوقة و الخارقة والتي وصفها بـ " أليكس رايدر و الشياطين و الساحرات " و تتضمن: Raven's Gate، Evil Star، و Nightrise، و Necropolis أول أربع كتب في السلسلة. كما ألّف القصص البوليسية للأخوة داياموند و هي : Groosham Grange وتكملتها، و Return to Groosham Grange، و The Devil and His Boy، و The Switch، و Granny.

و كذلك يكتب أنتوني للتلفزيون على نطاق واسع و من ذلك: Midsomer Murders، و Poirot، و السلسلة الدرامية Foyle's War، التي فازت بجائزة Lew Grade Audience. وهو متزوج من منتجة تلفزيونية اسمها جيل جرين، ويعيش في لندن مع ولديه نيكولاس و كاسيان و كلبهم لوني.

لمعرفة المزيد عن أنتوني و كتبه؛ زوروا الموقع التالي:

www.anthonyhorowitz.com


ISBN 978-9953-468-73-0